

جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

" الوزير المُهلبي: حياته وأدبه "

Al-Wazir Al-Muhalaby: his life and literature

إعداد الطالبة نسرین سلیمان عبید الصبیحات

رقم الجامعي ٠١٢٠٣٠١٠٠٥

الدكتور المشرف عبد الرحمن الهويدي

" قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة

العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت "

التوقيع
.....
.....
.....
.....

أعضاء لجنة المناقشة
.....
.....
.....
.....
.....

" قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة في الماجستير في اللغة العربية
وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت "

نوقشت وأوصى بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ:

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ت
قائمة المحتويات	ث - ح
المقدمة	١
التمهيد : ملامح العصر البويهى	
الحالة السياسية	٥
الحالة الاجتماعية	٨
الحالة الأدبية	١٣
الفصل الأول: سيرة الوزير المهلبى وآثاره	
- اسمه ونسبه	١٦
- ولادته	١٨
- نشأته : عائلته	١٩
- حياته :	
أولاً: شبابه	٢٢
ثانياً: وزارته	٢٨
- أعماله	٣٣
- نكبته	٣٨
- شخصيته وأخلاقه	٤٣
- مذهبه	٥٤
- ثقافته	٥٦
- مجالسه	٥٩
- آثاره الأدبية	٦٢
- صلاته بأدباء عصره	٦٥
- وفاته	٧٧

الفصل الثاني:

أولاً: موضوعات شعره

٩٣-٨١	- الغزل ، الغزل العفيف، الغزل الحسي، الغزل بالغلتمان، الغزل بالجواني
٩٤	- الوصف
٩٨	- الإخوانيات
١٠١	- الزهد
١٠٣	- الحكمة
١٠٥	- الخمریات
١٠٧	- الفخر
١٠٩	- الهجاء
١١٢	ثانياً: موضوعات نثره
١١٥	رسائله الإخوانية
١٢٠	التوقيعات
١٢٢	المفصل

الفصل الثالث: الخصائص الفنية في أدب الوزير المهلبی

أولاً: خصائص شعره:

١٢٣	- بناء القصيدة
١٢٤	- الألفاظ و الأساليب
١٣١	- المحسنات البديعية
١٣٣	- الموسيقى الشعرية
١٣٧	- الصور والأخيلة
١٤١	- المعاني

ثانياً: خصائص نثره:

١٤٣	في المقطوعات النثرية
١٤٥	في رسائله الإخوانية
١٤٨	الخاتمة

ملحق رقم (١) المستدرك على شعر الوزير المهلبی

١٥٨	المصادر والمراجع
-----	------------------

Abstract

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلامُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا علمَ لنا إلا ما علّمتنا، إنك أنتَ العليم الحكيم، وبعد:

فإن صلتني بالوزير المُهَلَّبِيّ وبيئتي، كانت عندما درستُ مادةَ الأدب العباسي في جامعة اليرموك، وتعرفتُ إلى نخبةٍ من أعلام هذه البيئة، ولما بدأت بالتفكير في اختيار عنوانٍ يصلحُ بحثاً لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، فاخترت الأديب الوزير المُهَلَّبِيّ موضوعاً لدراستي هذه، لأنّه لم يلقَ من الباحثين ما لقيهُ غيره من الأدباء، ولم يُخصَّ بدراسةٍ مستقلة.

وإن نتاجه الأدبي لم يصل في كتاب مستقل، بل جاء شعره ونثره مبعثراً في كتب الأدب والتراجم على شكل مقطوعاتٍ قصيرة، وأبيات شعرية، الأمر الذي جعل الدارسين يزهدون في دراسته وبحثه.

ورأيتُ أنه من غير المعقول أن يظل الرجل طيّ النسيان، فداومتُ على البحث والتتقيب في الكتب والمصادر، فلم أجِدْ دراسةً متخصصةً في هذا، ووجدتُ مقالةً كتبها جابر عبد الحميد الخاقاني بعنوان "شعر الوزير المهلب" في مجلة المورد المجلد الثالث العدد الثاني في سنة ألف وتسعمائة وأربع وسبعين جمَعَ فيها ما توافر له من شعره. ومقالة أخرى لحسن الأمين بعنوان "الوزير المهلب" في مجلة العربي العدد مائة واثنان وأربعون في سنة ألف وتسعمائة وسبعين فيها بعض أخباره، وتوقيعاتٍ جمعها الأستاذ الدكتور صلاح جرار والدكتور محمد الدروبي في كتابهما "جمهرة توقيعات العرب".

وقد أفدتُ من كتاب فاطمة الموافقي "الحياة الأدبية في بلاط البويهيين" وكتاب محمود غناوي "الحياة الأدبية في ظل بني بويه" ولكنهما لم يفردا في كتابيهما دراسةً متخصصةً عن الوزير المُهَلَّبِيّ، بل اقتصرا على ذكر نُقُفٍ من أخباره كوُثُه وزيراً أديباً في العصر الذي كتباه عنه.

أما كتاب "الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويه" لعبد اللطيف عمران، فقد خصَّ كتابه للحديث عن الأدب في فترة عضد الدولة البويعي الذي تولى الحكم سنة ٣٦٦هـ، وهي فترةٌ تلت فترة الوزير المُهَلَّبِيّ كما هو معروف.

وقد رغبت أن أزيل الغموضَ عن الوزير المُهلِّي الأديب، وأن أرسم له صورةً تساعدُ على رسم صورته الشخصية والأدبية بقدر ما تُسَعِّفني به المصادرُ والكتبُ، أملّة في أن أضيفَ رافداً جديداً إلى مكتبة الأدب العربي في العصر البويهّي .

وأما المصادر التي اعتمدتُ عليها في دراستي، فقد انحصرت في: كتب التراجم والسّير، ومن أهمها كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، والوفاي بالوفيات للصّفدي، وفوات الوفيات للكتّبي، وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرهم، وقد أفادتني هذه الكتب إفادة عظيمة من ناحيتين: الأولى معرفة اسمه ونسبه وبعض أخباره وصلاته، والثانية في توثيق شعره، و"معجم الأدباء" لياقوت الحموي، وهو كتاب مهم جمع بين كتب التراجم وكتب الأدب فقد أورد له ترجمة طويلة، وحفظ لنا كثيراً من أخباره التي انفرد بها، فضلاً عن كثير من مقطوعاته الشعرية.

وفي المجموعات الشعرية، ومنها يتيمة الدهر لأبي منصور التّعالبي وقد أمدت البحث بمادة وافرة ومهمة، أفدتُ منها في معرفة أدبه، وطريقة كتابته في النثر والشعر، وزودتني بأخبار عددٍ كبير من الشعراء والأدباء الذين اتصلوا بالمُهلّي.

وفي كتب التاريخ ومنها "تجارب الأمم وتعاقب الهمم" لمِسْكويه وهو كتابٌ يعطينا فكرةً واضحةً عن حياة المُهلّي الوزير ببغداد، وقد أورد أخباراً مهمّة نقلها مباشرة عنه، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير و"المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزي .

وفي كتب المجموعات العامة ككتاب "زهر الآداب" للخُصْري، و"كتاب نُزْهة الجليس ومنية الأديب الأنيس" للمكي الحسيني الموسوي، و"كتاب التذكرة الحمدونيّة" لابن حمدون، التي نقلت لنا أخباره ونوادره وبعضاً من أشعاره وعباراته النثرية، ومنها كتاب "الصّدّاقة والصّدّيق" لأبي حيان التوحيدي الذي أثبت لنا رسالة من رسائله الإخوانية، وكتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" لأبي علي المحسن بن علي التتوخي الذي أخذت منه كثيراً من أخباره التي تعكسُ صورةً صادقةً عن حياته.

أما المراجع الحديثة فقد قرأت كثيراً منها: ككتب شوقي ضيف "عصر الدّول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران)، والفن ومذاهبه في الشعر العربي، والعصر العباسي الثاني. وكتاب اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ليوסף بكار، وكتاب اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع من خلال يتيمة الدهر لنبيل أبو حاتم وغيرها.

وأقمت دراستي في ضوء ما تجمّع لديّ من أخبار ومعلومات من هذه المصادر والمراجع، وقد عُدتُ إلى المصادر التي عاد إليها جامع أشعار المهلبيّ جابر الخاقاني وذلك لتدقيقها ولضبطها، وليسهّل ذلك أمر دراستها.

وجعلتُ دراستي في تمهيدٍ وثلاثة فصول، قدّمت في التمهيد نظرة سريعة عن حال العصر البويهي من النواحي السياسية والاجتماعية والأدبية لأرى مدى تفاعله مع أحداث عصره وتأثيرها فيه، وختمت بخاتمة لخصت فيها ما توصلت إليه من نتائج.

وقد خصصتُ الفصل الأول للحديث عن حياته، وثقافته، وسرّته معه من ولادته في سنة مئتين وإحدى وتسعين للهجرة، حتى وفاته في سنة ثلاثمائة واثنين وخمسين للهجرة، فتوقفت عند اسمه ونسبه ونشأته وعائلته، ووزاراته وأعماله ونكبته وشخصيته وأخلاقه ومذهبه، ثم تحدثت عن ثقافته التي تظهر من خلال شعره وآثاره الأدبية، ثم توقفت عند الشعراء والأدباء الذين كان لهم صلة به، وختمت الفصل بالحديث عن مكان وفاته وظروفها.

أما الفصل الثاني فقد جعلته للحديث عن موضوعات أدبه: شعره ونثره، فتحدثت أولاً عن موضوعات شعره من غزل ووصف وإخوانيات وزهد وحكمة وخمريات وفخر وهجاء، ورسمت في هذا الفصل جوانب حياته الأدبية من خلال شعره، ومضمونه وطريقته في كل موضوع، ثم تحدثت عن موضوعات مقطوعاته النثرية ومضامين رسائله التي بعث بها إلى أصدقائه، وتوقعاته التي وقع بها على الكتب التي وصلت إليه.

أما الفصل الثالث فقد تحدثت عن الخصائص الفنية لأدبه: شعراً ونثراً وسجلت ما تميزت به لغته الشعرية وأسلوبه، وما أفاد من معاني الشعراء الذين سبقوه أو عاصروه، وتحدثت عما استخدم من الأوزان الشعرية والقوافي في شعره، ولقد درست في هذا الفصل أيضاً نثره: ظروفه وطبيعته.

وحرصاً على أشعار المهلبيّ من الضياع ورغبة في جعل هذه الرسالة تضيف الجديد، فقد أضفت ما فات الخاقاني الوقوف عليه وصحّت نسبته إلى الوزير المهلبيّ، وقد بلغ ذلك اثنين وخمسين بيتاً من الشعر خرجتها على شاكلة عمل الخاقاني حسب القوافي حرصاً على اتساق العمل.

وقد واجهتني في هذه الدراسة صعوبات منها: تكرار المصادر أخبار المهلبي وتكرّر أشعاره، كما أنّ ضياع مؤلفاته التي ألفها كانت من الصعوبات التي حرمتنا من النظر في مؤلفاته ككل واحد لنعرف منهجه في التأليف ونصوصه كاملة، ومن الصعوبات الخوض في كتب التاريخ خاصة كتب المؤرخين أصحاب الأهواء، والبحث في الشخصيات التاريخية، إضافة لغموض المناسبة التي قيلت فيها أشعار الشاعر ونثره.

ولا يسعني في الختام إلا أن أتقدم من أستاذي الدكتور عبد الرحمن الهويدي بالشكر الجزيل على ما بذل من جهد وتوجيه لإخراج هذا العمل.

هذه دراستي آملّة أن أكون قد وقّعت في إزاحة الغموض عن الأديب الوزير المهلبيّ، هذا ما استطعته على الرغم من الظروف الصعبة التي اكتتفت كتابة هذه الرسالة فإن أصبتُ فيها ونعمتُ، وإن أخطأتُ فعذري أنني اجتهدتُ ما وسعني الجهد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله ولي التوفيق

التمهيد

ملامح العصر البويهى

لما كان الأدب ابن بيئته والأدباء أبناء بيئاتهم ومجتمعاتهم، فقد كان لزاماً علينا - قبل دراسة أي أديب في أي بيئة - أن نتناول بالبحث ذلك العصر الذي أنبت هذا الأديب وأخرجه، وأن نعنّى ببحث الأجواء السياسية التي أحاطت به، والحياة الاجتماعية التي نشأ في كنفها، والحالة الفكرية التي تغذى بثمارها، والأجواء الأدبية التي كانت متنفساً له، لما لذلك كله من أثر كبير في خلق الأديب وتوجيه ميوله.

وقد رأيت قبل البدء بدراسة الموضوع أن أتناول بيئة هذا الأديب بنواحيها السياسية والاجتماعية والأدبية حيث سيكون لها أثر كبير في أدب الوزير المَهَلَّبِيّ.

ولقد جاءت دراسة العصر البويهى عند دارسين كثيرين مع دراستهم لغيره من العصور أو الدول السابقة واللاحقة له، وكانت بحوثهم هذه سلطت الضوء على الجوانب السياسية والاجتماعية وأجملت الحديث عن الأدب شعراً ونثراً. إلا أن كتاب "الحياة الأدبية في بلاط البويهيين" وكتاب "الأدب في ظل بني بويه" وكتاب "الأدب في ظل عضد الدولة البويهى" قد كانت دافعاً لكثير من الدارسين كي يتابعوا دراسة كثير من الظواهر الأدبية الجديرة بالدراسة والتي لم توف حقها من البحث في هذا العصر .

أولاً: الحالة السياسية:

بسطت الدولة الإسلامية ملكها على أرجاء مترامية من الأرض شرقاً وغرباً، وامتد نفوذها إلى أقطار متباعدة مختلفة ديناً ولغة وعادات وتاريخاً وثقافة، وتداخلت عوامل الاختلاف هذه عندما وحد الإسلام ما بين شعوبها، فأصبحت واحدةً بنعمة الله وقوة الخلافة الإسلامية.

وما أن ضعف الخليفة في بغداد حتى تفرق هذا الملك الواسع تفرقاً غريباً، بعد أن كان متماسك الأعضاء يرجع كله إلى حاضرة كبرى تجمع

شملة^(١)، حتى تمكنت هذه الأمم من الانفصال والاستقلال بدويلات قوية نشيطة، تنافس كل منها الأخرى في شتى جوانب الحياة: فاستقل القرامطة بالبحرين واليمامة، والحمدانيون بالموصل وحلب والجزيرة العراقية، والأخشيديون بمصر والشام، والفاطميون بالمغرب وأفريقيا، والسامانيون بخراسان وتركستان، والديالمة بالعراق وفارس^(٢)، وأصبح التنافس بين هذه الإمارات الجديدة شديداً، وحاول كل من حكام هذه الدويلات ووزرائها اجتذاب العلماء والأدباء ارتفاعاً بإمارتهم عن غيرها، الأمر الذي أدى إلى نشاط الحركتين الأدبية والعلمية نشاطاً كبيراً، على الرغم من التفكك السياسي والتأخر الاقتصادي والاجتماعي في مختلف مناطق الخلافة، حيث عمّت الفوضى وكثر فيها الفساد وتقلص ظل الخليفة وتناقص سلطانه.

بنو بويه:

هي "دولة من الجند الديلمي أي فرق الجنود التي كانت تجند من جبال الديلم جنوبي بحر قزوين، وهي ولايات طبرستان وجرجان وجيلان"^(٣). وقد ساد من بني بويه ثلاثة أشقاء استطاعوا ببسالتهن وسخائهن وحسن حيلتهن أن يقودوا الجيوش، وأن ينشروا سلطانهم على رقعة كبيرة من الدولة الإسلامية، وكان أبوهم "بويه بن فناخسرو" المكنى بأبي شجاع^(٤). وأول من ظهر من الديلم الأخ الأكبر وهو علي بن بويه^(٥) الذي "اغتنم فرصة الخلاف بين قادة الديلم، وانتقل من القتال مع ماكان بن كاكي^(٦) إلى

(١) محمد الخضير بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص ٣٧٩.

(٢) بدوي طبانة، صاحب بن عباد الوزير الأديب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ص ٤.

(٣) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢٣٣.

(٤) بدوي طبانه، صاحب بن عباد الوزير الأديب، ص ١٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٧٧.

(٦) ماكان بن كاكي: قائد تركي من قادة الديلم وهو صاحب جرجان، مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ج ١، ص ٢٧٧.

القتال مع خصمه مرداويج بن زيار^(١)، وكان في هذا الانتقال، حسن حيلة وسدادة بصيرة ... فكافأ مرداويج على انضمامه إليه بولاية أمر الكرج (جنوب شرق همدان) وكانت هذه المكافأة منطلق الدولة البويهية ومنبعها^(٢).

أما الحسن بن بويه وهو الأخ الثاني فقد تم له الاستيلاء على الري وغيرها بعد حروب طويلة، ثم خطر ببال علي بن بويه أن يستولي على الأهواز والعراق، وشجعه على ذلك ضعف الخلافة في بغداد، فسير أخاه الأصغر أحمد بن بويه إلى الأهواز فاستولى عليها^(٣)، وما لبث أن ولي العراق ودخل بغداد، ونزل الديلم والأترارك دور الناس، حتى لحق الناس شدة عظيمة^(٤)، فكانت المجاعة والاضطرابات والفتن والفوضى تهددها، إذ صارت الخلافة العباسية ضعيفة والخليفة لا يملك من أمره شيئاً، وكان ذلك عام ٣٣٤هـ في عهدا لخليفة المستكفي بالله الذي أقره بالحكم ومنح أولاد بويه الألقاب، فلقب أحمد معز الدولة وعلياً عماد الدولة وحسناً ركن الدولة، ثم أمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدينار والدراهم^(٥) وبذلك تقلص ظل الخلافة العباسية التي لم يبق لها سوى بغداد. بينما تحارب معز الدولة مع الحمدانية في الموصل ومع البريديين ومع القرامطة وسواهم، وخرج من هذه الصراعات وبولته الجديدة أعز جانباً وأوسع رقعة^(٦). ونقف عند هذا الحد من أخبار بني بويه لنصل إلى صاحبنا الوزير المهلبى، الوزير الأديب في عهد معز الدولة البويهى، ولقد كان لهذه الحالة السياسية المضطربة أثر على حياة المهلبى، إذ انخرط في حروب معز الدولة الكثيرة خلال وزارته الطويلة، مما أثر على أدبه وكان سبباً في قلته.

(١) مرداويج بن زياد: قائد فارسي، حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ٢٣٣.

(٢) عبد اللطيف عمران، الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهى، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ص ١٦-١٧.

(٣) محمود غناوي الزهيرى، الأدب في ظل بني بويه، مطبعة الأمانة، مصر، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، ص ٢٥.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٢، ص ٨٥.

(٥) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٨٥.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٢، ص ص ٨٩-٩٤.

وقد شهد هذا العصر من النكبات والحروب والغدر والتكيل بالخلفاء العباسيين الذين امتدت فترة حكمهم من خلافة المستكفي إلى القائم مروراً بالمطيع والطائع والقادر، ففي سنة ٣٣٤هـ دخل معز الدولة دار الخليفة المستكفي ووقف بين يديه، وتقدم اثنان من الدّيلم ومدا أيديهما إلى المستكفي فعلا صوتهما بالفارسية، فظن إنهما يريدان تقبيل يده فمدها إليهما فجذباه وطرحاه أرضاً وساقاه إلى دار معز الدولة، حيث خلع وسملت عيناه وأقيم مكانه المطيع خليفة^(١). وخلف ذلك أهوالاً ومصائب، تقشعر لها الأبدان، ففي سنة ٣٤١هـ وقع حريق عظيم ببغداد، فاحترق فيه للناس مالا يحصى^(٢). وخلفت هذه الحياة المضطربة ويلات وحروباً لم تعد على الناس إلا بالضرر، من المجاعات وخلع الخلفاء وسمل أعينهم إلى صراعات كثيرة بين العصابات.

ثانياً: الحالة الاجتماعية:

ضعفت الخلافة العباسية وزال مجد العرب أو كاد، وآلت السلطة إلى العناصر التركية والفارسية وغيرها، حتى وجدت الأعراف والتقاليد والعادات والأنظمة الفارسية مجالاً تحيا فيه، فتمللت الأمة الفارسية، وبرزت مظاهر حياتها الاجتماعية من جديد في المجتمع العربي الفارسي الإسلامي، وبرز هذا المجتمع مقسماً إلى طبقات متباينة، تحدد طبيعة كل منها سمات اقتصادية واجتماعية وأدبية وخلقية، وعادت إلى هذا المجتمع مظاهر وسلبات خلقية واجتماعية - كان الدين الحنيف والسلطان العربي قد قضيا عليها بعد أن أحكما قبضتهما على المجتمع - منها المجون والغناء وشرب الخمر وهي التي ألفها المجتمع البويهى بفعل انكباب الناس عليها وأولهم أولو الأمر الذين أقبلوا على مجالس الشرب والأنس والطرب والخمر يترقون أنفسهم فيها.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٦، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٨، ص ٣٥٠.

(٢) المصدر ذاته، ج٨، ص ٤٩٩.

ولقد تكوّن المجتمع البويهى من طبقات ثلاث، طبقة الأرسقراطيين وهي الطبقة المترفة المكونة من الخليفة والأمراء والوزراء والولاة وكبار الموظفين والإقطاعيين، وقد عاشت هذه الطبقة حياة مترفة بسبب الأموال الكثيرة التي كانت تنعم بها، بل "إن دولتهم قامت منذ بدايتها على النهب وكثرة العناية بجمع الأموال"^(١)، والتي تجمّعت لديها عن طريق الضرائب الكثيرة المحصلة من الشعب، ونذكر أيضاً ما جرى عليه الأمراء البويهيين من عزل لوزرائهم ومصادرة أموالهم وقتلهم، ونهاية الوزير المُهَلَّبِيّ خير مثل لذلك، فصادر معز الدولة سنة ٣٥٢هـ كل ما خلفه المُهَلَّبِيّ لأولاده، "وقبض على عياله ومن دخل إليه حتى المكاريين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته، وحبسهم فأثار ذلك استياء الناس واستنكارهم"^(٢). وقد كان ينفق جزءاً من هذه الأموال على الجند وحاجات البلاد وما يتبقى يصبح ملكاً للحاكم ينفقه في ترفه ونعيمه.

وإن ظهور هذا الثراء الفاحش في أسلوب العيش في الأوساط الغنية، أدى إلى انتشار ظاهرة الترف المسرف، فنجدهم يتأنقون في المأكّل والمشرب واللباس والسكن، فينشئون القصور الفخمة ويحيطونها بالحدائق والبساتين الجميلة ويزينونها بأدوات الترف وصنوف الزينة، ونراهم أيضاً يمعنون في الجري وراء شهواتهم حتى بلغوا في ذلك حد الإفراط^(٣)، ومحاولة منهم للظهور في الأحوال بمظهر الأبهة والملك.

وقد اشتهرت هذه الطبقة بمجالس الأنس والشراب التي كانت تعقدّها فمنها مجلس الوزير المُهَلَّبِيّ وكثير من الوزراء والسلاطين والأمراء، ويحدثنا الثعالبي في "يتيمة الدهر"^(٤) وغيره عن هذه المجالس وما كان يجري فيها، فالندماء كانوا يطرحون الحشمة ويتبسّطون في القصف والخلاعة.

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ٢٧٨.

(٢) المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) محمود غناوي الزهيري، الأدب في ظل بني بويه، ص ٣٤.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحه، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٣٩٤.

وكانت هذه المجالس تعوم بالسماع وغناء الجواري والمغنين وألوان الفاكهة والرياحين وأقداح الشراب حيث أن الشرب معتاد فيها، وقد ساعد على بقاء هذه المجالس حياة مستمرة مشاركة خلفاء بغداد فيها، حيث كانوا هم وأبنائهم يضعون الألحان لبعض الأغاني^(١)، فكان المغنون والمغنيات يأخذون بمجامع قلوبهم، بل كان الخليفة يدعو للشرب فيروي صاحب دعوة المطيع للمهابي الوزير للشرب: "حضرت الوزير المهلبي يوماً، وقد جاءه خادم عمر المطيع، وفي يده رقعة وفيها غنى لنا بيتين وهما :

عَرَجَ عَلَى الْفَقَصِ وَحَانَاتِهَا وَأَسْقِنَا فِي وَسْطِ جَنَاتِهَا
وَعَلَّلَ النَّفْسَ وَلَوْ سَاعَةً فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِسَاعَاتِهَا^(٢)

وأما الطبقة الثانية وهي الطبقة الوسطى التي نعمت بالغناء واللهو بعض الشيء، وبالقدر الذي يجعل حياتها تسير هادئة دون اضطراب، وهذا هو شأن هذه الطبقة في كل مجتمع وكل عصر، وتتكون من صغار المواطنين والتجار والصناع والقضاة والعلماء^(٣).

وأما الطبقة الثالثة فهي طبقة العامة فإن نصيبها من الترف والنعيم كان قليلاً، إلا ما قد تنعم به في الأعياد العامة^(٤)، إذ كانت تنعم بشيء منه في بعض طعامها وزينتها، لكنها في غالبيتها عانت الضنك لكثرة الضرائب الفادحة^(٥) التي كانت تجبى منها ولقلة ما يعود عليها من الكسب ولقد صارت هذه الطبقة أحياناً إلى البؤس وكثرة العيارين ببغداد طول القرن الرابع والخامس الهجريين^(٦) بسبب قلة مواردها، وأدت هذه الحياة ببعضهم إلى

(١) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران)، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٥٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٦٢٦.

(٣) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران)، ص ٢٥١.

(٤) المرجع ذاته، ص ٢٥٩.

(٥) محمود غناوي الزهيري، الأدب في ظل بني بويه، ص ٤٥.

(٦) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران)، ص ٢٦.

الإقبال على المجون والانغماس فيه مشاركين الطبقة العليا مع فارق الأسباب والدوافع.

وعاشت هذه الطبقة تتحمل نتائج الاضطراب السياسي الذي أدى لخراب الاقتصاد وفساد الأخلاق وتغير القيم واهتزازها، فالفلاحون وأصحاب الأراضي تعرضوا لصنوف الضرائب والمصادرات، حتى كانوا يضطرون للهجرة من أراضيهم وممتلكاتهم^(١)، وكذلك الأمر بالنسبة لأرباب الحرف والصناعة. ومن هنا تفرقت بهم السبل إلى الحياة المادية، فأجازوا بيع العرض وإراقة ماء الوجه والسطو وقطع الطرق واللصوصية. ومنهم من ترك هذه الحياة كلها "فاحتقروها ووقفوا منها موقفاً سلبياً، فصوروا الحياة بصورة قائمة، أولئك هم المتصوفة والزهاد"^(٢).

فلا عجب لدينا من شيوع المجون وانتشار اللهو والعبث والخلاعة والاستخفاف، ومن كثرة الحديث عن هذه الحياة وألوانها المتعددة على ألسنة شعراء كثيرين امتلأ بهم هذا العصر كالسلامي^(٣) وابن سكرة^(٤) وابن حجاج^(٥).

(١) بسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٩٦-١٠٠.

(٢) محمود غناوي الزهيري، الأدب في ظل بني بويه، ص ٥٢.

(٣) السلامي: من أشهر أهل العراق عربي الأصل من بني مخزوم، روى له صاحب السيرة كثير من الأشعار، حلو الكلام، متسق النظام، جميل الملابس، كلامه ليطة (التصق) بالحق، وعبث بالروح. التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه ربيع شماسه أحمد أمين، وأحمد الزين، ط ٢، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، ج ١، ص ١٣٤.

(٤) ابن سكرة الهاشمي: أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن سكرة الهاشمي من آل البيت، يتصل نسبه بعلي بن المهدي العباسي، وهو شاعر متسع الباع في أسواع الإبداع، فائق في قول الملح والظرف، جار في ميدان المجون والسخف. الثعالبي، السيرة، ج ٣، ص ٣.

(٥) ابن الحجاج (ت ٣٩١هـ) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن الحجاج شاعر فحل من شعراء العصر البويهري، غلب على شعره الفحش والمجون نسب إلى جدّه يسمى الحجاج، سخيّف الطريقة بعيد من الجد، ليس للعقل من شعره منال، يخطو خطى ابن سكرة الهاشمي، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٩، ص ٢٠٦، التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج ١، ص ١٣٧.

أما الأعياد فقد كان المجتمع كله على اختلاف أديانه، يشارك فيها فيحتفل بأعياد المسلمين والفرس والنصارى على حد سواء، لكن المظاهر في أعياد الفرس كانت مميزة، كالنيروز والمهرجان، وهي أعياد رسمية للحكومة والشعب معاً^(١)، حيث تزين بغداد كلها بالألوان الزاهية، وتشعل النار في السفن والزوارق بدجلة، وتخرج العامة للفرجة عليها وبأيديهم الشموع^(٢).

ويجب ألا ننسى أن بيئات كثيرة في العراق وفارس بقيت تحافظ على طابعها العربي الإسلامي، وظلت الروح والثقافة والتقاليد والأعراف الإسلامية حية في نفوس أصحابها، ولم تعد هذه البيئات بذوراً مشرقة أثمرت العلوم والآداب وزادت من نشاطهما، وأنشأت مظاهر مدنية رائعة بين أفرادها، وقد كثر فضلاؤها كثرة جعلت كثيراً من المؤلفين يعنون بوضع كتب تحوي أسماءهم. وتحدث عن أدبهم وفضلهم وعلمهم، وسيطول بي الحديث لو تكلمت عن كل ما كتب عن أهل الفضل في هذا المجال في ذلك العصر. فلا عجب أن تخرج هذه البيئات شعراء فضلاء أبناء لزمانهم مثل الشريف الرضي^(٣) ومهيار الديلمي^(٤) وابن نباتة السعدي^(٥) والسري الرفاء^(٦) وأبو الفرج الأصفهاني^(٧) وغيرهم.

(١) محمود غناوي الزهيري، الأدب في ظل بني بويه، ص ٣٨.

(٢) المرجع ذاته، ص ٢٥٩.

(٣) الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الطاهر أبي أحمد الحسين من سلالة جعفر الصادق الموسوي توفي في بغداد ٤٠٦ هـ، الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٣١.

(٤) مهيار الديلمي: أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي الفارسي الأصل من شعراء بغداد، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٨، ص ٩٤.

(٥) هو أبو نصر عبد العزيز، له ديوان كبير ولد سنة ٣٢٧ هـ، ديوان ابن نباتة السعدي، دراسة وتحقيق عبد

المنعم، حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧ م، ج ١، ص ٣٨.

(٦) السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء، يقول الثعالبي في يتيمة الدهر: "بلغني أنه أسلم صبياً من الرفائين بالموصل، فكان يرفو ويطرز، إلى أن قضى باكورة الشباب، وتكسب بالشعر"، الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٣٧.

(٧) هو علي بن الحسين الأموي الأصفهاني الأصل، البغدادي المنشأ، كان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفاتها، له شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان ظرفاء الشعراء، وهو كاتب

وكان الوزير المُهَلَّبِيّ من الوزراء الأدباء الذين عاشوا في هذا العصر، وكان له أثر ذو اتجاهين كونه أديباً يقول الشعر ويكتب النثر وكونه وزيراً يشجع على الأدب وفنونه.

ثالثاً: الحالة الأدبية

كانت الحالة الأدبية حية حافلة تموج بالعلم والأدب في شتى نواحي المعرفة، واستمرت العلوم والفنون والآداب تؤتي ثمارها التي بذرت بذورها في العصور السابقة، وما هذا العصر إلا دور هضم لهذه العلوم والفنون لتبدو آثارها كاملة تامة.

وإننا عندما نسمع عن الخلافة الإسلامية الممتدة التي سادها الانقسام والتفكك السياسي والاضطراب والفوضى والحروب والفتن التي عَظُمَت بين الأتراك والديلم، والنزاع بين السنة والشيعة، ورغم ذلك يعد هذا العصر "أحفل العصور العربية بالنشاط الأدبي والعلمي والفلسفي"^(١)، حيث امتازت الحياة الثقافية باحتشاد طائفة من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء واللغويين والحنابلة، ومحمود غناوي الزهيرى في كتابه "الأدب في ظل بني بويه" وفاطمة الموافى في كتابها "الحياة الأدبية في بلاط البويهيين" ممن كتبوا في هذا الجانب.

ولعل السبب في هذا النشاط أن الدويلات الجديدة الناشئة هيأت لحركة أدبية وعقلية واسعة، فقد أخذت تتسابق في استقطاب العلماء والأدباء، "إذ كان كل حاكم في إمارة من هذه الإمارات يختار في حاشيته جماعة من الأدباء الممتازين لينافس بهم حكام الإمارات والدول الأخرى"^(٢) ولتجميل موطنه بهم إما تكبراً وعظمة من الحاكم ورغبة منه في إحاطة نفسه بهذه

وشاعر ومؤرخ. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٢٧، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٩٤.

(١) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٨، دار المعارف، مصر، ص ٢٠١.

(٢) المرجع ذاته، ص ٢٠٢.

المظاهر الأدبية، أو رغبة في اتخاذهم لساناً يتحدث به ويتوعد^(١)، إذ لم تعد المنافسة مقتصرة على التناوب الحربي والسياسي، بل تعدته إلى العلوم والفنون والآداب.

وأستطيع أن أضيف إلى ذلك ما علمنا من استقلال هذه الإمارات بأموالها وذلك بأن هيات لها الظروف حرية التصرف بهذه الأموال، فلم تعد ملزمة بإرسالها إلى بغداد؛ مركز الحكم وعاصمة الدولة الوحيدة، فقد تعددت العواصم بتعدد الإمارات واستقل كل أمير بولايته وشؤون حكمه وعوائد أمواله، وعند هذا ينتهي العصر العباسي الأدبي ويدخل الأدب العربي بعد ذلك عصر الدول والإمارات^(٢)، ولا بد أن يكون نصيب العلماء والأدباء كبيراً من هذه الأموال تشجيعاً لهم على إعطاء المزيد في كل علم وفن ولون فنعم هؤلاء في ظل المال الوفير ونعمت الإمارات بإنتاجهم وإبداعهم في المجالات المختلفة.

فأصبحت هذه الإمارات مركزاً علمياً تنافس بغداد عاصمة الخلافة باستقطابها الأفاضل في العلوم والفنون والآداب، فتعددت العواصم والمراكز العلمية وكثرت فيها مجالس الحكام والوزراء التي كانت تعقد لاستقبال هؤلاء الأفاضل، فكان هذا تشجيعاً لهم على الإقبال عليها والارتحال إليها من كل حذب وصبوب، إذ ما زالت ديار الإسلام مفتوحة لكل طارق، فيجد فيها من النجدة والاحترام والتشجيع ما يدفعه إلى كثير من العطاء والإبداع.

كما أن هؤلاء الحكام والأمراء والوزراء لم يكتفوا باستقطاب أهل العلم والأدب واحتضانهم ورعايتهم بل إن أكثرهم - خاصة أمراء البويهيين - كانوا كذلك أدباء أو شعراء يتذوقون الشعر ويقرضونه ويعقدون المجالس والحضرات الكبيرة لنقده والحكم عليه وإجزال العطايا لأهلها، وهذا هو الوزير المَهْلَبِيّ خير مثال على ذلك.

ومن جهة أخرى نجد أن بني بويه يحبون العلم والأدب ولا يستوزرون ولا يستكتبون إلا العلماء والشعراء والكتاب، فكان أشهر أدباء

(١) الثعالبي، نثر النظم وحل العقد، ص ٢.

(٢) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص ٥.

العصر من وزرائهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم^(١)، فصار الأدب بذلك أداة للكسب وسلعة رائجة يتداولها الناس عامة، فأقبلوا عليه ليفتحوا لأنفسهم أبواب الرزق، فانتسح بذلك نطاق الأدب وعم طبقات المجتمع.

ولا يغيب عن بالنا أن العرب المسلمين في المشرق، قد تمكنوا إلى القرن الرابع الهجري من الاطلاع على علوم وفنون الأمم المختلفة بفعل الاختلاط والتمازج، فانتسعت مداركهم وتمكنت ملكاتهم من الدرس والشرح والمقارنة والتحليل والبحث الدقيق ومن ثم التأليف الذي اتسع نطاقه ورقيت بحوثه، وظهرت آثاره واضحة في أدب ذلك القرن والقرون التي تلتته.

(١) بدوي طبانه، صاحب بن عباد الوزير الأديب، ص ٣٢.

الفصل الأول

سيرة الوزير المهلبي وآثاره

اسمه ونسبه:

أجمعت المصادر التي ترجمت للوزير المهلبي على أن اسمه الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة^(١). وكنيته أبو محمد، ولم يشذ أحد منها في ذلك إلا الباخري الذي ذكر أن كنيته هي (أبو القاسم)^(٢)، وقد تفرد هو بهذه الرواية.

وأضافت المصادر إلى سلسلة نسبه لفظة المهلبي بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وبعدها باء موحدة، نسبة إلى المهلب بن أبي

(١) ابن النديم، الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له يوسف علي طويل، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٢١٧، مسكويه، تجارب الأمم، نشره هـ.ق. أمدرود، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص ص ١٢٤-١٩٧، الثعالبي، يتيمة الدهر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ٢، ٢٥٦، الحصري، زهر الآداب، تحقيق زكي مبارك، ط ٤، دار الجبل، بيروت، د.ت، ج ١، ص ١٨٠، ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيسر أبو فرح دي - فل (برنستن)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ص ١٠٣-١٠٦، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج ١٤، ص ١٤٢، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٦٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج ٢، ص ١٢٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، حوادث ووفيات ٣٥١، ص ٩: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ١٦، ص ١٩٧، الصقدي، الوافي بالوفيات، تحقيق : هلموت ريتز ورفاقه، فرانز شتاينر، شتوتكارت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج ١٢، ص ص ٢٢٣-٢٢٧، الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق الحسن بن علي، دار صادر، بيروت، ج ١، ص ٣٥٣، ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٣٨٢، ابن العماد، شذرات الذهب، تحقيق عبد القاهر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ج ٤، ص ٢٧٤، الزركلي، الأعلام، ط ١٠، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٢١٣.

(٢) الباخري، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق سامي مكّي العاني، ط ٢، مكتبة العروبة، الكويت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٢٣.

صُفْرَة^(١)، وقد اتفقت كتب التراجم والسير والتاريخ على اسمه هذا، إلا أن صاحب كتاب "زهر الآداب" ذكر أن اسمه الحسن بن هارون^(٢)، ويبدو أنه أسقط اسم أبيه (محمد) واسم جده (عبدالله)، ويقول صاحب جمهرة أنساب العرب في سلسلة نسبه: "قبيصة من إخوان المهلب بن أبي صفرة، ولد قبيصة: حاتم وحفص وعثمان، فولد حاتم بن قبيصة رَوْح ويزيد وكلاهما ولي أفريقية والسند، فولد يزيد بن حاتم المغيرة (قُتِلَ بالسند) وداود (ولي السند وأفريقية) وخالد (ولي جرجان) وهو الذي يهجو أبو عيينة المُهَلَّبِيَّ، وعبدالله ومحمد وإسحاق وسعيد وزيد والمهلب وكلهم بنو يزيد بن حاتم ولهم إخوة غيرهم، ومن ولد عبدالله بن يزيد بن حاتم هذا كان المُهَلَّبِيَّ وزير أحمد ابن بويه الأقطع الديلمي صاحب بغداد. وهو الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم"^(٣).

وكان يزيد بن حاتم المُهَلَّبِيَّ صاحب أفريقية في أيام الهادي من القادة الشجعان، وُلِّي أفريقية للمنصور في السنة ١٥٤هـ، واستمر والياً عليها خمس عشر سنة بقية أيام المنصور، المهدي، الهادي، وتوفي هو والهادي في نفس السنة، أي في سنة ١٧٠هـ^(٤).

أما نحن فنستطيع أن نطمئن إلى أن ما أوردناه آنفاً هو اسم شاعرنا، وإلى أن نسبه ينتهي إلى قبيلة الأزدي اليمنية، تلك القبيلة العربية العريقة، فشاعرنا إذا عربي، وقد غُتَّتْ العكبراوية: في حضرة الوزير المُهَلَّبِيَّ:

سَلَامُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْيَمَانِي لَقَدْ غَلَبَ الْبَعَادُ عَلَى التَّدَانِي^(٥)

(١) هو: المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة الأزدي، ظالم بن سَرَّاق بن صبح بن كندي بن عمر بن عدي، أمير خراسان، القائد العربي الأزدي الشجاع، ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، نشر وتحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٣٦٨هـ - ١٩٨٤م، ص ٣٤٩، السمعي، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ج ٥، ص ٤١٨.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج ١، ص ١٨٠.

(٣) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٤) الرزكلي، الأعلام، ج ٩، ص ٢٣٠.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧١.

فأصول الرجل عربية عريقة، وقد كان يفخر بنسبه وأجداده خاصة بأبي عيينة المهلب^(١) الذي كان من عمومته، وكان يحفظ أكثر أشعاره^(٢)، ويتأسف على ما فاتته من زمانه، يقول المهلب:

إِنِّي وَصَلْتُ مَفَاخِرِي لِأَبِي	حَازَ الْفَخَارَ وَطَاوَلَ الْعَلِيَا
وَأَجَابَ دَاعِيَهُ وَخَلَفَنِي	وَحَدِيثُهُ فَكَأَنَّمَا يَحْيَا
وَتَلَوْتُ عَمِّي فِي تَغْزَلِهِ	وَشَرِبْتُ رِيًّا مِنْ هَوَى رِيَا
فَكَأَنَّنِي أَهْوَى صَبَابَتِهِ	وَكَأَنَهَا فِي حَسَنهَا دُنْيَا ^(٣)

وهكذا كان المهلب كغيره من المهالبة يفخر بنسبه ويعد نفسه مكملًا لهم.

ولادته:

أشارت المصادر وكتب التراجم والسير التي بين أيدينا إلى أن ولادته كانت ليلة الثلاثاء لأربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة^(٤)، لم يشذ عن ذلك إلا ابن الجوزي ومن نقل عنه في كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" الذي يذكر وفاته في ٣٥١هـ، ويقدر عمره بـ(٦٤) سنة وعليه تكون ولادته في ٢٨٧هـ، ووافقه على ذلك ابن

(١) أبو عيينة المهلب: اسمه وكنيته، ويكنى أبا المناهل وهو في المصادر التي ترجمت له ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة، شاعر ظريف. عبد القادر الرباعي، شعر آل أبي عيينة المهلب، أمانة عمان الكبرى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ١٦-٢٧.

(٢) المكي الحسيني، العباس بن علي بن نور الدين، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م، ج ٢، ص ٩١.

(٣) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٩٢.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص ١٢٧، ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٠٥، المكي، نزهة الجليس، ج ٢، ص ٩٣، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢١٣.

تغري بردي الأتابكي^(١) الذي ينقل عن الذهبي أيضاً تاريخ وفاته في سنة ٣٥٢هـ الذي بدا شاكا في ذلك في كتابه "العبر" ولم يقدر عمره بشكل دقيق اذ يقول: "وقد نيف على الستين"^(٢).

وأما مكان ولادته، فقد أجمعت المصادر التي ترجمت للمهلبى على أنها كانت في البصرة^(٣).

نشأته وعائلته:

لم تشر المصادر وكتب التراجم والسير التي بين أيدينا إلى نشأته الأولى، وسكتت عن هذا الأمر، ولكن إذا اتفقنا على أن البصرة مكان ولادته، فإن نشأته الأولى كانت على الأرجح فيها.

وعلى الرغم من تلك الشهرة الواسعة التي وصل إليها صاحبنا في العهد البويهى، فإن نشأته الأولى في ظل والديه وحياته في خاصة نفسه وأهله يكتنفها كثير من الغموض، وذلك لأن الذين تصدوا لأخباره وترجمته لم يتحدثوا عن هذا الجانب في حياته، فالمصادر القديمة وكتب السيرة والتراجم التي تعرضت له، لم تسعفا بشيء يفيدنا بدراسة هذه الجوانب .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الوزير المَهْلَبِيّ نفسه لم يتعرض لهذه الأمور في شعره الذي بين أيدينا. فلم يتحدث عن حياته الأولى ونشأته في كنف والديه ولا علاقته بهما، وهذا الأمر لافت للنظر، وذلك لأن من غير الممكن أن يُغفلَ هذا الجانب من حياته ولا يتعرض -ولو تلميحاً- للحديث عن علاقته بأقرب الناس إليه إلا إذا كان قد تحدث عن هذه الجوانب من حياته فيما لم يصل إلينا من أدبه.

أما عائلته المكونة من زوجته وأولاده فلم تلقَ عناية كتب التراجم التي ترجمت له، ولكننا مع ذلك استطعنا أن نلمح بعض معالم هذه العائلة من بعض الروايات التي توافرت لنا. فذكرت الكتب زوجته (تَجَلِي)، وهي

(١) ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٣٨٢،

(٢) الذهبي، العبر، تحقيق وضبط أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٩٠.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص ١٢٧، ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد،

ص ١٠٥، المكي، نزهة الجليس، ج ٢، ص ٩٣، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢١٣.

جاريته التي تغزل بها كثيراً التي تغنى بها في أوقات الخلوة والشرب، يقول أبو الفرج الأصفهاني على لسان المهلب: " فقال: إني جلستُ البارحة على الشرب، وخرجت إليّ تجني وفي يدها عودها، وعليها قناع أخضر، وفي عنقها مخانقُ البرم"^(١)، وهناك إشارة لزوجة أخرى له في قصيدة لأبي الفرج الأصفهاني يهنئه بمولود له من رومية، يقول:

سعدٌ بمولودٍ أتاك مُباركاً	كالبدر أشرقَ جُنجَ ليلٍ مُقمر
سعدٌ لوقتِ سعادةٍ جَاعت به	أُم حَصَّانٍ من بناتِ الأصفر
مُتَجحِّجٌ في ذروتي شرف الذرى	بين المهلب منتماه وقيصر
شمسُ الضحى قرنتُ إلى بدر الدجى	حتى إذا اجتمعا أتت بالمشترى ^(٢)

أما أسماء أولاده، فقد استطعنا أن نجد بعضها في ما تناثر من أخباره في الكتب والمصادر التي تناولت دراسته كابنه (أبي الغنائم الفضل بن الوزير المهلب) ولا نعلم إذا كان هو الابن الأكبر لقدم خلفاء الوزير المهلب في عصره لتهنئته بشهر رمضان، وقد خرج أبوه لفتح عُمان، وقد كان آنذاك صبياً غير بالغ، إلا أنه مُحصل لصفات الرجولة وكمال الأدب^(٣).

وذكرت الكتب ابنته (زينة بنت الوزير المهلب) زوجة أبي الفضل العباس بن الحسن بن عبدالله الشيرازي^(٤)، كاتب معز الدولة البويهى ووزيره

(١) أبو الفرج الأصفهاني، القيان، تحقيق جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، د.ت، ص ١٣١. مخانق البرم: نوع من الثياب، لسان العرب، مادة (برم) .

(٢) النعالي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٢٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٧٤.

(٤) هو أبو الفضل العباس بن الحسين بن عبد بن فاخر كان يخلّف المهلب في الدواوين وكان ممن تعظّمه الملوك وتعرف قدره في الفرس، كان بنو بويه يخاطبونه بالشيخ؛ ولما وصلوا بأرض العراق استدعوه من فارس اشتياقاً إليه، وحاجة إلى رأيه، ولم يكن له علم ولا ضرب في الكتابة بسهم، ولكن كان له دراية بالأعمال وتصرف في أمور السلطان، وكان له همة عالية ويقال: إن جده فاخرا إسكاف. تزوج بنت المهلب زينة، وقبض عليه

بعد وفاة أبيها الوزير المُهَلَّبِي^(١)، وأملك عليها في سنة ٣٤٥هـ^(٢)، وقد انتقلت من عز والدها إلى عز زوجها وكانت على درجة من الأدب والعفة والوفاء وقد بلغ بها الحال "أن اتخذت من الجواري الأتراك حجاباً لها في زي الرجال على ما جرى به رسم السلطان وكان لها كتاب من النساء، ومن يتصرف في الأعمال تصرف الرجال، وكان لها كرمٌ وجودٌ بالأموال"^(٣)، وكيف لا وقد كان أبوها مضرب الجود والكرم، وتذكر الكتب ظروف موتها بعد "أن قبض بختيار بن معز الدولة على زوجها، راسلها يطلب منها أن تترك زوجها ليتزوج بها، فرفضت وردت أقبح رد، ثم اختفت، فجعلت عليها العيون في كل مكان، وكان لها من الذخائر والودائع في أيدي جماعة مما كان يغني كثيراً من الناس، فلما بلغ بها الأمر طمع كل واحد في ما في يده، فظهرت جثتها بقرب محلة تعرف (بالدسترقين) وعند رأسها رقعة مكتوب فيها زينة بنت الحسن بن محمد المُهَلَّبِيّ الوزير، فاشتهر ذلك عند العامة والخاصة، ووافى القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الهاشمي المعروف بالزَيْنِي، فاحتملها لداره، وتولى من أمرها ما يجب لمثلها، ودفنها في مقابر قريش، وكانت أختها تحت ولديه أبي الحسن وأبي القاسم"^(٤).

ويذكر مسكويه زواج إحدى بنات المُهَلَّبِيّ من أبي علي (الحسن بن محمد الأنباري الكاتب) في سنة ٣٣٩هـ^(٥) ولم يسمّها، وأكد القاضي أبو

بشیر بن أحمد بن بويه بعد وزارته الثانية له، وأخرج من بغداد إلى الكوفة ثم مات ودفن في السجف. الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجبل، بيروت، ص ٣٣٢-٣٣٦.

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ج٣، ص ٤٢٦.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص ١٨١.

(٣) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٣٣٥-٣٣٦. عبود الشالجي، موسوعة العذاب، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩م، ج٧، ص ٢٧٠.

(٤) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، المرجع ذاته، ص ٣٣٦، عبود الشالجي، موسوعة العذاب، ج٧، ص ٢٧٠، التوحيد، الرسالة البغدادية، تحقيق عبود الشالجي، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ١٩٩٧م، ص ٢٥٦.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص ١٢٤.

علي التتوخي على ذلك^(١)، كما يشير الثعالبي إلى مولود للوزير المَهْلَبِيّ من رومية في قصيدة أبي فرج الأصفهاني السابقة^(٢).

حياته:

مرت حياة الوزير المَهْلَبِيّ في طورين أساسيين: الأول منهما يبدأ بولادته وينتهي بتولييه الوزارة لمعز الدولة البويهّي، والثاني يبدأ من توليه الوزارة وينتهي بوفاته، وسوف نتتبع حياة هذا الوزير الأديب في هذين الطورين راسمين أبرز المحطات فيهما مما كان له تأثير على شعره. منذ ولادته في مائتين وواحد وتسعين للهجرة إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة للهجرة.

أولاً: شبابه

أشرنا فيما تقدم إلى أن حياة الوزير المَهْلَبِيّ الأولى وطفولته يكتنفها الكثير من الغموض، ولقد اكتفى معظم الذين ترجموا له بذكر اسمه ونسبه وبعض أخباره وأشعاره، متناسين الإشارة إلى نشأته الأولى وطفولته، الأمر الذي جعلنا نعود إلى شعره، بالقراءة والتحليل، علنا نستطيع أن نعثر على شيء ذي بال يرشدنا إلى مثل هذه الأمور التي أغفلها شاعرنا نفسه في شعره الذي عثرنا عليه أيضاً.

ومهما يكن من أمر، فإن المَهْلَبِيّ الوزير الأزدي ولد في البصرة في جو من الفتن والاضطرابات، عانى منها كل من سكن البصرة في تلك الفترة، وخير مثال هجمات القرامطة المتكررة على البصرة^(٣).

ويذكر المَهْلَبِيّ نفسه أنه في هذه الفترة كان يعاني من الفقر والحرمان وقلة المال في بعض أحواله: "حدّث أبو محمد المَهْلَبِيّ قال: كُنْتُ أَيَّامَ حَدَاتِي وَقَصْرُ حَالِي وَصِغْرُ تَصْرِفِي أَسْكُنُ دَاراً لَطِيفَةً - وَنَفْسِي مَعَ ذَلِكَ تَنَازَعُ فِي الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ، إِلَّا أَنَّ الْجَدَّ^(٤) قَاعَدَ، وَالْمَقْدُورَ غَيْرُ مُسَاعِدٍ،

(١) القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم التتوخي، الفرغ بعد الشدة، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المتنى ببغداد، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ج ١، ص ١٠٨.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ص ٥٣٠ - ٥٤٨.

(٤) الجد: الحظ والسعادة والغنى، لسان العرب، مادة (جدد).

فأصبحتُ يوماً وقد جاءَ المطرُ، وازدادتُ الحجرةُ إظلاماً، وصدري بها ضيقٌ، فقلتُ:

أنا في حُجْرةٍ تَجِلُّ عن الوصفِ	فَ وَيَعْمَى البصيرُ فيها نَهَاراً
هيَ في الصُّبحِ كالظُّلامِ وفي اللَّيلِ	لَ يُؤَلِّي الأَنامُ عَنُها فِرَاراً
أنا مِنُها كأَنَّني جَوْفُ بُئرٍ	أَتَّقِي عَقْرَباً وأُخْذِرُ فاراً ^(١)
وإذا ما الرِّياحُ هَبَّتْ رُخَاءً	خَلَّتْ حِيطانُها تَمِيدُ انهياراً ^(٢)
رَبِّ عَجَلْ خرابِها وأرْحُني	من حِذارِى فقد مَلَلْتُ الحِذارِ ^(٣)

ويصف الذهبي هذه المدة من حياة المهلبى بقوله: "أصابته فاقة في شببته، وتغرب^(٤). " ولعل تغربه هذا من البصرة إلى سيراف^(٥) التي سافر إليها هارباً علماً بأن الذهبي لم يشر إلى سبب هذا الهرب، كما إننا لم نجد ما يدل عليه. والذي ذكرته الكتب والمصادر أنه كان أيام شبابه قد ناله الفقر والحرمان. ويروي التتوخي: "قال المُهَلَّبِيُّ: لما عزم معز الدولة على إنفاذي إلى عَمَّان، طرقتني أمر عظيم، فبت ليلة، ما بت في عمري مثلاً، لا في فقري، ولا في صغر حالي. وما زلت أطلب شيئاً أتسلى به عما دهمني، فلم أجد، إلا أنني ذكرت أنني كنت حصلت أيام صباي بسيراف، لما خرجت إليها هارباً، فعرفت هناك قوماً أولوني جيلاً، وحصلت لهم على أياد، فقصرت، وقلت: "علي إذا قصدت تلك البلدان، أجدهم أو بعضهم، أو أعقابهم، فأكافئهم على تلك الأيادي".^(٦)

(١) جوف: جوف كل شيء داخله، لسان العرب، مادة (جوف).

(٢) تَجِلُّ: من الرياح اللينة والسريعة التي لا تزعزع شيئاً، لسان العرب، مادة (رخا).

(٣) يافوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٩.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٩٧.

(٥) سيراف: بلدة على ساحل البحر من أرض فارس.

(٦) التتوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، ١٣٩٣هـ —

١٩٧٠م، ج ٧، ص ١٦٤.

ولم يزل المُهَلَّبِيّ يعاني حياة الحرمان والفقر التي عاشها أيام شبابه، وهذا ما أكدّه الحصري في كتابه "زهر الآداب" : "... وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً في البلاد على طريق الفقر والتصوف"^(١)، وذهابه إلى سيراف مذكور على لسان أبي عبد الله الصوفي: "حدث أبو عبد الله الصوفي قال: كنت أنا وأبو محمد المُهَلَّبِيّ بسيراف في أيام حادثته وصعلكته"^(٢)، وكان يعاني في هذه المدة الفقر ويعيش حياة الحرمان، ويذكر الثعالبي هذه الحياة التي عاشها: "حدثني أبو بكر الخوارزمي"^(٣) وأبو نصر بن سهل المرزبان^(٤) وأبو الحسن المصيصي، فدخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص وقالوا: كانت حالة المُهَلَّبِيّ الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة، وكان يقاسي منها قذى عينه، وشجى صدره، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفار مع رفيق له من أصحاب الجراب والحراب - إلا أنه من أهل الأدب - إذ لقي في سفرة نصباً، واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه، فقال ارتجالاً:

ألا مَوْتُ يُبَاغُ فَأَشْتَرِيهِ	فَهَذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ
ألا مَوْتُ لَذِيذُ الطَّعْمِ يَأْتِي	يُخَلِّصُنِي مِنَ الْعَيْشِ الْكَرِيهِ
إِذَا أَبْصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ	وَدَدْتُ لَوِائْتَنِي مِمَّا يَلِيهِ
ألا رَحِمَ الْمُهَيْمِنُ نَفْسَ خُرٍّ	تَصَدَّقَ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ ^(٥)

فاشترى له رفيقة بدرهم واحد لحماً، فسكت به جوعه.

(١) الحصري، زهر الآداب، ج ١، ص ١٨١.

(٢) ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٠٤، الحصري، زهر الآداب، ج ١، ص ١٨٠ وجمع الجواهر، ص ٢٣١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٥.

(٣) أبو بكر الخوارزمي: يقول عنه الثعالبي "باقعة (الرجل الذكي الحذر) الدهر، بحر وعلم النثر والنظم، وعالم الفضل والطرف. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٢٣.

(٤) أبو نصر بن سهل المرزبان: أصله من أصبهان، قاطف من العلوم أحلى ثمارها، وواقف من الأدب على أسرارها، الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٢.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٦٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٢٤.

الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٥. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٢٧٤ وفيه (أنني). المكي الحسيني، نزهة الجليس، ج ٢، ص ٩٠.

وعليه فإن حياته الأولى كانت حياة مختلطة بالأحوال والمتناقضات ومصبوغة بالحرمان والتغرب، ثم استطاع هذا الرجل أن يرقى بحاله من صفر الحال إلى ما وصل إليه من اتصاله بالسلطان البويهى معز الدولة والخليفة العباسي المطيع لله.

وقد ظهر الوزير المَهْلَبِيّ في الكتب وكيلاً لأبي زكريا السوسي - أحد عمال البريديين - على مدينة السوس^(١) سنة ٣٢٣هـ^(٢)، وكان ظهوره سياسياً، مقاتلاً، شجاعاً، قطع الطريق على معز الدولة البويهى الذي بدأ نجمه يرتفع وكان يسعى للسيطرة على بلاد العراق في تلك المدة، فسيطر على بعض المدن وحاصر المَهْلَبِيّ معز الدولة في عسكر مكرم^(٣)، واشتد الحال على معز الدولة البويهى، وفارقه بعض جنده، وأرادوا الرجوع إلى فارس فمنعهم اصفهوسست وموسى قيادة وهما من أكابر القواد^(٤)، وهي أول المواقف العسكرية التي خاضها المَهْلَبِيّ الوزير في أوائل عهده السياسي، وكاد ينجح لولا إمداد عماد الدولة لأخيه (معز الدولة) فأنفذ له جيشاً فقوي بهم^(٥) وصار الأمر لمعز الدولة، ولعل المَهْلَبِيّ هرب لذلك لسيراف.

ولم تشر المصادر للمهلبى بعد سنة ٣٢٣ هـ ، وظهر بعد ذلك متسللاً بمعز الدولة البويهى. وظروف اتصال الوزير المَهْلَبِيّ بمعز الدولة يكتنفها كثير من الغموض إذ لم نستطع العثور على كيفية اتصاله بمعز الدولة البويهى أو الأسباب التي قلبت هذه العلاقة من العداوة إلى الصداقة، والصحبة الحميمة فيما بعد، تلك الصحبة التي فتحت الأبواب المغلقة أمام الوزير المَهْلَبِيّ، وبها استوت له الدنيا، وفتحت له أبواب العز والجاه، ويصفه مسكويه في هذه المدة بصاحب معز الدولة، فقد كان مخلصاً لمعز الله

(١) السوس: بلدة بخوزستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٨٠.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٣) عسكر مكرم: بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء، وهو مَقْعَل من الكرامة، وهو بلد مشهور من ناحية خوزستان منسوب إلى مكرم بن معز بن معزاء أحد بني جعونة، وقد كانت معسكر بن معزاء، وهي أسم مدينه من مدن خوزستان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٢٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٣٤٣.

(٥) المصدر ذاته، ج٨، ص ٤٤٩.

حريصاً على توسع نفوذه فيقول: "... وفي سنة ٣٣٤هـ ورد أبو محمد الحسن بن محمد المَهْلَبِيّ صاحب الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه، ولقي ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه، ثم انحدر إلى دار السلطان ولقي المستكفي بالله فأظهر المستكفي سروره بموافاة الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه، وإنما استتر من الأتراك ليتفرقوا فيصل الأمر لمعز الدولة بلا قتال^(١) ودخل معز الدولة بغداد دون قتال بفضل حنكة المَهْلَبِيّ وبراعته السياسية، وكان ينوب عن أبي جعفر الصَّيْمَرِيّ وزير معز الدولة ببغداد سنة ٣٣٧هـ^(٢)، ثم أصبح كاتب معز الدولة ابن بويه في ديوانه^(٣) ٣٣٨هـ.

أما علاقته بمعاصريه في تلك الفترة وخاصة بأبي جعفر الصَّيْمَرِيّ^(٤). فقد كان يعاني سوء المعاملة والحسد منه وقد كان المَهْلَبِيّ يتقي هذه التصادمات معه ويجاريه ولكن لا يعني ذلك الخضوع له، وإنما ما عاشه من ذل وفقر في السابق جعله يعرف معنى المراتب والمنازل، ويقدر من هو أعلى منه شأنًا سياسياً.

ويشير إلى هذه العلاقة المفعمة بالغيرة والحسد صاحب تكملة تاريخ الطبري فيقول: "وكان الصَّيْمَرِيّ يحسد المَهْلَبِيّ على تخصيصه وأدبه فكان إذا جلس معه للطعام، رأى كلامه وفصاحته، فيأمر الفراشين بعيّنه، فيطرحون المرقعة على ثيابه، فكان المَهْلَبِيّ منغصاً به، فكان يستصحب مع

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١١٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٤٩.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج ٢، ص ١١٨.

(٣) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٣، ابن الدماطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٠٣، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢١٣.

(٤) هو أبو جعفر محمد بن أحمد الصَّيْمَرِيّ، كان وزيراً جليلاً شجاعاً توفي سنة ٣٣٩هـ بأعمال الجادة وكان قد عاد من فارس إليها وأقام يحاصر عمران بن شاهين فأخذته حمى حادة مات منها، واستوزر معز الدولة بعده الوزير المَهْلَبِيّ وكان من قبل يخلف الصَّيْمَرِيّ بحضرة معز الدولة، فعرف أحوال الدولة والدواوين، وامتحنه معز الدولة فرأى فيه ما يريده من الأمانة والكفاية والمعرفة بمصالح الدولة وحسن السيرة، فاستوزره ومكنه من وزراته، فأحسن السيرة وأزال كثيراً من المظالم، وقرب أهل العلم والأدب وأحسن إليهم، وتنقل في البلاد لكشف ما فيها من الظلم، ورد الحقوق إلى ذويها وتخليص الأموال من غاصبيها، فحسن أثره، وحمدت سيرته - رحمه الله تعالى - والصَّيْمَرِيّ منسوب صيمرة وهي قرب البصرة. ياقوت الحموي معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٣.

غلامه دائماً ثياباً يغير بها ما عليه"^(١)، حتى إنه عندما خرج الصَّيْمَرِيُّ لقتال عمران بن شاهين^(٢) استخلف أبا محمد المُهَلَّبِيَّ فلما علم نفاقه على معز الدولة أطلق لسانه فيه فكان أبو محمد قد تيقن أنه يهلك على يد الصَّيْمَرِيِّ"^(٣).

وفي مدة نيابة المُهَلَّبِيَّ للصَّيْمَرِيِّ وقف المُهَلَّبِيَّ على نفاق الصَّيْمَرِيِّ على معز الدولة، فيقول ياقوت في ذلك: "وبلغ أبا جعفر ذلك فنقل عليه فتطلب لأبي محمد الذنوب وتحمل ما أنكره عليه وأطلق فيه لسانه بالوقعية"^(٤) والتهديد وبلغ أبا محمد ذلك فقلق واستشعر النكبة لأنه لم يطمع من معز الدولة في نصرته عليه وعصمته منه فما راعه إلا ورود كتاب الطائر بوفاة الصَّيْمَرِيِّ فجلس له في العزاء وأظهر له الحزن الشديد ولزم منزله"^(٥).

ليس هذا فحسب، بل كانت هذه العلاقة المبطننة بالحسد والكراهية لا تخلو من الخوف أيضاً، حتى إن الوزير المُهَلَّبِيَّ كان يتستر على أفعال الصَّيْمَرِيِّ التي فيها تلاعب، فقد كان الصَّيْمَرِيُّ كثير النفاق والتلاعب إلى درجة التزوير، يذكر مسكويه حادثة تزوير خط ابن قرابة (وزير ناصر الدولة) بالمفارقة التي تمت بين ناصر الدولة ومعز الدولة في كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم وقد قام الصَّيْمَرِيُّ بالتزوير بعلم أبي محمد فينتقل قول المُهَلَّبِيَّ: "فزورنا والله على خط ابن قرابة ضماناً بثمانية آلاف ألف درهم"^(٦).

ويورد ياقوت قصيدة للمهابي يخاطب بها أبا جعفر الصَّيْمَرِيَّ
موضحاً خدمة المُهَلَّبِيَّ له:

(١) محمد بن عبد الملك الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، قدم له وحققه ووضع فهارسه ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م، ص ١٦٢.

(٢) عمران بن شاهين: رجل خارج ثائر، قاسى معز الدولة منه عناء، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦١.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٣.

(٤) الوقعية في الناس: الغيبة، لسان العرب، مادة (وقع).

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٢.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١١٦.

مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْقَاطُولِ لَا هَظْلَتِ
فَقَدْ سَدَدْنَاهُ وَارْتَدَّتْ غَوَادِيهِ
وَقَدْ دَعَمْنَا لَهُ سِكْرًا سَمَا وَطَمَا
وَأَسْتَقْرَغَ الْوُسْعَ حَتَّى طَمَّ خَادِمُكَ الْـ
نَجَّاهُ مِنْهُ بِأَرَاءِ مُنَقِّقَةٍ
رَمَيْتَ بَحْرًا يَطْوِدُ فَاَسْتَكَّانَ لَهُ
وَمَا تُقَابِلُ بِالْإِقْبَالِ مُمْتَنِعًا
إِلَّا تَبَدَّلَ بِالْعِصْيَانِ إِذْعَانًا^(٤)
فِيهِ السَّحَابُ وَلَا سَقَّتُهُ تَهْتَانًا^(١)
حَسْرَى وَلَمْ نَأْلُ إِحْكَامًا وَإِتْقَانًا^(٢)
حَتَّى تَوَهَّمَهُ رَاغُوهُ تَهْلَانًا^(٣)
مُهْلَبِيٍّ وَقَاسَى فِيهِ أَشْجَانًا
تَخَالَهَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ نِيرَانًا
كَرْهًا وَأَيَقُظْتَ فِيمَا بَاتَ يَقْظَانًا

تذكر المصادر موت أبي جعفر الصَّيْمَرِيِّ فِي حَمَى حَادَةٍ، عِنْدَمَا
خَرَجَ لِمَحَارِبَةِ عَمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مُنْتَصَفِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ
وَتَلَاثِمِائَةٍ^(٥)، فَاسْتَكْتَبَ مَعَزَ الدَّوْلَةِ الْبُويْهِيَّ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهْلَبِيَّ^(٦) بَعْدَ ذَلِكَ.

ثانيًا: وزارته

كَانَ لِلْوِزَارَةِ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَهْدِ الْبُويْهِيَّ شَأْنٌ كَبِيرٌ فَقَدْ
تَشَارَكَ الْوُزَرَاءُ مِشَارَكَةً فَعَالَةً فِي إِدَارَةِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ أُمَرَاءُ بَنِي بُوَيْهِ

(١) القاطول: موضع على دجلة بالعراق، تهتاناً: مصدر هتن، هتنت السماء: صبت. أو هو فوق الهطل، أو المطر
الضعيف الدائم أو مطر ساعة، ثم يفتر ثم يعود، لسان العرب، مادة (هتن).

(٢) الغواضي: جمع غادية: السحابة التي تنشأ غدوةً، فتمطر غدوةً، لسان العرب،
مادة (غواضي).

(٣) السكر بالكسر: اسم من سكر النهر أي سده، وما سد به النهر، لسان العرب،
مادة (سكر) وتهلان: جبل معروف، لسان العرب، مادة (تهل).

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦١.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ٤٣٨.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٣.

يعتمدون كثيراً على وزرائهم في تنفيذ سياستهم إدارياً وعسكرياً^(١)، لذا كان لا بد من اختيار الوزير المناسب لمثل هذا المنصب الكبير الذي يحمل من الصفات التي تخولها لهذا المنصب، وقد ذكر مسكويه السبب في اختيار معز الدولة أبا محمد المهدي وإيثاره إياه على وجوه الكتاب من الحضرة وغيرهم مع وفور عدد الكفاة يومئذ، فيقول مسكويه: "سبب ذلك أنه كان جامعاً لأدوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره وإن كان فيهم من هو أرجح كتابة"^(٢). فقد كان لدى الوزير المهدي الكفاية الإدارية والسياسية ما أكسبه ثقة معز الدولة البويهى وتقديره، فضلاً عن ثقة الناس وتقديرهم، وكان "حاذقاً بالحساب مستخرجاً للأموال"^(٣).

وهذه المعرفة بالأعمال الإدارية ومعرفة رسوم الدولة، جاءت من نيابته لأبي جعفر الصيمري - وزير معز الدولة - في السنوات التي سبقت توليه الوزارة "نال أولاً في الوزارة عن أبي جعفر الصيمري"^(٤)، وكان يخلفه إذ خرج خارج بغداد، "بحضرة معز الدولة. وعرف أحوال الدولة والدواوين"^(٥) لا بل أسرارها وخفاياها "أنه يعني المهدي خلف الصيمري على الوزارة فعرف غوامض الأمور وأسرار المملكة، في حين كان الباقون لا يعرفون ذلك ولا يخرج إليهم ولا يوثق بهم فيها... عارفاً برسوم الوزارة القليلة"^(٦)، هذا وبسبب توليه أعمال الوزارة ريثماً يتم اختيار وزيراً بعد وفاة الصيمري، ويقول ياقوت في ذلك "... واستدعاه - يعني المهدي - معز الدولة وأمره بالحضور وتمشية الأمور إلى أن يقلد من يرى تقليده الوزارة"^(٧)، وبسبب هذه الكفاية الإدارية والسياسية فقد نال ثقة معز الدولة

(١) محمد مسفر الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية: العهد البويهى والسلجوقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٧٤.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٤.

(٣) الجاجرمي، نكت الوزراء، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٩٥.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٩٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ٨، ص ٤٨٥.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢٤.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٢.

بعد أن خاض امتحان معز الدولة، "فرأى فيه ما يريد من الأمانة والكفاية والمعرفة بمصالح الدولة وحسن السيرة فاستوزره"^(١).

وقد مال معز الدولة إلى المَهْلِيّ كثيرًا، وأحبه وكان ذلك أحد أسباب اختياره إذ "خدم المَهْلِيّ معز الدولة خدمة خفف بها عنه، وخفّ على قلبه، فقبله ومال إليه وقربه"^(٢)، ويؤكد ذلك مسكويه أيضاً "... فقد أنس به على طول الزمان"^(٣)، وكان لحسن علاقته بالأمير البويهى (معز الدولة) أثر كبير في رفع شأنه وزيادة هيئته في نفوس الجند والرعية فيما بعد فيصفه مسكويه: "... وكان مع ذلك حسن الإنباء عن نفسه، فصيحاً، مهيباً"^(٤) مما وضعه بين الوزراء الذين احتلوا مكانة مرموقة في ذلك الوقت.

وربما كانت إجادته للغة الفارسية من أسباب اختياره أيضاً: فقد كان يفصح بالفارسية^(٥)، وهذا من غير شك سهلّ عليه التعامل مع الديلم (الفرس). وقد كان معروفاً أن "بني بويه أعاجم، بعيدون عن الثقافة العربية أول عهدهم، حتى إنهم احتاجوا إلى من يترجم لهم من العربية إلى الفارسية حينما احتلوا بغداد"^(٦)، كما يحتاجون إليه ليكون حلقة وصل بينهم وبين الرعية.

أما السبب الأكبر لاختياره والذي دفع به إلى معالي الأمور فهو أدبه. فمن المتبع أن يختار الوزير من بين المثقفين ثقافة أدبية وبالتحديد من طبقة الكتاب^(٧)، وكان المَهْلِيّ آنذاك كاتب معز الدولة، وكان بنو بويه يحبون العلم والأدب ولا يستوزرون أو يستكتبون إلا العلماء والشعراء والكتاب^(٨)، وكان المَهْلِيّ أديباً بليغاً، رشحته ثقافته الأدبية لذلك المنصب.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٨٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٢.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٤.

(٤) المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٣٤.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٤.

(٦) محمود غناوي الزهيرى، الأدب في ظل بني بويه، مطبعة الأمانة، مصر، ١٣٦٨هـ -

١٩٤٩م، ص ١٢٦.

(٧) محمد مسفر الزهراني، نظام الوزارة، ص ٧٤.

(٨) بسدوي طبانة، الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ص ٣٢.

وكما كان الوزير المُهَلَّبِيُّ يتبوأ مكانة في تاريخ الأدب والبيان العربيين، فقد كان من بين هؤلاء الوزراء الذين احتلوا مكانة مرموقة في الدولة البويهية، إذ بلاغة الكاتب الوزير كانت تفرض الهدوء وتزيل الفوضى التي كانت سائدة في العصر.

بدأت حياة المُهَلَّبِيِّ الوزارية بموت الصَّيْمَرِيِّ، فأصبح وزيراً لمعز الدولة البويهية، وجرت مراسيم تعيينه، وظهرت أخبار تقلده المنصب في أكثر الكتب والمصادر، يقول ياقوت في ذلك: "حضر الجماعة المترشحون الخاطبون وكل منهم يعتقد أنه المختار المقلد، وجلسوا في خركاه^(١)، ينتظرون الإذن، ثم وصل القوم ووقفوا على مراتبهم، ودخل أبو محمد بعدهم وقام في أخرياتهم فلما تكامل الناس أسرَّ معز الدولة إلى أبي علي الحسن بن إبراهيم الخازن قولاً لم يُسمَعْ، فمشى إلى أبي محمد المُهَلَّبِيِّ وقبل يده وخاطبه بالأستاذية على ما كان أبو جعفر الصَّيْمَرِيُّ يخاطب به، وحمله إلى الخزانة فخلع عليه القباء^(٢) والسَّيْفَ والمِنْطَقَةَ^(٣)، وعاد أبو محمد إلى حضرة معز الدولة فخاطبه بالتعويل عليه في تقليد وزارته وتبدير دولته، وشكره أبو محمد شكرياً أطال فيه وخرج منصرفاً إلى داره، فقدم له شهرياً^(٤) بمركب ذهب، وسار أبو محمد وسبكتكين الحاجب بين يده والقواد والناس في موكبه وذلك لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وتسع وثلاثين^(٥)، وقد أجمع الذين ترجموا له على هذا التاريخ.

وقد نال الوزير المُهَلَّبِيُّ هذا المنصب بنزاهته وأهليته رغم تنازع المتنافسين وكثرتهم لا بل إن كل واحد منهم قد بذل الغالي والرخيص لتولي هذا المنصب ومن بين هؤلاء مَنْ ذكرهم ياقوت، يقول: "... وترشح للوزارة جماعة، وبذلوا البذل، وضمنوا الأموال ووسط أبو علي الطبري في أمره

(١) خركاه: كلمة تركية الخركاه بالفارسية: القبة، ويقال في تعريبها، فرقاها وجمعها فركات، وخركاهات. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٢.

(٢) القباء: نوع من الثياب الذي يلبس مُشْتَقٌّ لاجتماع أطرافه، لسان العرب، مادة (قبا).

(٣) المنطقة: كل ما يشد به الإنسان وسطه (الحزام)، لسان العرب، مادة (نطق).

(٤) شهري: نوع من الخيول، لسان العرب، مادة (شهر).

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٣.

والدة معز الدولة، وبذل مائتي ألف درهم عاجلة على سبيل الهدية بمطالبة معز الدولة، فحمل منه مائة وثمانين ألف درهم وقال: قد بقي بقية يسيرة إذا ظهر أمري حملتها فقال معز الدولة، لا أفعل إلا بعد استيفاء المال، فلم الطبري أنه خدع، وندم على ما حمله^(١).

أما المُهَلَّبِيُّ فقد وصل إلى ما وصل إليه بجدارته دون أن يكون الدافع إلى ذلك إلا شيئين اثنين (الكفاية الإدارية والمهارة البلاغية) فقد قام بالأمر، وكان خير من أنيط به، فتقلد تدبير أعمال الخراج، وجباية الأموال، فتولى أعمال الوزارة كاملة عسكرياً وإدارياً إلا أنه ظل يخاطب بالاستاذية من غير تسمية بالوزارة، رغم قربيه من معز الدولة واختصاصه به، وعظم جاهه عنده، بل كان يدبر أمر الوزارة للخليفة العباسي المطيع لله من غير تسميته، وهذا واضح فيما ذكره النعالي في طريقة مخاطبة الوزير المُهَلَّبِي: "... الأستاذ أبي محمد أيده الله"^(٢).

وظل يخاطب بالاستاذية من غير تسمية بالوزارة^(٣) إلى جمادى الآخرة سنة ٣٤٥هـ^(٤)، ثم حظي بخلع الخليفة العباسي المطيع بل أصبح مالكا للأمور كلها، ثم جددت له الخلع من دار الخلافة بالسواد (شعار العباسيين) والسيف والمنطقة ولقبه المطيع بالوزارة^(٥).

فعينه المطيع وزيراً كناية عن موافقة على اختياره وزيراً، فاجتمعت له وزارة السلطان معز الدولة البويهى ووزارة الخليفة العباسي لذا لقب بذى الوزارتين^(٦).

ويذكر ياقوت أثر ذلك في نفسية المُهَلَّبِي نفسه لما وصل إليه من علو الأمور وترقية الحال إلى أعظم درجة من الوزارة، فشكر أبو محمد معز الدولة أولاً ثم شكر الخليفة المطيع شكراً أطال فيه حتى أنه عندما مشى في

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٢.

(٢) النعالي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٦٩.

(٣) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٣، الصقدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٣.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٩٨، ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ١٠٢.

(٥) الكتبي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٣.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٩٨، سامي مكى العاني، معجم القصاب الشعراء، مكتبة الفلاح، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ١٠١.

صحون دار الخلافة ووقع على ظهره، فأقيم، فظن أنه يحصر^(١) فقال واصفاً ما يلبسه من اللباس الوزاري الثقيل يا أمير المؤمنين:
خَرُسْنُوهُ وَمَا دَرَى مَا خُرَاسَا
نُ يَلْبَسُ الْقَبَاةَ وَالْمَوْزَجِينَ^(٢)

فاستحسننت منه هذه البديهة على تلك الصورة، وركب إلى داره، وجميع الجيش معه وحجاب الخلافة ومعز الدولة بين يديه^(٣)، وتولي كامل أعماله.

أعماله:

بعد أن كان المهلبّي من عامة الناس في أيام صباه وحداثته ترقّت به الحال إلى وزير معز الدولة البويهّي في بغداد، فقال لما تولى الوزارة يصف حاله وما وصل إليه مفتخراً:
لَقَدْ ظَفَرْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُنِّيَّي
بَمَا كُنْتُ أَهْوَى فِي الْجَهَارَةِ وَالنَّجْوَى^(٤)
وشارفتُ مَجْرَى الشَّمْسِ فِيمَا مَلَكْتُهُ
مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَقَرَّتْ فِي الرِّتْبَةِ الْعُلْيَا
وعاينتُ من شعر العينيّ حِلَّةَ
تَعَاوُنِ فِيهَا الطَّبْعِ وَالْمَهْجَةِ الْحَرَا
فَحَرَكْنِي عِرْقُ الْوَشِيجَةِ وَالْهَوَى
لَعَمِّي وَأَطَّتْ بِي إِلَى الرَّحِمِ الْقَرْبَى^(٥)
فيا حسرتي إن فاتَ وقتي وقته
وَبَا حَسْرَةً تَمْضِي وَتَتَّبِعُهَا أُخْرَى
وَبَا فَوْزَ نَفْسِي لَوْ بَلَغْتُ زَمَانَهُ
وَبَغِيَّتَهُ دُنْيَا وَفِي يَدَيِ الدُّنْيَا
فَمَكْنَتُهُ مِنْ أَهْلِ دُنْيَا وَأَرْضِهَا
فَقَازَ بِمَا يَهْوَى وَقَوْقَ الَّذِي يَهْوَى^(٦)

(١) يحصر: لم يقدر على الكلام، لسان العرب، مادة(حصر).

(٢) خَرُسْنُوهُ: أي نسهبه إلى خراسان، مَوْزَجِينَ: مثني (مَوْزَج) وهو الخف، وهو لفظ فارسي مُعَرَّب (مَوْزَه)، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص٦٣.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص٦٣.

(٤) النجوى: السر، لسان العرب، مادة(نجا).

(٥) الوشيجة: القرية والصلة، لسان العرب، مادة(وشج).

(٦) النُّعَالِي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٦٨-٢٦٩.

فتقلبت به الأحوال حتى خضعت له الرقاب، ودانت له الدنيا، بعد ما كان يعاني من الفقر والمسكنة، ومن ذلك الحين أصبح لهذا الوزير الكبير - كما يصفه الذهبي^(١) - مكانة مرموقة وحظي بشهرة رفيعة، ولكنه على ما يظهر لم يكتف بما تهيأ له من وزارة الدولة داخل بغداد بل خرج إلى الأمصار، وقد انتشرت المظالم والجور والظلم، فقام منذ توليه الوزارة "بإزالة المظالم وخصوصاً عن البصرة فكان فيها شِعْبٌ كثيرة من المظالم من أيام أبي البريدي"^(٢)، "وتنقل في البلاد لكشف ما فيها من المظالم وتخليص الأموال، وحسن أثره"^(٣).

وما أن تولى زمام الأمور حتى أسهم في أمور الوزارة كلها، وأدار أمور العراق في العهد البويهى، وقام بإصلاحات إدارية ومالية في الدولة لا بل أصبح قائداً عسكرياً، فقد قاد معظم الجيوش التي خرجت لقتال أعداء الدولة أثناء وزارته، وأسهم في توسيع نفوذ البويهيين، وأشار إلى أعمال الوزير المهلبى الجلييلة مسكويه الفارسي في كتابه تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لاتصاله المباشر به فيتحدث عن مصاحبته له: "... وأبو محمد رحمه الله خبرني بأكثر ما جرى في أيامه، وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة"^(٤)، وتبدو أغلب المصادر التاريخية عالية على ما قدمه مسكويه من أعمال المهلبى في الدولة البويهية.

وبدأ المهلبى يسوس الأمور بحنكة وكرم وبأس وسماحة طبع وسعة صدر، فكان "كالواحة الخضراء في صحراء الحكم الجديب"^(٥) فانحاز إليه الناس، ثم توجه إلى البصرة مسقط رأسه، فكان "أثره فيها أوفر، وأثارت له لأموال منها أكثر"^(٦)، وتظلم إليه الرعية من سوء معاملات البريديين^(٧)

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٩٧.

(٢) ابن خنون، تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٨٥.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٧.

(٥) حسن الأمين، الوزير المهلبى، العربي، العدد ١٤٢، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، ص ١٤.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٥.

(٧) المرجع ذاته، ج ٢، ص ١٢٧.

وذلك بعد أن سمعوا بفضله وعطائه وبأسه وطلبوا منه " بأن تؤخذ ضريبة العشر من الحنطة والشعير مضروبة في أربعة مُسَعَّرَة عليهم بسعر يرتضيه العامل"،^(١) وعندما دخل البصرة "وعدهم بما أنسوا به، ثم قرر أن يردهم إلى رسمهم القديم في أخذ العشر حبا بعينه من غير تربيع ولا تسعير، وحسن موقع فعله عند معز الدولة"^(٢) وعند أهل البصرة، فأحبه الخاصة والعامة لهذه الآثار الجميلة.

ولم يهدأ المُهَلَّبِيُّ بل تجاوز إلى التفتيش واستقصاء الحقيقة، فتنقل في البلاد، لكشف المظالم وتخليص الأموال^(٣)، وبرع في إدارة أمور الدولة، ثم خرج إلى الأهواز^(٤)، "فجمع أموالاً كان قد طمع فيها العمال والضمان، فالزمهم أموالها فاتصلت حمولته، وظهر فضله على من تقدمه"^(٥) فالوزارة تعني أمورا كثيرة، والوزير هو الذي يدبر أمور السلطة كلها.

ليس جديداً إذا قلنا إن سمعة المُهَلَّبِيِّ قد راجت في تلك المدة من الزمن، فأصبح أحدث الأحدث، فبينما كان معز الدولة لا يأبه بالرعية والشعب ولا لأمور الدولة وأكبر همّه هو جمع الأموال وسيطرته على البقاع والأمصار، كان وزيره العربي يهتم بتنظيم الدولة، فقام بإصلاحات إدارية في الدولة، أولها تنظيم ديوان الخراج أكبر دواوين الدولة^(٦) وأظهر كفاية عظيمة في ذلك إلا أن همّ معز الدولة البويهى انعكس عليه فيما بعد، فقاد المُهَلَّبِيُّ المعارك العسكرية "فقد كتب إليه معز الدولة بالمسير إلى واسط- وهو بالبصرة- وأمدّه بالقواد والجنود والسلاح، وأطلق يده في الإنفاق. فزحف إلى البطيحة وضيق على عمران بن شاهين وسد المذاهب عليه، فانتهى إلى مضايق لا يعرفها إلا عمران وأصحابه. وأراد المُهَلَّبِيُّ سد تلك المضايق

(١) جابر الخاقاني، شعر الوزير المُهَلَّبِيُّ، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، وزارة الأعلام، العراق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ١٤٧.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٨٥.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٥.

(٦) آدم متز، الحضارة الإسلامية "عصر النهضة في الإسلام" نقله إلى العربية محمد الهادي أبو ريذة، أعد فهارسه رفعت البدوي. ج ١، ص ١٧٠.

فأخذ روزبهان^(١) التضريب عليه، وعارضه في كل ما دبّر بل كَتَبَ إلى معز الدولة الذي كتب إلى المُهَلَّبِيّ بالعتب والاستبطاء وترك الحزم^(٢). وتغيرت خطة المُهَلَّبِيّ التي كادت أن تنجح في القضاء على عمران بحنكته السياسية ومقدرته القتالية التي عُرِفَتْ عنه، إلا أن حسد روزبهان وغيرته قطعت عليه ذلك، وَهَجَمَ المُهَلَّبِيّ على مكان عمران، وكان قد جعل الكَمَناء في تلك المضايق. وتأخر روزبهان ليسلم عند الهزيمة، فلما تقدم المُهَلَّبِيّ خرج عليه وعلى أصحابه الكمناء ووضعوا السلاح فقتلوا وغرقوا وأسرُوا وانصرف روزبهان سالماً هو وأصحابه وألقى المُهَلَّبِيّ نفسه في الماء، فنجا سباحة وكان ذلك سنة ٣٤٠هـ^(٣)، ويذكر مسكويه هذه الحادثة في سنة ٣٣٩هـ^(٤) فامتثل لأمر معز الدولة سمعاً وطاعة رغم ما كان يراه، فقد كان الخادم الأمين المخلص لسلطان الدولة، هذا هو المُهَلَّبِيّ الذي لا يضيع معه ود ولا يخيس معه عهد، وقبل أن يكون مخلصاً وخادماً للدولة وسلطانها، وكان مخلصاً وخادماً لدينه إذ عمل على نصرة دينه، فكان بعيداً عن التسامح لأرباب البدع، وقد ذكرت المصادر والكتب أنه في هذه المدة ظفر بـ"قوم فيهم غلام شاب يدعي أن روح علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد حلت فيه، وامرأة تدعي أن روح فاطمة رضي الله عنها حلت فيها، فقبض عليهم وضربهم، ونالهم مكروه، فختم على التركة، فلم يجد إلا مالاً يسيراً، ورأى دقاتر فيها أشياء من مذاهبهم لعنهم الله"^(٥). واحتاط على شيء من أموالهم وكان يسميها أموال الزنادقة^(٦)، ولم يتوان في تأديبهم والنيل منهم إلى أن حكم السلطان بالإفراج عنهم لسوء مذهبه، فقد كان يحب الرافضة قبحه الله^(٧)

(١) روزبهان: أحد أعيان عسكر معز الدولة الذي فشل قبل المُهَلَّبِيّ في التغلب على

عمران، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٩٠.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٣٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ص ٤٩٠-٤٩١.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٣٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٩٥.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، ج ١١، ص ٢٢٤.

(٧) المصدر ذاته، ج ١١، ص ٢٢٤.

وقد ألقى لمعز الدولة أنهم شيعة علي، فأمر بإطلاق سراحهم، وخاف المهلب أن يقيم على تشدده في أمرهم فينتسب إلى ترك التشيع فسكت^(١) عنهم، وكانت الظروف آنذاك، فتنة عظيمة بسبب المذهب^(٢).

واستمر عمل المهلب مفتشاً عن المظالم في البلاد وقد وصفه ابن الأثير فقال عنه: "تنقل في البلاد لكشف ما فيها من المظالم وتخليص الأموال"^(٣)، وكان قائداً عسكرياً لمعظم الجيوش التي خرجت لمحاربة أعداء الدولة في أثناء وزارته، وبعد أن فشل في القضاء على عمران بن شاهين عوض ذلك في المحافظة على البصرة ولاءً لأهلها الذين أحبوه^(٤) بعد ما أقام فيهم من عدل، أو لعله إثباتاً منه على قدرته القتالية في قيادة الجيوش أمام معز الدولة، فـ"عندما سار يوسف بن وجيه صاحب عُمان بالتحالف مع القرامطة في البحرين سنة ٣٤١هـ لمهاجمتها براً وبحراً، سار المهلب إليها من الأهواز، فدخلها قبل وصول يوسف إليها، وشحنها بالرجال فأمدّه معز الدولة بالعساكر وما يحتاج إليه، وظل حصار البصرة لمدة شهر تقريباً، ولكن أهل البصرة صمدوا بقيادة المهلب وأبدوا من البطولة ما جعل ابن وجيه ينسحب خاسراً وظفر المهلب بمراكبه و ما معه من السلاح"^(٥)، ونخل بغداد ومعه المراكب والأسرى^(٦)، وتطورت علاقة المهلب بمعز الدولة فزاد في إقطاعه سنة ٣٤٥هـ.^(٧)

وحققت براعة المهلب السياسية والعسكرية والإدارية مكاسب كثيرة للدولة والشعب، فقام في سنة ٣٤٧هـ وسار مع معز الدولة إلى الموصل

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٩٥.

(٢) المرجع ذاته، ج ٨، ص ٢٢٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٨٥.

(٤) جامعة البصرة، المركز الثقافي، موسوعة البصرة الحضارية: الموسوعة التاريخية، ١٩٨٩م، ج ٢، ص ١٠٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٩٦، ذكرها البداية والنهاية في أحداث سنة ٣٤٠هـ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، يذكرها في أحداث سنة ٣٤٠هـ، ج ١٤، ص ٨٤.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٦٢.

فاستولوا عليها،^(١) وعادوا إلى العراق في سنة ٣٤٨هـ^(٢) ولحسن أعماله التي قام بها طالت مدة وزارته، حيث ذكرت الكتب أن مدة وزارته ثلاث عشر سنة وثلاثة شهور^(٣) قضاهما كلها في زمن الأحزاب وعصر الصراع القومي والمذهبي والفوضى والتناقضات "فقد دخل على المطيع العباسي وعلا صوته عنده، فغضب المطيع وقال له: يا كلب، ترفع صوتك بين يدي وأمر به فأخرج، مجنوباً، مدفوعاً في ظهره"^(٤)، في حين كان المهلب شديداً التعصب على أعداء الشيعة، ففي سنة ٣٥٠هـ قامت فتنة كبيرة، "ولم تسكن الفتنة، فقبض أبو محمد، على أكثر بني العباس، الوجوه والمستوزرين، والعيارين منهم والدعار"^(٥)، حتى قبض في جملتهم على عدة قضاة وشهود صلحاء^(٦)، وكان لا يعرف التسامح مع أرباب البدع.

نكته :

لم تستمر مكانة الوزير المهلب التي وصل إليها، فبدأ يفقد هيئته تدريجياً عند معز الدولة، وتزعزعت ثقته به كثيراً، وليس غريباً أن يكون الأمر كذلك، لمن عرف معز الدولة الديلمي وعنجهيته، فلم يسلم وزيره الذي ساعده في امتداد سيطرته وتثبيت ملكه من كثير من الأذى، والمهلب من أصحاب النكبات والكبوات الذين لا تزيدهم النكبة إلا صلابة وقوة، فهو كما

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٢) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٤٢٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ١٤٢، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ط ٢،

المصدر: تهذيبية، النجف، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ج ١، ص ٤٠٢.

(٤) الشالجي، موسوعة العذاب، ج ١، ص ٢٩٧.

(٥) الدعر : الخبيث، ويقال رجل داعر أي خبيث ومفسد، والدعر الذي لا خير فيه وهو الفساد والشر، لسان العرب، مادة (دعر).

(٦) التتوخي، نشوار المحاضرة، تحقيق عبود الشالجي، دن، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ج ١،

يصفه مترجموه صبوراً على الشدائد^(١)، ويضيف مسكويه إلى هذه الصفة صفة أخرى فقد "كان المهلب شهماً، قوي النفس، لا يتحرك لشيء من نوائب الدهر"^(٢).

فتجدل إزاء النكبات التي حلت به في مراحل عمره كاقة بدءاً من نكبة الفقر التي بدأ حياته بها إلى نكبة المقارع التي ضربه بها معز الدولة سنة ٣٤١هـ ثم حملة المصادرات التي شملته حتى بعد وفاته: فالنكبة الأولى: نكبة الفقر والقلّة التي أصيب بها أيام شبابه، وقد تحدثنا عن هذه المرحلة من عمره في الصفحات السابقة إلا أنه كان في هذه المدة يتأمل ويثق بالمستقبل المشرق ويطمع في المعالي وانقشاع غمامة الذل والفقر، ويعمل في أبياته الشعرية أسباب فقره وحرمانه بسبب تعطيل المواهب^(٣) وتأجيلها، فلم يكن متشائماً، وكان يأمل تحقيق أماله التي كان يسعى إليها، وقد نجح في ذلك، وفي شعره ما يعبر عن ذلك، فقد كان يقول:

الجود طبعي ولكن ليس لي مالٌ وكيف يصنع من بالقرض يحتالُ

فهاك خطي فخذهُ منك تذكرهُ إلى أتساع فلي في الغيب آمل^(٤)

أما نكبة المقارع فقد ذكرتها المصادر والكتب في أوائل عهده بالوزارة رغم أن الأخبار تشير إلى أن الصلة بين الوزير ومعز الدولة كانت وطيدة، وأن السلطان كان معجباً به وبأدبه وبشخصيته، إلا أن المصادر تذكر أنه في ربيع الأول سنة ٣٤١هـ "ضرب معز الدولة وزيره أبا محمد المهلب بائمقار^(٥) مائة وخمسين مفرعة، ووكل به ولم يعزله بل رسم عليه^(٦)" ويعمل مسكويه ذلك حين يقول: "أن أبا محمد المهلب لما خرج إلى عُمان

(١) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٢٧٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٩٠.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٤٦.

(٣) جابر الخاقاني، شعر الوزير المهلب، مجلة المورد، م ٣، العدد ٢، ص ١٤٥.

(٤) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٦، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٦.

(٥) المقارع: هو السوط ذكره ابن كثير مائة وخمسين سوطاً، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٢٥.

(٦) الكامل في التاريخ، م ٨، ص ٤٩٩، تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٤٢٤، مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٤٣-١٤٥.

وانفق في ذلك الوجه ما أنفق ثم انهزم، تنكر له معز الدولة وهم بالقبض عليه^(١) وقد نرى تكرار طمع معز الدولة بعمان والاستيلاء عليها .

وهناك سبب آخر نستخلصه من الظروف المحيطة بالمُهَلَّبِيّ وهو نتيجة لتنافس رجال الدولة على تولي المنصب الوزاري، إذ أخذ كل واحد من الطامحين يعمل بشتى السبل للوصول إليه قبل غيره، مما جعل الوزير يتعرض للضرب نتيجة للمؤامرات التي كان يدبرها منافسوه للإطاحة به ، وقد تواترت القصة على لسان بعض المؤرخين، بل ذكر مسكويه^(٢) أنه كان لا يرفع عنه الضرب حتى يوبخه ويكيه بذنوبه منذ استخدمه ثم يعيد عليه الضرب، ثم طرد المُهَلَّبِيّ ولم يرتض خدمة أحد ممن كان بحضرته ولم يقم أحد مقام المُهَلَّبِيّ^(٣).

وكان المُهَلَّبِيّ يظهر الصلابة والتجلد أمام هذه النكبات حتى لا يشمت به أعداؤه وحساداه، ولتجاوز هذه النكبة كغيرها " عمل عملاً يشتمل على ثلاثة عشر ألف ألف درهم باقية في الممالك والأعمال، وذكر أنه يقوم باستخراجها، وأنه إن عادت الأيام في التوكيل به تمزقت وطُعم فيها، فعند ذلك راسله معز الدولة بالركوب إليه وأزال عنه التوكيل، فتجلد المُهَلَّبِيّ وركب بعد أيام يسيرة فخلع عليه وعاد إلى أمره^(٤) ولم يستو الأمر على ذلك بل قام معز الدولة بضرب المُهَلَّبِيّ مرة أخرى^(٥) ضرباً استعظمه واستقبحه الحاضر والغائب وتواترت قصة ضربه في الكتب، وذلك عندما مرض معز الدولة سنة ٣٤٤هـ^(٦) وأراد نقل داره خارج بغداد، وحاول المُهَلَّبِيّ أن يثنيه عن قراره لأن المُهَلَّبِيّ كان يرى " أن عز العرب أن تبقى سيطرة بغداد^(٧)"

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٤٣.

(٢) المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٤٦.

(٣) المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٤٦.

(٤) عبود الشالجي، موسوعة العذاب، ط ٢، دار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ١٠٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٥١٠.

(٦) جابر الخاقاني، شعر المُهَلَّبِيّ الوزير، مجلة المورد، م ٣، العدد ٢، ص ١٤٦.

وقدم له خيار ببناء دار في أعلى بغداد بباب الشماسية^(١)، لان الهواء نقي صاف ويقول التتوخي: " فبدأ ببناء السور المحيط بالدار، وكان العمل في ذلك متصلاً والصناع غير متفرقين، وقدّر لذلك ألوف ألوف من الدراهم، وزادت النفقة على التقدير أضعافاً (لسوء إدارة معز الدولة لأموار الدولة وخصاله المعروفة عنه)، فطلب من الوزير توجيه وجوه الأموال لذلك. ولقي من المهلبّي تعنتاً، فلم يتقبل معز الدولة هذا التعنت، ولم ينسه، وسعى الوشاة بين معز الدولة والمهلبّي بالوشاية، وأن البناة الذين تحت يد المهلبّي يسنفون^(٢) البناء في السور، ليخفف من النفقات ويسرقون الباقي، وأحضر المهلبّي، وأوقف على موقع منه فانقلعت منه لبنه - لأنه ركب عليه - وكالعادة عند معز الدولة حمي طبعه، فأمر بالمهلبّي فبُطِحَ وضُربَ مقارع كثيرة، ثم قال معز الدولة: اخنقه فجعل في عنقه حبلًا وأمسكه ركابيون فوق السور فيخنقه وهم لنجدته والتوسط عند معز الدولة (القواد والأتراك وخواصه) فبادر إلى تقبيل الأرض بين يديه، فأنزله وأطلقه، فمضى إلى داره كالमित، ولكن هذه المقارع لم تأخذ من المهلبّي شيئاً، وتجلّد وجمّد ولم يكثرث لما حصل، بل عاد إلى بيته وأمر بالنبيذ واحتفل بذلك لئلا يشمت أعداؤه، ويطمعون في صرقه^(٣).

وقد ضرب المهلبّي في الحالتين كلتيهما جوراً وظلماً، فلا هو كان سبباً في هزيمة الجيوش التي انهزمت، ولم يكن ممن يخون الأمانة التي يزعم التتوخي أن معز الدولة اتهم المهلبّي بالتلاعب في المبلغ الذي خصصه لبناء قصره، وسارت علاقة معز الدولة بالمهلبّي بين وصل وقطع وضرب، بل أبغى بسلاطة لسان معز الدولة وهي إحدى النكبات التي صبر عليها المهلبّي ويؤكد ذلك مسكويه حين يقول: " فقد كان المهلبّي يلحقه من معز الدولة الشتم والكلام الفاحش فيحتمل ذلك منه احتمال من لا يكثرث

(١) باب محلة الشماسية التي تقع في أعلى مدينة بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣١٨.

(٢) يسنفون: السنيف حاشية البساط، أي يعنون بحاشية البناء وظاهره، ويهملون باطنه، لسان العرب، مادة (سنف).

(٣) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص ١٣٨-١٤٠.

له^(١). ويفسر المهلبى سبب صبره وتحمله سوء خُلِقَ معز الدولة، وينفي أن يكون جبناً منه، فيقول: هو "أميرٌ خَرَقَ"^(٢) عجل، لا يملك لسانه فإذا ذهب وأظهرت الاستيحاء من هذيانه وَقَعَ له أنِّي لا أناصحه وأنه يتهمني بما لا يدور في فكري، فيكون سبباً للجأته ونكبته وليس له غير التغافل والتبسم في وجهه إذا أمكن، فإن لم يكن ذلك خوفاً من غضبه فليس إلا قلة الفكر فيه^(٣) ويرى ابن حمدون^(٤) أن من صائب الرأي ما كان يفعله المهلبى من احتمال له ما كان يفعله معز الدولة به.

وظلت الوشايات تتدافع على المهلبى عند معز الدولة خاصة، عندما أمر المهلبى الخروج إلى عُمان، في حين أن المهلبى أراد من معز الدولة أن يعفيه من الخروج فلم يفعل، وجدَّ به جداً شديداً في الانحدار^(٥)، وظل المعز يقبل قول الوشاة والمغرضين دون أن يتحرى، "ووجد أعداء المهلبى طريقاً للسعي بالوشاية عليه وطريقاً للطعن فيه واغتنموا تنكر معز الدولة له"^(٦) ولكن أفعال المهلبى وصفاته فرض على معز الدولة وصله وعدم عزله، إلى أن شملت المهلبى حملة المصادرات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت لزيادة ملك السلطان وجنود، فبعد وفاة المهلبى سنة ٣٥٢هـ صادر معز الدولة كل ما خلقه المهلبى لأولاده.

ويعرض ياقوت صورة دقيقة لحال أهله وعياله حال وصول خبر وفاته إلى بغداد، عندها قبض أبو الفضل العباس بن الحسين - زوج ابنته ربيعة وخليفة الوزير المهلبى - على تجني زوجة الوزير المهلبى ووكل بها خدماً وختم الأبواب وقال أبو الفتح بن الحسين بن هارون (خليفة الوزير على الوزارة): ما رأيت مثل هذا قط ولا سمعت، لعن الله الدنيا! أليس الساعة

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٤٦.

(٢) الخرق: نقيض الرفق، وخرق بالشيء جهله ولم يحسن عمله، لسان العرب، مادة (خرق).

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٤٦.

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٥٦.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٤-٦٥.

(٦) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٦٥.

كان هذا الغلام (الفضل بن الوزير المُهَلَّبِيّ) في الصدر معظماً وخليفة أبيه بين يديه - وقد جاءا للتهنئة بالشهر الفضيل - وما افترقا حتى صار بين أيديهما ذليلاً حقيراً، ثم جرى من المصادرات على أهله وحاشيته ما لم يجر على أحد" (١).

وليس هذا فحسب، بل سجن كل من كان عمل مع المُهَلَّبِيّ الوزير في أيامه للوصول إلى ماله وتركته، ومنهم: أبو العلاء بن أبرونا (٢) الذي "عوقب أشد عقوبة، وضُربَ أُنْحَ ضَرْبٍ، فلم يقر بشيء من ذلك" وقال: يا سبحان الله، أكون ابن أبرونا الطبيب يأخذني الوزير أبو محمد، ويصطنعني، ويجعلني كاتب سره، ثم أُطْلَعُ الناس على ذخيرة ذخرها لولده؟ ما كنت لأفعل هذا ولو هلكت" (٣)، فعُدل أبو الفضل إلى تجني (زوجة المُهَلَّبِيّ) وأمر بضرب ابنها (أبي الغنائم) بين يديها، فأمرت بإحضار أبي العلاء، فأحضر، فجعلت تسأله عن شيء شيء، وهو يخبرها بمكانه. (٤) ويصف ابن الأثير ذلك حين يقول: "قبض معز الدولة على أمواله وذخائره وكل ما كان له وأخذ أهله وأصحابه وحواشيه حتى ملأه ومن خدمه يوماً واحداً، فقبض عليهم وحبسهم واستعظم الناس ذلك واستقبحوه" (٥).

شخصيته وأخلاقه:

أشار الذين ترجموا لأبي محمد المُهَلَّبِيّ إلى أنه كان سميناً ذا جثة، يقول ياقوت الحموي في ترجمته "... وكان ذا جثة (٦) ويؤكد صاحب التكملة

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٧٥.

(٢) ابن أبرونا: أبو العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا، طبيب المُهَلَّبِيّ النصراني وكاتب سره، الميداني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٨٥، وفيه (أيزونا) .

(٣) الشالحي، موسوعة العذاب، ج ٧، ص ٢٦٢.

(٤) المرجع ذاته، ج ٢، ص ١٠٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٤٣.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٣.

ذلك فيقول "... كان المُهَلَّبِيُّ ثَقِيلَ البدن" ^(١) ويذكر ياقوت الحموي حادثه تدل على ذلك " قال أبو إسحاق: أجلسني معز الدولة لأكتب بين يديه - وأبو محمد المُهَلَّبِيُّ قائم فحجبني عن الشمس، فقال كيف ترى هذا الظل؟ فقلت: تخين. فقال: واه عجباً، أحسن وتسيء. وضحك" ^(٢).

ويضيف الثعالبي إليه صفة أخرى وهي أنه ذو لحية بيضاء طويلة، فيقول واصفاً من يجتمع عند المُهَلَّبِيِّ: "... وما منهم إلا أبيض اللحية طولها، وكذلك كان الوزير المُهَلَّبِيُّ" ^(٣) ويشير في شعره إلى مشيب مفرقه فيقول:

فَلأَصْفَحَنْ عَمَّا آتَا هُ مِنْ الدَّنُوبِ السُّبُّقِ
حَتَّى جَنَابَتِهِ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ بِمَقْرِقِي ^(٤)

كما أنه كان مُصاباً بحضر البول ^(٥) وسلسه، وله قصة مع هذا المرض، ذكرها ياقوت في معجم الأدباء "حَدَّثَ إبراهيم بن هلال الصَّابِي قال: "فاتفق أن صعد يوماً إلى داره - وقد حقنه البول وما كان يعتريه من سلسه فقصده بعض الأَخْلِيَةِ فوجده مقفلاً، فأبى أن يدعوا الفراش ويحضر (أراد المفتاح) فقال لي متبادراً على نفسه :

فَهَيْكَ طَعَامَكَ اسْتَوْتَقَتْ مِنْهُ فَمَا بَالُ الْكَنِيفِ ^(٦) عَلَيْهِ قَفْلٌ؟ ^(٧)

أما من الناحية النفسية فقد أشارت المصادر التي تعرضت لترجمته وأخباره إلى بعض معالم شخصيته إذ إنه كان وفيّاً لا يضع معه ود ولا يخيل معه عهد، وذلك واضح فيما روته الكتب عما فعله مع صاحبه القديم قيل أبو عبد الله الصوفي أو أبو الحسن العسقلاني، ولم نستدل على أيهما كان - الذي أسدى إليه معروفاً في وقت شدة وضائقة، فلم ينسَ وده بعد أن

(١) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٦٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٨.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٥.

(٥) عبود الشالجي، موسوعة العذاب، ج ٦، ص ١٢٩.

(٦) انكيف: الخلاء راجع إلى الستر، لسان العرب، مادة (كنف).

(٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٨.

ارتفع شأنه. فما أن عرف بوجوده في داره حتى قرّبه وأدناه، وأكرمه أيما إكرام، وهزته رعاية حق الصحبة والجري على حكم من قال:

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُم بِالْمَنْزِلِ الْخَشِنِ^(١)

وفي ذلك يقول أبو علي الصوفي واصفاً ما فعله المُهَلَّبِيُّ معه، عندما قصده "دخلت - يعني إلى مجلس المُهَلَّبِيِّ - فسلمت وجلست حتى إذا خلا المجلس رفعتُ إليه الرقعة وفيها :

أَلَا قُلْ لِلْوَزِيرِ بَلَا احْتِشَامٍ مَقَالٌ مُذَكَّرٌ مَا قَدْ نَسِيهِ
أَتَذَكَّرُ إِنْ تَقُولَ لَضَيْقِ عَيْشٍ أَلَا مَوْتَ يُبَاغٍ فَاشْتَرِيهِ^(٢)

فنظر إليه و قال: نعم ، ونهض وأنهضني معه في مجلس أنسه وجعل يذكر لي كيف ترقّت حالته وَقَدَّم الطَّعَامَ وَأَطْعَمَنَا، وأقبل ثلاثة من الغلمان على رأس أحدهم ثلاث بَدَر^(٣)، ومع الآخر تخوت وثياب رفيعة، مع طيب وبخور وأقبل ببغلة رائعة بسرج ثقيل، فقال لي: يا أبا علي تفضل بقبول هذه ولا تتأخر عن حاجة تعرض لك، وشكرته وانصرفت^(٤) فما أروع هذا الوفاء بالود وقد وصل إلى ما وصل إليه، بل الحال عنده أضعاف، وهو خير معين لأصدقائه، يقلل عثراتهم ويمسح الضر عنهم فلا يصد ولا يرد، وطبعه دائماً الوفاء ويتعهد بذلك فيقول:

أَنْسَنُ فَعَدْتُ بِي قَلَّةَ الْمَالِ قَعْدَةً فَمَا أَنَا عَنْ كَسْبِ الْمَعَالِي بِقَاعِدٍ
وَلَا أَنَا بِالسَّاعِي إِلَى الْجَهْلِ وَالْخَنَاءِ وَلَا عَنْ مُكَافَاةِ الصَّدِيقِ بِرَاقِدٍ
أَكْفِي أَخِي بِالْوَدِّ أَضْعَافَ وَدِّهِ وَأَبْذُلُ لِلْمَوْلَى طَرِيفِي وَتَالِدِي
وَمَا صَاحِبِي عِنْدَ الرَّخَاءِ بِصَاحِبٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْأُمُورِ الشَّدَائِدِ^(٥)

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ٢٦٦.

(٢) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٣٣١.

(٣) البدر: جمع بذرة، وهي كيس الدنانير فيه ألف أو عشرة آلاف، لسان العرب، مادة (بدر).

(٤) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٣٣١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٩، ص ١٤٩.

وهذا يقودنا إلى صفة أخرى وهي صفة الكرم، وقد أجمعت المصادر والكتب على أنه كان من ارتفاع القدر، واتساع الصدر، وعلو الهمة، وفيض الكف على ما هو مشهور به^(١) نبيلاً سمحاً جواداً ذا مروءة وكرم^(٢)، ويصفه ابن الوردي أنه كان "كريمًا عاقلاً ذا فضل"^(٣). ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي^(٤) في كرمه في دواة ومِرْقَع^(٥) صاغهما وأحسن صياغتهما بحلية ثقيلة لما سمع حديث أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي وأبي إسحاق الصاغاني عندما تمناها أبو أحمد لينتفع بهما، فقدمها له بل أضاف عليها ما هو بحاجة له من ثياب ودراهم لتسد حاجته.

أمّا الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء فيرى أن "له أخباراً في الكرم والمروءة"، وكان يفخر بهذه الصفة قبل توليه الوزارة، فيقول :

الجود طَبْعِي وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَالٌ وَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ بِالْقَرْضِ يَحْتَالُ
فَهَاكَ خَطِي فَخْذُهُ مَعَكَ تَذْكَرُهُ إِلَى اتِّسَاعِ فَلِي فِي الْغَيْبِ آمَالُ^(٦)

وبعد أن تولى الوزارة، كان فاتحاً بيته للقاصدين، عظيم العطف عليهم يساعد بأقصى ما عنده، ويروي التنوخي إعجابه بأخبار كرمه المختلفة، فيذكر إحسانه إلى كوّاز دفع إليه ألف درهم لشراء دار مستأجرة له، ورد باقي المال في رأس ماله^(٧) ويذكر أنه "كان رحمه الله من بقاء الكرم"^(٨)، يقول مخاطباً أبا محمد بعد أن أكرم أهل ميت إكراماً فائقاً: "لو كان الموت يُسْتَطَابُ في وقتٍ من الأوقات، لطاب لكل ذي ذيل طويل، في أيام

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٢٤، الأصبهاني الخوانساري، روضات الجنات، ج ٣، ص ٦١، الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٢) الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٨٢.

(٣) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٤٠٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ص ١٤٢.

(٥) المِرْقَع: ما رُفِعَ به هو شيء توضع فيه الدواة، لسان العرب، مادة (رفع).

(٦) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٦.

(٧) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٦٨.

(٨) المصدر ذاته، ج ١، ص ٦٩.

سيدنا الوزير [أطال الله بقاءه]، فإن هذا الفعل، تاريخ الكرم، [و غاية تسامي الهمم] وبه يتحقق ما يروى عن الأسلاف من الأجواد، والماضين من الكرماء الأفراد^(١)، وتؤكد أيضاً هذه الحقيقة أخبار كرمه المتناثرة في الكتب، التي تدل على إفراط كرمه وحسن شيمه، بل كان مقصداً للأدباء والشعراء وأصحاب الحاجات فيسد حاجاتهم ويُفضل عليهم إفضالاً أثر في حاله، فليس غريباً أن يموت وليس معه "مالٌ صامت"^(٢)، ولا ذخيرة باطنة، كان يصرف جميع ماله في نفقاته، وصلاته، وهباته^(٣). وكرمه هذا يلخصه "قولُ شبيب بن شيبه"^(٤) عندما خرج من دار المهلب، يقول: تركت الداخل راجياً والخارج راضياً^(٥) ويضنف أبو إسحاق الصّابي كرمه وجوده فيقول:

لَهُ يَدٌ بَرَعَتْ جُوداً بَنَائِلَهَا وَمَنْطِقٌ دَرُّهُ فِي الطَّرْسِ يَنْتَثِرُ^(٦)

وقد بدت شخصية المهلب شخصية قوية، ينظر إليها أهل عصره نظرة إجلال وتقدير، ذات هيبة في نفوس الناس، وتشهد أخباره بقوة شخصيته، وهو القائل " والله لأكوننّ في دولة الدّيلم أول مَنْ يُذكر، إن فاتني أن أكون في دولة بني عباس آخر من يُذكر"^(٧).

(١) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٧١.

(٢) الصامت من المال: الذهب والفضة، لسان العرب، مادة (صمت).

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأديباء، ج ٣، ص ٦٦.

(٤) الخطباء البلغاء المشهورين أثنى عليه الجاحظ في البيان والتبيين، ج ١، ص ٣١٨.

(٥) أبو حيان التوحّيدي، مثالب الوزيرين، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٥٩.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٥. الطّرس: الصحيفة، ويقال هي التي كتبت ثم كتبت. لسان العرب، مادة (طرّس).

(٧) التوحّيدي، الإمتاع والمؤنسة، ج ٣، ص ٢١٣.

ويؤكد على هذه الصفة أغلب الذين ترجموا له " ... كان من رجال الدهر حزماً، وعزماً، وسؤدداً، وعقلاً، وشهامة، ورأياً، له صدر واسع، وهمة كبيرة، صبوراً على الشدائد"^(١).

وقد جمع إلى قوة شخصيته الذكاء والذهاء، فيصفه معاصروه "أمثال أبي بكر بن سعيد رحمه الله والمافروخي"^(٢): يقول هل رأيت أدهى من هذا الرجل - يقصد المهلب - وأذكى منه؟ فقال: لا.^(٣)

ويلخص هذه الصفات السابقة السري الرفاء في قصيدة يمدح فيها المهلب فيقول:

ومُبْتَسِمٌ والطَّعْنُ يَخْضِبُ رُمَحَهُ كَأَنْ قَدْ رَأَى مِنْهُ بَنَانًا مُخْضَبًا
رَأَيْنَاهُ يَوْمَ الْجُودِ أَزْهَرَ وَاضِحًا وَيَوْمَ قِرَاعِ الْبَيْضِ أَبْيَضَ مِقْضَبًا
فَخَلِنَاهُ فِي بَدَلِ الْأَلُوفِ قَبِيصَةً وَخَلِنَاهُ فِي سِلِ السُّيُوفِ الْمُهْلَبِ^(٤)

ونضيف صفة أخرى من صفاته، فرغم أنه كان ثقیل البدن إلا أنه كان ظريفاً خفيف الروح، له نوارد فكاهية كثيرة، فنجد الصفدي في الوافي بالوفيات يقول عنه " كان ظريفاً نظيفاً"^(٥) وكان من ظرف المهلب وتحريره للنظافة، أنه كان يأمر بقفل أخلية داره صيانة لها من الابتذال.^(٦)

ولعل مبالغته في مأكله وملبسه، كانت سبباً في غيرة الكثيرين منه وهذا حال الصيّمري كما أشرنا لها سابقاً.

(١) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٢٧٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٩٠.

(٢) هو أبو محمد، عبد العزيز بن أحمد المافروخي: كان من العلم والجلالة، كان يتقلد عمالة البصرة، يحفظ من شعره الخليلية، فيقرأ القصيدة من أولها لآخرها، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٤٤-٢٤٧.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٤٧.

(٤) بهاء الدين المنشي الإربلي، التذكرة الفخرية، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار الفسائر، دمشق، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ٣٢٥.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٣.

(٦) الشالحي، موسوعة العذاب، ج ١، ص ٢٧٢.

وفكاهة المهلبي وظرفه تفيض إلى درجة اللهو، فإذا صفاه المجلس ودنا الأصدقاء وتخلص من إرهاق أعمال الوزارة، فاضت روحه بالدعابات والمؤامرات الفكاهية، يروي الثعالبي في يتيمة الدهر أخباراً عن هذه المجالس التي يعقد فيها للشرب والغناء (فيما أخرج من كتاب الروزنامة للصاحب إلى ابن العميد فيما يتعلق بملح أخبار المهلبي): "شاهدت (الكلام للصاحب بن عباد) - من حسن مجلسه وخفة روحه وأدبه^(١) وخاصة مع أصدقائه وندمائيه وقصته مع أبي الحسن العلاف في التذكرة الحمدونية^(٢) تشير إلى ذلك.

بل تفيض روحه بالدعابات والمسامرات الفاحشة إلى درجة التلطف بالألفاظ النابية، فقد شتم جماعة من الكتاب، مجتمعين في مجلسه، ومازحهم وأجاز كل واحد منهم، بعد أن سمع منهم الحديث "إذ أنشأ أحدهم يقول :

سبال الوزير سبال كبير

وقال آخر: وعقل الوزير فعقل صغير

فقال: بشر بن هارون^(٣) وكان معهم:

زيادة هذا بنقصان ذا كما طال ليل النهار القصير^(٤)

ويذكر الشالجي^(٥) مجموعة من الألفاظ النابية التي تلفظ بها المهلبي مع أصدقائه في مجلسه الخاص أو العام.

ونستطيع أن نلمح أيضاً صفة أفرزتها البيئة التي عاشها المهلبي هي صفة الإسراف والترف، فهو بعد توليه الوزارة أصبح مسرفاً إسرافاً فاحشاً متأنقاً في مجلسه، يستقبل حياته من غير تزمّت المتزمتين فهو ابن عصره المترف، الذي كان فيه "بعض الملوك والأكابر يغالون في التماس

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٢) ابن حمّون، التذكرة الحمدونية، ج ٩، ص ١٠٤.

(٣) بشر بن هارون: كاتب ويقول عنه التوحّدي: يقرّص فيحزّ، ويشمّ فيهزّ، ويجرح فيجهز، ويراد بالعبارة أثره بالغ في الهجاء، التوحّدي، الإمتاع والمؤانسة، ج ١، ص ١٣٩.

(٤) ابن حمّون، التذكرة الحمدونية، ج ٢، ص ١٦٢.

(٥) الشالجي، موسوعة العذاب، ج ١، ص ٢١١.

الزينة مجاوزين الحد في ذلك، وقد استخفوا هوس الحسن والبذخ، وتملكهم جنون الترف، فأغدقوا الأموال الطائلة من أجل لذة ساعات معدودات^(١)، وهو منهم يسرف من غير اهتمام لما ستأتي به الأيام، فقد روى التتوخي "شاهدنا أبا محمد المهلبي في وزارته، وقد اشترى في ثلاثة أيام متتابة ورداً بألف دينار، فطرحها في بركة عظيمة، كانت له في دار كبيرة، تعرف بدار البركة، وشرب عليه، وكان في البركة فوارة حسنة، فطرح الورد فيها وفرشه في مجلسه، وكان لذلك شرح طويل"^(٢)، وهذا الإسراف الخليع كان إحدى الصور التي عكسها المهلبي في شعره. وكان من ترفه أنه "إذا أراد أكل شيء من أرز بلبن، وهرايس، وحلوى رقيق، وقف إلى جانبه الأيمن غلام، معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجاً مجروداً؛ فيأخذ المعلقة من الغلام الذي على يمينه، فيأكل بها لقمة واحدة، ثم يدفعها إلى الغلام الذي على يساره؛ لئلا يعيد المعلقة إلى فيه دفعة ثانية"^(٣).

ويذكر الثعالبي ما يذكره صاحب بن عباد عما يعدّه الوزير المهلبي لمثل هذه المجالس مصوراً هذا الجانب من شخصية المهلبي فيقول: "حضرنا مع الأستاذ أبي محمد - أيده الله تعالى - بها فاستدعى دنا للوقت، وخماراً من الدير، وريحاناً من الحانة، واقترح غناء من الماخور، وأخذنا في فن من الانخلاع عجيب، بطريق من الاسترسال رحيب"^(٤).

ونرى صورة مجالس اللهو عند الوزير المهلبي خالية من الفضيلة والحشمة، فيصف الثعالبي هذه المجالس ويقول: "كان يجتمع فيها جملة الذين ينادمون الوزير المهلبي، ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة، والتبسط في القصف والخلاعة. وهم ابن قريعة، وابن معروف، والقاضي التتوخي وغيرهم، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها، وكذلك كان الوزير المهلبي، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب

(١) البشير المجذوب، الظرف بالعراق في العصر العباسي، فيما بين القرنين الثاني والرابع الهجري، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ص ٨٤.

(٢) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٣٠٣.

(٣) الصفي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٣.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٢.

منهم ماأخذوه، ووهبوا ثوب الوقار، وتقلبوا في أعطاف العيش، بين الخفة والطيش، ووضع في كل يد كل واحد منهم كأس ذهب من ألف مثقال مملوءة شراباً قطربلياً أو عكبرياً، فيغمس لحيته فيه، بل ينقعها حتى تتشرب أكثره، ويرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون أجمعهم، وعليهم المصبغات ومخانق البرم^(١).

ورغم ذلك فقد كانت شخصيته تناسب المقام الذي هو فيه "حدث إبراهيم بن هلال قال: كان المهلبى يُناصفُ العشرة^(٢) أوقات خلوته، ويبسطنا في المزح إلى أبعد غاية^(٣)" هذا هو حال المهلبى مع ندمائه وأصدقائه وقت خلوته، وعلى نقیض ذلك، إذا جلس للعمل والأمور الرسمية، يقول ياقوت " فإذا جلس للعمل كان أمراً وقوراً ومهيباً ومحذوراً، أخذاً في الجد الذي لا يتخونه نقص، ولا يتداخله ضعف^(٤)، وهذا مما دفعه يصف مكاناً خالياً طيباً، يناسب أن يكون للهو أصحاب الوقار والفضيلة:

خانٌ تطيبُ لباغي النَّسكِ خلوتهُ وفيه سترٌ على الفكّ أن فتكوا^(٥)

وكما يصف الثعالبي مجالس المهلبى نثراً، فقد وصف السري الرفاء ما يحدث بها شعراً، بقوله:

مجالس ترفُصُ القضاء بها	إذا انتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا	بشئمة خلوة من الشيم
نخصب بالراح شبيه عبثاً	أنامل مثل حُمرة العنم ^(٦)

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٣٩٤.

(٢) يُناصفُ العشرة: أي يُنصفُ ويعدّلُ في المعاشرة بينه وبين مُعاشريه، لسان العرب ، مادة (نصف).

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٨.

(٤) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٦٨.

(٥) مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كتاب النثر، ط ٣، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٦٣٠.

(٦) العنم: شجر صغير لين الأغصان ، لها ثمر أحمر كالبنان المخضب ، لسان العرب، مادة (عنم).

فراه شيخاً ضعيفاً عليه قميص رث وهو بغير سراويل وفي رجله ناسومة^(١) مخلقة، فقال له: ألم يكن لك أيها الشيخ في طرفي النهار مندوحة عن مثل هذا الوقت، فتنفس، وقال: ما أهون على الراقد سهر الساهد!، وقال :

ما كُنتُ بائعَ ناطفٍ فيما مضى لكنْ قضت لي ذاك أسباب القضا
وإذا المُعِيلُ تعذرت طلباته رام المعاش ولو على جمر الغضا^(٢)
فقال له الوزير: أراك متأدباً فمن أين لك ذلك؟ فقال: إنني أيها
الوزير من أهل بيتٍ لم يكن فيهم من صناعته ما ترى - وأسر إليه أنه من
ولد معن بن زائدة- فأعطاه مائة دينار وخمسة أثواب، وجعل ذلك له رسماً
في كل سنة^(٣)، فيكرمه لأدبه وثقافته.

بل كان أبو محمد كثير الإحسان إلى الأدباء^(٤) ولو خطوا بين يديه
بيتاً أو بيتين من الشعر قدم إليهم ما يفضي إليهم ويدفعهم به، روى عنه
التنوخي قال: " حضرتُ أبا محمد في وزارته، ودفع إليهِ شاعرٌ رقعة صغيرة،
فقرأها وضحك، وأمر له بألف درهم وطرح الرقعة، فقرأتها، وإذا فيها :

يا من إليه النفع والضر قد مسَّ حالَ عبيدك الضرُ
لا تتركَنَّ الدهرَ يظلمُنِّي ما دامَ يقبِلُ قولكَ الدهرُ^(٥)
فأمر له بألف درهم.

ويتحسر أدباء عصره وعلماءه على هذا الكرم الذي انقطع عنهم
حال وفاته يقول مسكويه: " ومات بموته عن الكتاب الكرم والفضل رحمه

عليه

(١) الناسومة: النعل من الألفاظ التي كانت مستعملة في العصر العباسي، ولا يُعرف أصلها. الأصبهاني، عماد
الدين الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر (القسم العراقي)، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي
العراقي، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، المجلد الثاني، ج٣، ص٢٣.

(٢) المعاش: المعيشة، الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص٦٩.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٦٩.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١هـ — ١٩٧١م،
ج٤، ص٤٣٨.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص١٦٢.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٩٨.

ومن صفاته وأخلاقه التي كان ينال بها احترام الناس احترامه لغير المسلمين، فقد حضر أبو إسحاق الصّابي يوماً مائدة الوزير المُهلّبيّ فامتنع عن الأكل، لباقلاء كانت عليها، لأنه مُحرم على الصّابئة كيفما كان من السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد، وقال له المُهلّبيّ: لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء، فقال: أيها الوزير لا أريد أن أعصي الله في مأكل، فاستحسن ذلك منه^(١).

مذهبه

كان الوزير المُهلّبيّ، أبو محمد، شيعياً امامياً^(٢)، ومن الأخبار التي تدل على تشيُّعه حادثة جرت له مع معز الدولة عندما "قبض على غلام شاب يدّعي أن روح علي قد حلت فيه. سجنه ووكل به، إلا أنه اضطر إلى تركه بأمر من معز الدولة عندما ادعى التشيع عنده، وخاف المُهلّبيّ أن يقيم على تشدده في أمره، فينتسب إلى ترك التشيع فسكت عنه"^(٣)، ولعل تشيُّعه هذا كان هو السبب في رفع شأنه عند معز الدولة، فقد كان الدَّيلم يتشيِّعون ويغالون بالتشييع^(٤)، ويعدّه حسن الأمين في دائرته من أشهر الوزراء الشيعة في العهد العباسي^(٥).

ومما يؤكد تشيُّعه دفنه في مقابر النوبختية من الشيعة الإمامية. وقد توفقت المصادر والكتب والمراجع على أنه شيعي إمامي .

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) عباس القمي، الكنى والألقاب، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج٣، ص ٢١٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤٩٥.

(٤) محمود غناوي، الأدب في ظل بني بويه، ص ٢٦.

(٥) حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج ٢٣، ص ٣٢٣.

وكان يصوم رمضان، و يكثر من التهجّد فيه وقراءة القرآن ويهجر فيه اللهو ويترك الشرب وقاراً بهذا الشهر الفضيل، وذلك ما أورده أبو الفرج الأصفهاني من أبيات شعر يهنئ الوزير المهلبيّ بعيد الفطر:

أيا غرّة الدهر انتتف غرّة الشّهر وقابل هلال الفطر في ليلة الفطر
بأيمن إقبال وأسعد طائر وأفضل ما ترجوه في أفسح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهد صادقاً بطهرتك فيه واجتتابك للوزر
فأكرم بما خطّ الحفيظان منهما وأثنى به المثني وأطرى به المطري
وزگتك أوراق المصاحف وانتهى إلى الله منها طول درسك والذكر

وقبضك كفّ البطش عن كلّ مجرم وبسطكها بالعرف^(١) بالخير والبر^(٢)
وكان المهلبيّ رغم لهوه وتهتكه وشغله بالذات، لا يرى ملاذاً له في ضيق وشدة إلا اللجوء إلى الله سبحانه، يروي أبو علي التتوخي حديثاً له قال: "حدثنا أبو محمد المهلبيّ في وزارته قال: كنت في وقت من الأوقات قد وقعت لي شدة شديدة وخوف عظيم لا حيلة لي فيه، فأقمت ليلتي قلقاً ولم أعرف الغمض، فلجأت إلى الصلاة والدعاء وأقبلت على البكاء في سجودي وانتصرع ومسألة الله تعالى ففرج عني ما كنت فيه، على أفضل ما أردت فقلت شعراً:

بعثت إلى ربّ العطاء رسالة تؤمل لي فيها دعاء مناصح
فجاء جوابي بالإجابة فانجلت بها كرب ضاقت بهن جوانحي^(٣)

(١) العرف: الكرم والمعروف، لسان العرب، مادة (عرف).

(٢) الثعلبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) التتوخي، الفرج بعد الشدة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م ج ١، ص ٤٤.

ثقافته :

لم نلمح في الكتب، ما يشير إلى أساتذته وشيوخه الذين تعهده في طور الصبا، ولكن في أخباره ما يشير إلى أنه ملم إماماً واسعاً بالأدب وقسّض الشعر، ومن خلال تتبعنا لأخباره وتراجمه، نستطيع أن نقول إنه عمل على تثقيف نفسه بثقافات مختلفة، ما بين ثقافة دينية ولغوية ونقدية وثقافات أخرى، حتى وصل إلى هذه المكانة العالية بين معاصريه.

فنستطيع أن نجد أثر الثقافة الدينية في أدبه، فهو يقتبس آيات من القرآن الكريم بما يتفق مع المناسبة، ومنها حين وقع لصاحبه القديم الذي أكرمه في أيام فقره في رقعته^(١) : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَائِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

وفي شعره فيقول:

ألا إن إخواني الذين عهدتهم أفاعي رمال لا تقصر عن لسعي
ظننت بهم خيراً فلما بلوئتهم نزلت بوادٍ منهم غير ذي زرع^(٣)

في البيت توظيف مباشر لقولة تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع﴾^(٤).

وفي نثره ما يؤكد هذه الثقافة وهو قوله: "من حنث في أيمانه، واخل بأمانته، فإنما ينكث على نفسه"^(٥)، وفي هذا اقتباس واضح لقوله

(١) الدروبي وجرار، جبهة توقيعات العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠١م، ج٢، ص ٣٦٩.

(٢) سورة البقرة، آية ﴿٢٦١﴾.

(٣) الثعالبي، لباب الأدب، قدم له وشرحه، ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج١، ص ٣٦٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية ﴿٣٧﴾.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ٢٧٨.

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ سَعِدَ بِهِ﴾ (١).

وكان يفصح بالفارسية (٢) وهذه اللغة قد تكون سهلت عليه معرفة الأدب الفارسي.

أما ثقافته في الشعر فلا شك أنه اكتسبها من اطلاعه على أشعار سابقيه ومعاصريه، ومما يدل على اطلاعه هذا تضمينه لبعض أشعار سابقيه أمثال الفرزدق فيقول:

فلو أنَّها رِيحُ الفرزدق لَمْ يَكُنْ لها تِرَّةٌ من جذبيها للعصائب
وبيت الفرزدق:

وركب كأن الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لها تِرَّةٌ من جَدْبِها بالعصائب (٣)
والشطر الثاني تضمين واضح لشطر الفرزدق .

ويذكر معرفته لشعراء آخرين في شعره، مثل قيس بن ذريح وتجربته مع محبوبته لبنى، فيقول:

وَصِرْنَا فِي مَحَبَّتِنَا حَدِيثًا يُهَجَّنُ شَرْحُهُ قَيْسًا وَلِبْنَى (٤)

بل كان يحرص على حفظ أشعار سابقيه، "ذكر الصَّابي أن أبا عينية المَهْلَبِيَّ من عمومة الوزير - يقصد الوزير المَهْلَبِيَّ - كان المَهْلَبِيَّ يحفظ أكثر أشعاره" (٥).

وقد تنوعت الثقافات لديه لذلك جاءت أبياته الشعرية فيها من هذه الثقافات التي كشفت عنها بعض أبياته الشعرية كتقافته النقدية في قوله:

إذا اختصرَ المعنى فُشْرَبَ حائِمْ وإن رام إسهاباً أتى الفيض بالمد (٦)

(١) سورة الفتح، الآية (١٠) .

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٣، ص ١٢٤.

(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ٤، ص ٤٢١.

(٤) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٨٢.

(٥) الشعاني، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٦٨.

(٦) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٢٧٥. الحائِم: الطالب المتعطش، لسان العرب، مادة (حام) .

وينظم المهلبّي أبياتاً من الشعر، يقدم فيها ثقافته في نقد الشعر، فيقول في كتاب وصله:

وَفَضَضْتُهُ فَوَجَدْتُه لَيْلًا عَلَى صَفَحَاتِ نَوْرٍ^(١)
مِثْلَ السَّوَالِفِ وَالْخُدُ دَالِ الْبَيْضِ زَيْنَتٌ بِالشُّعُورِ^(٢)
وَبَنَظْمٍ لَفِظٍ كَالثُّغُورِ رُوكَالِ الْعُقُودِ عَلَى النُّحُورِ^(٣)

ولقد استفاد من هذه الثقافة في حكمه على علماء وأدباء عصره فقال في القاضي ابن قريعة: "هو أوحّد زمانه"^(٤) وشهد له الأدباء بصواب حكمه وصحته، يقول أبو الفرج الأصفهاني لأبي حامد المروزي الفقيه بعد ما عرف ثقافته وعلمه: "ما كان أبو محمد يُثني عليك جزافاً، ولا يُشغف بك على طريق الهوى"^(٥).

والى جانب ذلك كله - كانت له ثقافة في الغناء والموسيقى اكتسبها من اتصاله بالمغنين والمغنيات في مجالسه التي كان يعقدها للشرب والغناء.

وكان الوزير المهلبّي على معرفة بأحوال البلاد ومواقعها وجغرافيتها، فعبر عن هذه الأمور التي انعكست على تعريفه لبعض الأماكن فيما جاء في تعريفه لموقع مدن يمنية "قال المهلبّي: ولها ساحل يُعرفُ بغلافقة، وبينها خمسة عشر ميلاً"^(٦) وأخرى "قال الحسن بن محمد المهلبّي: من الورداء إلى مدينة العريش ثلاثة فراسخ، وقال وهي مدينة جليلة، وهي كانت حرس مصر أيام فرعون، وهي مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر"^(٧). وأما المهلبّي المذكور في كتاب القلقشندي في المواقع الأخرى من

(١) فضضته: فتحته، لسان العرب، مادة (فضض) .

(٢) السوالف: جمع سالفه، قيل مقدّم العنق من لدن معلق القرط إلى قلب الترقوة، لسان العرب، مادة (سلف) .

(٣) ابن الشجري، حماسة ابن الشجري، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، دار الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م، ص ٨٠١-٨٠٢.

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٩، ص ٣٢٥.

(٥) التوحيد، مثالب الوزيرين، ص ١٦٥.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه نبيل دحلان الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ج ٥، ص ٨.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٤.

الكتاب هو صاحب كتاب " المسالك والممالك " فينسب شارح ومعلق كتاب
صبح الأعشى محمد حسين شمس الدين كتاب المسالك والممالك للوزير
المُهَلَّبِيّ، إلا أن هذه النسبة لم يتم تأكيدها، فلا يذكر صاحب كتاب كشف
الظنون أنه من تأليف أبي محمد، ولعل هناك لبساً بينه وبين " الحسين أحمد
المُهَلَّبِيّ المتوفى سنة (٣٨٠هـ)) وكتابه "المسالك والممالك" المعروف باسم
العريزي الذي ألفه للعزیز بالله الفاطمي صاحب مصر^(١) ونسبه إلى اسمه.

ولقد كان لهذه الثقافات المتنوعة التي ألمّ بها أديبنا مقومات عديدة
منها: مجالسه وتنقلاته.

مجالسه:

البيئة التي عاش فيها بيئة زاخرة بالمعارف والعلوم، رغم ما فيها
من لهو ومجون وترف، وبفضل كرمه وحبه للعلم والعلماء، وعنايته بهم،
وإغداقه الأموال الطائلة عليهم، فأخذوا يتسابقون في مدحه وإنشاد شعرهم
أمامه. هذا كله هياً لصاحبنا الاتصال بهؤلاء الأدباء والعلماء والقضاة، فكان
يتبادل معهم الحديث عن الأدب ويتذوقه ويقدم له نقداً، فيصف ياقوت
المُهَلَّبِيّ بأنه " كان طيب الحديث، وأكثر مذاكرة بالأدب وضروب الحديث مع
من يجمعهم من العلماء والكتاب والندماء " ^(٢) وقال أبو إسحاق الصّابي: "كنا
نسيلة بحضرة الوزير أبي محمد المُهَلَّبِيّ نتذاكر"^(٣). وهذا التذاكر يكشف لنا
عن مجالس المُهَلَّبِيّ التي هي أحد المجالس التي كان يجتمع فيها الأدباء
والعلماء في العصر العباسي، فيها اللهو الغريب والأدب العجيب، ويصف
اسكتور طه حسين هذه المجالس قائلاً: "وكانت اجتماعاتهم ناعمة غضة، فيها
اللهو وفيها الترف، وكانوا لا يجتمعون إلا على كأس يُدار أو إثم يُقترف،
وكانت اللذة والأثام حديثهم، إذا اجتمعوا يتحدثون فيها شعراً أو نثراً، وكان
الدين واللغة والفلسفة حديثهم أيضاً، ولم تكن اجتماعاتهم دائماً تخلو من

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المجلد الثاني، دار أحياء

التراث العربي، بيروت، دت، ص ١٦٦٥.

(٢) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٧٢.

(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٩، ص ٣٥٤.

النساء"^(١)، وكذا كانت مجالس المهلبي "مجالس مختلفة: للفقهاء يوم، وللقضاة يوم، وللمتكلمين يوم، وإن كانت هذه المجالس لا تخلو من الشرب والغناء، فقد كان يجري فيها من غرائب العلم وبدائع الحكمة الشيء الكثير في فنون شتى"^(٢)، وخير مثال على ما كان في مجالس المهلبي من علم وأدب "الرسالة الحاتمية" لأبي علي الحاتمي التي نظمها في تتبع مساوئ المتنبى "وقد التقى الحاتمي بالمتنبى أكثر من مرة في مجلس المهلبي"^(٣).

وفي مجلس المهلبي كانت تدار مناقشات ومناظرات في مختلف المواضيع حتى في أمور التسلية "سئل أبو بكر بن قريعة القاضي في مجلس المهلبي عن النرد"^(٤)، فقال: ما أدري غير أنني أرى لبداً مخططاً، وخشباً مخرطاً، وعظماً منقطاً، وأيدي تضرب ميطاً"^(٥)، وكل يطلب بصاحبه شططاً"^(٦). بالإضافة إلى مقولات يتطارحها الشعراء، وتتبادلها الجواري مشافهة أو مكاتبة مع رواد المجلس، فقد غنى سلاف (خادم الوزير المهلبي) للمهلبي:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم^(٧)
فقال المهلبي: بل غن.

(١) طه حسين، حديث الأربعاء (الأندية)، ط ١٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٣٣-٣٤.

(٢) وهيب طنوس، في النثر العباسي، ط ٢، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٨٠-١٩٨٠م، ص ٢٣٨.

(٣) فاطمة الموافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، ص ٤٦.

(٤) البرد: لعبة معروفة فارسية، ومعناها الفارسي: جذع الشجرة، لسان العرب، مادة

(٥) الميط والمياط: الدفع والزجر، لسان العرب، مادة (ميط).

(٦) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ٢، ص ٧٣٢. شطط: الجور في الحكم، لسان العرب، مادة: (شطط).

(٧) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٣.

يا شقيقَ النفس من خدمي لم ينم ليلي ولم أنم

غَنَّنِي من شعر ذي حكم يا شقيقَ النفس من حكم^(١)

وأصبحت مجالس المهلبي معرضاً لفنون الأدب والعلم، يتنافس أصحاب هذه الفنون في عرضها وتنسيقها، بل أصبحت أشبه بالمنشآت الأدبية يجتمع بها الأدباء والمتأدبون وأصحاب الرواية والأخبار، فينشدون الأشعار ويتحدثون بالأخبار ويستفيدون ويفيدون، ولا بد أن تترك هذه الفنون بصمتها في أدبه وثقافته.

ثم إن تنقلاته بين البصرة والأهواز وبغداد مكنته من الاتصال بأقوام مختلفة وشعوب متنوعة، فأكسبته خبرة ودراية بأحوال الناس العامة وعاداتهم، وعبر عنها في أدبه وشعره تعبيراً صادقاً من ذلك قوله:

إن العبيد إذا ذللّتهم صلحوا على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا

ما عند عبدٍ لمن رجّاه مُحتملٌ ولا على العبدِ عند الحرب معتمدٌ

فأجعلَ عبيدك أوتاداً مشججةً لا يثبت البيتُ حتى يقرعَ الودّ^(٢)

ومن ذلك أيضاً قوله الأمثال والحكم التي تعبر عن أحوال الدنيا وكثرة التجارب التي مرت عليه في حياته كقوله :

لو توسّطت إذا لم تُترك وكففتَ النفسَ عن بعد الأرب

شأن أُرجى لك في العتبي من أن تملأ الدلو إلى عقد الكرب^(٣)

وقوله في أصناف الناس: "تبدي وجهه المطابق والموافق، وتخفي نظر المسارق المنافق"^(٤).

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٣،

(٢) الثعالبي، المنحل، نظر فيه وصحح روايته وترجم شعراءه وشرح ألفاظه اللغوية أحمد أبو علي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة، ص ص ١٤٤-١٤٥.

(٣) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح عماد الحلو، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م، ص ١١٤. الكرب: الحبل الذي يشد بعد المنين وهو الحبل الأول فإذا انقطع المنين بقي الكرب، لسان العرب، مادة (كرب).

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٨.

وقوله في الوزارة وما فيها من أحكام: "التَّصَرُّفُ^(١) أَسْنَى وَأَعْلَى،
والتَّعْطَلُ^(٢) أَعْفَى وَأَصْفَى"^(٣) وقوله " قَتْلُ الْإِنْسَانِ ظُلْمٌ ، وَقَتْلُ قَاتِلِهِ
حُكْمٌ"^(٤).

آثاره الأدبية:

ذكرت الكتب والمصادر التي عُذِّيت بأخباره أنه "كان من رجال
العلم حزمًا، وعقلاً، ودهاءً، وشهامة وكرماً"^(٥) وقال فيه النُّعَالِيُّ في
اليَتِيْمَةِ: "غاية في الأدب والمحبة لأهله"^(٦) وقال فيه ابن خلكان مثل هذا^(٧).
وأضف مسكويه عليه الكثير من الصفات فيقول عنه: " وَتَوَقَّرَ عَلَى
أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْعُلُومِ، فَأَحْيَا مَا كَانَ نَرَسَ وَمَاتَ مِنْ ذِكْرِهِمْ وَنَوَّهَ بِهِمْ، وَرَغَّبَ
النَّاسَ بِذَلِكَ فِي مُعَاوَدَةِ مَا أَهْمِلَ مِنْهَا"^(٨)، وكان مقرباً للعلماء^(٩)، محباً لهم
وهو الأديب الذي يهتز للشعر ويتنوقه، ويؤكد ذلك ما يقول عنه ابن
الجوزي: "كان يقول الشعر الحسن، وفيه الأدب الوافر، وكان يَطْرَبَ عَلَى
اصْطِنَاعِ الرِّجَالِ وَيَهَاجُ لَذَلِكَ"^(١٠) ويقول ابن تغري بردي الأتابكي: "كان
فاضلاً شاعراً فصيحاً"^(١١).

(١) التصرف في الأمور: العمل، ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرف).

(٢) التَّعْطَلُ: ترك العمل وبقي لا عمل له، لسان العرب، مادة (عطل)، وأعطال الرجال: عزلهم، أساس
البلاغة. الزمخشري، مادة (عطل).

(٣) النُّعَالِيُّ، التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٩.

(٤) النُّعَالِيُّ، سحر البلاغة وسر البراعة، ص ١٨٨.

(٥) الذهبي، دول الإسلام، حققه وعلق عليه حسن إسماعيل مروة، قرأه وقدم له محمود الأرناؤوط، دار صادر،
بيروت، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٣٢٣.

(٦) النُّعَالِيُّ، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٤٢.

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٢٥.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٩٧.

(١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ١٤٢.

(١١) ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٨٣.

أما الصفدي فيؤكد أنه "قد أخذ من الأدب بحظٍ وافر" ^(١) ويقول في موقع آخر يصف شعره: "شعره جيدٌ إلى الغاية" ^(٢).

ولم تكن كتابته وقوله للشعر تمر مرور الكرام بدون أن يهب الأدباء إلى وصف بلاغته وحسن كلامه، وقد اعترف بأدبه أكثر معاصريه، فينظم أبو إسحاق الصّابي أبياتاً في وصف أدبه يقول فيها:

قل للوزير أبي مُحَمَّدٍ الذي قد أعجزتْ كلَّ الورى أوصافُهُ
لكَ في المجالسَ منطوقٌ يشقي الجوى ويسوغُ في أننِ الأديبِ سُلَافُهُ
وكانَ لفظكَ لؤلؤً مُنخَلَّ وكأنمّا آذائنا أصدافُهُ ^(٣)

ويروي صاحب بن عباد ملامح شعره ومميزاته، فيقول: "شاهدت من حُسن مَجْلَسه وخِفَةِ روح أدبه وإنشاده للصنوبري ^(٤) وطبقته ما طاب به الوقت، وهشّت له النفس وشاكل رقة ذلك الهوى، وغُدوبة ذلك اللمى" ^(٥).

ويذكر في موقع آخر واصفاً أدبه "كان يترسل ترسلاً مليحاً، ويقول الشعر قولاً لطيفاً، ويُضرب بحسنه المثل، ولا يستحلى معه العسل، يغذي الروح، ويجلب الرّوح، كما قال بعض أهل العصر فيه:

بأبي من إذا أراد سراري عَبرَتْ لي أنفاسُهُ عن عبير
وسباني ثغرٌ كدرٍ نظيم تحته منطوق كدرٍ نشير
ولله طلعة كنيل الأمانِي أو كشعر المُهلِّي الوزير ^(٦)

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٣.

(٢) المرجع ذاته، ج ١٢، ص ٢٢٧.

(٣) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٣٢٨. انتقلت الشيء: استقصيت أفضله، تتخلته: تخيرته، لسان العرب، مادة (تخل).

(٤) الصنوبري: أحمد بن محمد الصنوبري، أكثر شعره في الرياض والأزهار، وكان مجالس سيف الدولة توفي سنة ٣٣٤هـ .

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٧٠.

(٦) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٢٦٥.

ويشهد له الذهبي بحسن أدبه أيضاً " له نظمٌ مليحٌ، وكان يملأ العيونَ منظره، والمسامعَ منطوقه، والصُّدورَ هيئته، وتقبلُ النُّفوسُ تفصيله وجُمْلته^(١) ".

ورغم هذا الإطراء في الوصف لشعره، فلم يصلنا شعر الوزير في ديوان حتى قام جابر الخاقاني في العصر الحديث بمحاولة جمعه^(٢) للإفادة منه، مع أن بعض الذين ترجموا له من القدماء أشاروا إلى أنه خلف ديواناً شعرياً، يقول ابن النديم "... ديوان شعره قليل"^(٣)، كما كان له من المؤلفات ما ذكرها البغدادي في هدية العارفين يقول "... صنَّف ديوان رسائل وديوان شعر وكتاباً في أصول النحو وكتاباً في اللغة في مخارج الحروف"^(٤). وقد وردت إشارة في كتاب العمدة تشير إلى معرفة المُهَلَّبِيِّ بأصوات الحروف ففيه يروي بعض العلماء أن الإجازة بالراء وهو رأي الكوفيين أما عند البصريين فهو الإجازة بالزاي ثم يقول: " قال المُهَلَّبِيُّ: رأيتُه بخط الطوسي والسكري بالراء، وهو قول الكوفيين، فأما البصريون فيقولون: الإجازة بالزاي، حكى ذلك ابن دريد"^(٥)، ولم يوثق ابن رشيق القيرواني مصدر الكلام.

وقد رأيت أن أتبع آثار المهلب في كل ما وقع تحت يدي من كتب شراجم والأدب والتاريخ، غير أنني لم أعثر على هذه الآثار إلا على شعر قليل وبعض المقطوعات المستدركة عليه وبعض الأقوال النثرية والرسائل

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٥٨.

(٢) جابر الخاقاني، "شعر الوزير المُهَلَّبِيُّ"، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، ص ص ١٤٥-١٦٣.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٢١٧.

(٤) البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م، ج ١، ص ٢٧٠.

(٥) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، حققه وفصله وعلق عليه محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م، ج ١، ص ١٦٧.

الإخوانية التي وجدت منشورة بين ثنايا كتب الأدب والتراجم. أما باقي الكتب المشار إليها، فقد امتدت إليها يدُ البلى فأفنتها وطواها الزمان، فيما طوى من ذخائر ونفائس فضاعت معالمها، ولم يبق سوى الاسم والإشارة دون التعرف على مضمونها وطريقته وأسلوبه فيها.

صِلَاتُهُ بِأَدْبَاءِ عَصْرِهِ:

عاصر الوزير المُهَلَّبِيُّ في بيئته كثيراً من الشعراء والأدباء، وكان مجلسه غاصاً بأفاضل العلماء وكبار الأدباء، ومنهم من كان له معه صداقة حميمة وملازمة دائمة أو كان من مадحيه الذين كانوا يقصدونه لذلك وهم أكثر، ومنهم:

الوشاء (ت ٣٢٥هـ):

أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى، من "أهل الأدب حسن التصنيف، مليح التأليف"^(١) كان نحوياً معلماً لمكتب العامة^(٢) ويروى بعض أبيات المُهَلَّبِيِّ مشافهة في كتابه "الموشى".

القاضي التنوخي (ت ٣٤٢هـ)^(٣): هو علي بن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي "من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم"^(٤) قاضٍ عالم وأديب، كان حافظاً للشعر، ولد سنة ٢٧٨هـ في أنطاكية، وتوفي في البصرة سنة ٣٤٢هـ، تقلد قضاء كور الأهواز سنة ٣١٠هـ، ثم تقلد قضاء البصرة سنة ٣٢٤هـ، وفي ٣٢٤هـ كان رسول البريدي، وولد له ولد سنة ٣٢٧هـ، وهو المحسن بن علي التنوخي الذي سار على نهج والده، واستقر بالبصرة سنة ٣٣٢هـ، اتصل بالمُهَلَّبِيِّ وقامت بينهما صداقة حميمة. وكما عرفنا كان المُهَلَّبِيُّ جواداً كريماً شديد الميل لأصحابه، والتنوخي من الذين مال إليهم المُهَلَّبِيُّ الوزير وتعصب لهم وشملتهم عنايته، وكانت المحبة متبادلة لطيب عشرينه وكرم أخلاقه، حتى إن التنوخي كان من بين الذين يواظبون على

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٥، ص ٨٩.

(٢) الوشاء، الموشى، ص ٩.

(٣) نفوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ٢٤١.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٣٩٣.

حضور مجلسه الذي كان يجتمع فيه خاصّة المهلبي في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والمزاح وقد يخرجون فيه عن وقارهم وينغمسون في الشرب واللهو. وحفظ لنا الثعالبي وصفا لهذه المجالس كما ذكرنا سابقاً.

قال صاحب "نشوار المحاضرة" (ابن القاضي التنوخي المحسن بن علي): "وجدت في كتب أبي كتاباً من أبي محمد المهلبي إليه، قبل نقله الوزارة بسنين، أوله: كتابي أطال الله بقاء سيدنا القاضي، عن سلامة لا زالت له إلفاً، وعليه وقفاً:

وَحَمْدًا لِمَوْلَى اسْتَمَدَّ بِحَمْدِهِ لَهُ الرُّتْبَةُ الْعُلْيَاءُ وَالْعِزُّ دَائِمًا
وَأَنْ يَسْخَطَ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا وَيَرْضَى الْمُنَى حَتَّى يَرَيْنِيهِ سَالِمًا^(١)

وكان المهلبي يعدّ القاضي ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء^(٢)، وكتب أبياتاً من الشعر تصف كتاب القاضي له فيقول: "وصل كتابه، أدام الله عزّه، فقامت معظماً له وقعدت مشتملاً على السرور به:

بِصُخْطَتِهِ فَوَجَدْتُهُ لَيْلًا عَلَى صَفَحَاتِ نُورٍ
مِثْلَ السَّوَالِفِ وَالْخُدُودِ الْبَيْضِ زَيْنَتٌ بِالشُّعُورِ
بِإِسْلَامِ لَفْظٍ كَالْغُورِ أَوْ اللَّالِي فِي النَّحُورِ
أَنْزَلَتْهُ فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةً الْقُلُوبِ مِنَ الصَّدُورِ^(٣)

وبعد أن تطور حال المهلبي ظل محافظاً على صداقة القاضي التنوخي، بل تطورت هذه الصلة على مر السنين، لدرجة توافق الشخصيتين

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٢٠٣.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٣٣٥.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٢٠٣.

النفسي والخلقي، فقد ربطتهما صلة وثيقة وعلاقة حميمة ومودة يقول المَهْلَبِيّ للقاضي :

أنت رقعة القاضي الجليل فكشفتُ وساوس محزون الفؤاد ملهفٍ
فأهدت نظاماً من قريض كأنه نظام لآلٍ أو كوشي موقوفٍ
تكامل فيه الظرف والشكل مثلاً تكامل في مهديه كلّ النظرِفِ
حوى منتهى الحسنى بأول خاطر يكلفه في الشعر ترك التكلفِ^(١)
دامت هذه الصلة حتى بعد موت القاضي التتوخي، قضى المَهْلَبِيّ ما كان عليه من دين وهو خمسون ألف درهم^(٢).

أبو إسحاق الصابي إبراهيم بن هلال بن زهرون (ت ٣٨٤هـ)^(٣):

الكاتب والشاعر أوجد الدنيا في إنشاء الرسائل، وكان نديم المَهْلَبِيّ وقد اختاره لينوب عنه في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة وكانت له منزلة رفيعة عند الوزير المَهْلَبِيّ إذ كان المَهْلَبِيّ لا يرى الدنيا إلا به ويحن إلى براعته ويصطنع لنفسه، ويستدعيه في أوقات أنسه، وتوفي المَهْلَبِيّ وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة، وقد قال يمدحه:

وكم من يدٍ بيضاء حازت جمالها يدٌ لك لا تسودُ إلا من النّفس^(٤)
فكشفت بيض الصائف خائها تطرزُ بالظلماء أودية الشمس^(٥)

ويُذكر للصابي كتاب في (اختيار شعر المَهْلَبِيّ)^(٦)، ويشترك المَهْلَبِيّ الصّابي في أحزانه فيقول له معزياً بكلمات سنوردها لاحقاً في

(١) المَهْلَبِيّ، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٢) هلال ناجي، ديوان التتوخي الكبير، مجلة المورد، العدد ١، مج ١٣، ص ٣٤.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ١٣٠-١٥٨.

(٤) النّفس: الحبر، لسان العرب، مادة (نفس).

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ١٥١.

(٦) المرجع ذاته، ج ١، ص ١٥٨.

الحديث عن موضوعات أدبه، ولم يترك الصّابي كلماته التي أبهرته وأثرت فيه فهب في الحال ونظم أبياتاً في مدحه:

لو وثقنا بأن عمرك يمتد
دُ بأعمارنا قتلنا النفوساً^(١)

الخالديان ابنا هاشم الخالدي^(٢):

كانا شاعرين أدبيين من أهل البصرة، ومحمد الأخ الأكبر (ت ٣٨٠هـ) وأخوه الأصغر سعيد (ت ٣٧١هـ). لهما مؤلفات منها: حماسية الخالديين، واشتركا في نظم الشعر، وكان لهما صلات أدبية مع الوزير المُهَلَّبِيّ، وقد شكّا السري الرفاء سرقتهما لشعره كما ذكرنا سابقاً.

ويذكر الثعالبي أشعاراً اختلف في نسبتها بين المُهَلَّبِيّ وبين أبي بكر الخالدي الأخ الأكبر، ذُكرت في باب الأشعار المنسوبة لشاعرنا، ويمدح أبو بكر الخالدي المُهَلَّبِيّ بقوله:

ما صحَّ علمُ الكيمياء لغيركم ممن رأينا من جميع الناس
تُعْطِيهِمُ الأموالَ في يدٍ إذا حملوا إليك الشَّعرَ في قرطاس^(٣)
أبو ريش:

أحمد بن إبراهيم أبو ريش، من رواة الأدب^(٤)، وهو من الأدباء المدعويين على مائدة المُهَلَّبِيّ التي كان يختار لها الأفاضل من الأدباء، وكان المُهَلَّبِيّ يحتمل منه سوء أدبه على المائدة، وقلة نظافته لفرط علمه، حتى أن "دعاه المُهَلَّبِيّ يوماً إلى طعامه، فبينما هو يأكل، إذا امتخط في منديل الغمز^(٥)، وبصق فيه ثم أخذ زيتونه من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابته وجه الوزير"^(٦)، وهو من مادحي الوزير المُهَلَّبِيّ، ومما رواه ياقوت على لسان أبي ريش: "مدحت الوزير المُهَلَّبِيّ فتأخرت صلتته، فقلت:

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢١٤.

(٣) الثعالبي، من غاب عنه المطرب، تحقيق عبد المعين الملوحي، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م، ص ١٦٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٤٣.

(٥) منديل الغمز: منديل لمسح اليدين إذا غمزت بالطعام، لسان العرب، مادة (غمز).

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٤٥.

وَقَائِلَةٌ قَدْ مَدَحْتَ الْوَزِيرَ رَ وَهُوَ الْمُؤَمَّلُ وَالْمُسْتَمَاحُ^(١)
 فَمَاذَا أَفَادَكَ ذَاكَ الْمَمْدِيْ — حُ وَهَذَا الْغَدُو وَذَاكَ السَّرْوَاخُ؟
 فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ يَذْرِيْ أَمْرُوْ بَأَيِّ الْأُمُورِ يَكُونُ الصَّلَاحُ؟
 عَلَيَّ الثَّقَلْبُ وَالْإِضْطَرَا بُ جُهْدِيْ وَلَيْسَ عَلَيَّ النَّجَاحُ^(٢)

ابن سكرة الهاشمي:

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن سكرة الهاشمي من آل البيت، يتصل نسبه بعلي بن المهدي العباسي، وهو "شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع، فائق في قول الملح والظرف، جار في ميدان المجون والسخف"^(٣)، عاصر الوزير المهلبّي ووفد إليه راجياً عطاياه، وكان بالأهواز. عندما قصده وأنشده قصيدته:

قَفِي حَيْثُ انْتَهَيْتَ مِنَ الصَّدُودِ وَلَا تَسْتَعْمِدِي قَتْلَ الْعِمِيدِ^(٤)
 فَقَدْ وَهَوَاكَ وَهُوَ أَجَلُ حِلْقِي حَمَيْتِ نَظِيرَتَيْكَ مِنَ الْهَجُودِ
 هَجَرْتُ مُقِيمَةً وَظَعَنْتِ غَضَبِي فَحَرَبْتِ الْحَدِيدَ عَلَى الْحَدِيدِ^(٥)
 فِرَاقُ ظَعِينَةٍ وَفِرَاقُ رَأْيٍ يَكْرُهُمَا عَلَيَّ فِرَاقُ جُودِ
 ثَلَاثُ مَا اجْتَمَعَ عَلَى ابْنِ حُبٍّ صُدُودٌ فِي صُدُودٍ فِي صُدُودِ^(٦)

فأنس به الوزير المهلبّي ووثق صلته بل كان يطارحه الشعر ويقول ابن سكره فيما رواه ياقوت شرب وطرب معه، فلما كان في الغد استدعاه وقال اسمع وأنشده لنفسه (الوافر):

(١) المؤمل: الذي تعلق به الآمال. المستماح: الذي يُسأل عطاؤه، تقول استمحته: سألته العطاء. لسان العرب، مادة (منح).

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٤٧.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٤٠.

(٤) العميد: أي المعمود من الحب، والعميد منه: من هذه العشق، لسان العرب، مادة (عمد).

(٥) ظعنت: رحلت، لسان العرب، مادة (ظعن).

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٧٦.

عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ
يَلَا وَاشْ أَتَيْتُ وَلَا رَقِيبُ؟
رَقِيقَ الْجِسْمِ مِنْ شَفَقِ الْغُرُوبِ
قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبٍ^(١)

أَتَانِي فِي قَمِيصِ اللَّذِي يَمْشِي
فَقُلْتُ لَهُ فَذِي تَأَكِّ كَيْفَ هَذَا
فَقَالَ الشَّمْسُ أَهْدَتْ لِي قَمِيصاً
فَتُوبِي وَالْمُدَامُ وَلَوْ خَدِّي

ولابن سكرة علاقة حميمة بالوزير المهلبي، حتى ذكر أنه فقد الأيام السعيدة بوفاة الوزير، فشكا وتحسر على ماضيه، وذكر ما عاشه من نعيم في كنفه، قد ودعه برحيله فيقول متأسفاً على هذه الأيام مبيناً مكانته في قصيدة يظهر شكواه وتفجعه:

مَا قَدْ مَنَيْتُ بِهِ مِنَ التَّوْبِ
دَرَرِ السَّقَاةِ بِدَائِرِ النَّخْبِ
وَرَدِ الرَّبِيعِ بِعَصْفَرِ الْعَنْبِ
صَفَرَاءِ بَعْدَ الْمَزْجِ كَالذَّهَبِ
ثَغَرَ الْحَبَابِ كَثَغَرَ ذِي شَنْبِ^(٢)
رَبِيعِ أَغْنَى وَمَرْتَعِ خَصْبِ
لَا أَسْتَقِلُّ بِهِ مِنَ الْكَرْبِ
وَالنَّفْسُ تَطْلُبُ غَايَةَ الطَّلَبِ
بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِو مِنْ سَبَبِ
نَفْسِي بِهَا وَقَضَتْ مَدَى أَرْبَى
بَعْدَ الْوَزِيرِ سَلَامٍ مُحْتَسِبِ^(٣)

يَا صَاحِبِي قَفَا أَبْنُكَمَا
وَافِي الرَّبِيعِ وَقَدْ أَفْتِ بِهِ
فِي رَوْضَةِ صَبْغِ الرَّبِيعِ بِهَا
وَإِذَا الْغَلَامُ أَدَارَ فِي يَدِهِ
حَمِيرَاءَ يَضْحَكُ بَيْنَ مَفْرَقِهَا
أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ الْمَهَالِبِ فِي
فَمَنْ أَعُوذُ الْيَوْمَ مِنْ كَمَدِ
وَالسُّورْدُ قَدْ وَافَى بِنَضْرَتِهِ
ظَلَقْتُ لَذَاتِي الثَّلَاثَ فَمَا
فَإِذَا بَصُرْتُ بِوَرْدَةِ قَنْعَتِ
فَعَلَى السَّرُورِ وَكُلِّ فَائِدَةٍ

(١) باقرت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٧٦.

(٢) الشنب: غزوبة ورقة في الأسنان، لسان العرب، مادة (شنب).

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ص ٢٧-٢٨.

أبو الفرج الأصفهاني: (٣٥٦هـ):

"علي بن الحسين الأموي الأصفهاني الأصل، البغدادي المنشأ، كان من أعيان أدبائها وأفرد مصنفاتها، له شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان ظرفاء الشعراء"^(١)، وهو "كاتب وشاعر ومؤرخ"^(٢)، منقطع إلى الوزير المهلب كثير المدح، مختص به، ويذكر أبو الفرج في (مقاتل الطالبين) أنه عرف المهلب أبو الفرج وهو شاب، وكان المهلب يهيم بالمجد، ويبتغي إليه الوسيلة بالقوة في العلم والأدب، وقد ملئ طموحاً إلى المراتب العالية، وهام جداً بالعز الرفيع، وقدر له أن يعرف شيخاً من لدته، وكان بينهما التمازج النفسي، والالتقاء الكبير، فتوثقت بينهما صداقة عقلية ومؤاخاة روحية، وتظل قوية العرى. فيحتضن صديقه ويتسامر معه ويناديه ويؤاكله، ويصبر على مساوئ أبي الفرج، فقد كان قذر المطعم والمشرب والملبس وحب المهلب لعلمه هو الذي دفعة إلى هذا الصبر وتحمل ما يكرهه من أبي الفرج بل احتمل منه طول لسانه، وقد كان أبو الفرج جيد الشعر ولكنه أجود في الهجاء^(٣)، وكان هذا الجود يعرفه المهلب فكان يطلب هجاءه في بعض الأحيان بلسانه "قال أبو الفرج: سكر المهلب ليلة وأنا عنده، ولم يبق أحد من ندمائه غيري فقال: أما أعلم إنك تهجوني سراً، فاهجني الساعة ظاهراً فقلت: الله الله، أطال الله بقاء الوزير، إن كنت قد مللتني حتى أنقطع وإن كنت تؤثر قتلي فمتى شئت بالله سيف صبراً، فقال: دع هذا، ولا بد من أن تهجوني قال: وكنت سكران فقلت: ...هات مصرعاً آخر فقلت الطلاق لازم الأصفهاني إن زاد على هذا أو كان عنده زيادة"^(٤). ولم تذكر البيت لأنه فيه فحش واضح.

ورغم ذلك كان أثيراً عند المهلب وتجري الأيام بينهما على خير ما تجري، فقد كان المهلب يفيض بالكرم والإنعام عليه، ويتحين الفرص لذلك حتى أن أبا الفرج يقول في كتابه القيان: "أنفذ إلي الوزير المهلب أبو محمد ألف دينار وخمسة آلاف درهم صلة لا أعرف سببها. فلما حضرت مجلسه من

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٢٧.

(٢) باقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٩٤.

(٣) مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء، ص ٣٢٠.

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٥، ص ١٧١.

الغد - على العادة في المُنَادمة - قلت خفت أن يكون الرسول قد أخطأ
القصد فيما حمّله إليّ، وإن كانت لا تنكر خطرات الأمير فقال: أنى جلست
البارحة على الشرب، وخرجت إليّ "تجنّي" وفي يدها عودها وعليها قناع
أخضر، وفي عنقها مخانق البرم، فذكرت أبياتاً في قصيدة أنشدها معز
الدولة:

ثأوبٌ عيني طيفٌ لطارقةٍ طرقت في الظلم^(١)

فغنت فيها من "خفيف النقيّل المزموم" وتقدمت بإنفاذ الدراهم
إليك^(٢). لذلك كان أبو الفرج رأس مجلس المهلبيّ يصلّ ويحول في هذا
المجلس، يقص ويروي وينقد، وينشر أدبه، ويفيض من علمه. وكان مجلس
المهلبيّ من أسباب علو شأنه وشيوع ذكره. ولتقديره لأبي الفرج وعلاقته
القوية معه جعله من المقربين إليه. فأثار هذا الكرم أبا الفرج، فسخر أدبه
لخدمة المهلبيّ، وأهدى كتبه إلى صديقه المهلبيّ، ولحب الوزير بالأدب فقد
كان أبو الفرج الأصفهاني منقطعاً إلى الوزير المهلبيّ مختصاً به^(٣) فيرصد
مواقع هواه، فيؤلف له أيضاً "مناجيب الخصيان" وقد ألفه للوزير لأنه كان
يهيم بخصيين مغنيين كانا له^(٤). وألف أبو الفرج الأصفهاني له كتاب "الغلمان
والمغنيين"^(٥)، وكتاب "الإماء الشواعر" الذي كان من حصة أبي محمد^(٦) ويقدم
أبو الفرج في كتابه هذا فيقول: "كان الوزير أطال الله بقاءه ذاكرني منذ أيام،
أنا من قال الشعر من الإماء والمماليك، وأمرني أن أجمع له ما وقع إلي من
تجارهن في الدولتين الأموية والعباسية"^(٧)، ينظم أبو الفرج فيه الشعر كلما

(١) أبو الفرج الأصفهاني، القيان، تحقيق جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر،
لندن، ص ١٣١.

(٢) المرجع ذاته، الصفحة نفسها.

(٣) الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٧.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، القيان، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٥) المصدر ذاته، ص ٣٣.

(٦) المصدر ذاته، ص ٩.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، الإماء الشواعر، تحقيق جليل العطية، دار النضال، بيروت،

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٢٣.

دعت المناسبة: إذا شُفيَ من مرض أو ولدَ له ولد، ويمدحه في المواسم والأعياد، وفي أبياته التي نظمها في المهلبيّ مهنئاً بالعيد مادحاً له بأرق الكلمات وأعذب الصفات نجد إبداعه الملحوظ.

وفي ترجمة الأصفهاني في اليتيمة كثير من أبيات الشعر التي نظمها للوزير المهلبيّ في أي مناسبة مرت عليه.

ابن خلاد الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ):

الحسن بن عبد الرحمن، ممن كان له صلات أدبية مع الوزير المهلبيّ، فهو كما ينعتة ياقوت "حسن التأليف، مليح التصنيف"^(١)، وكان له منزلة عند المهلبيّ، وقد كان يعرف قدر المهلبيّ فيحافظ على مداومة الصلة به، فكان "بينه وبينه مكاتبات ومجاوبات"^(٢) وقد كتب له كتاب يهنئه بالعودة إلى الوزارة بعد أن تعرض لضرب بالمقارع، يورد في الكتاب أبياتاً جميلة في مدح الوزير^(٣).

القاضي ابن قريعة (ت ٣٦٧هـ):

من أهل الأدب والفضل والعلم، وكان حلو المداعبة وله نوالر منوثة^(٤). وكان من عجائب الدنيا في سرعة الجواب بعبارات مسجوعة، اتصل بالمهلبّي، ويذكر ابن حمدون سبب اتصاله بالوزير المهلبّي أن ابن قريعة كان قيماً له، فرفع إليه حساباً فيه درهمان ودانقاً وحبّتان، فدعاه وأنكر عليه الإغراق في الحساب، فقال أيها الوزير: صار لي طبعاً فلست أستطيع له دفعا، فقال: أنا أزيله عنك صفعاً، ثم استدناه بعد ذلك وقرّبه^(٥)، وقد أكرمه أيما إكرام، وسأذكر قصة هنا من القصص التي حدثت مع المهلبّي والقاضي تشير إلى كرم واسع "سأل الوزير ابن قريعة يوماً وقال: كنت وعدتك أن أغنيك، فهل استغنيت؟ فقال: أغناني جود الوزير وإنعامه، ورفع مجلسي

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٣.

(٢) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٣.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٤.

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٩، ص ٣٩٥.

(٥) المرجع ذاته، ج ٩، ص ٣٩٥.

بسطه وإكرامه، ولم يبقَ في قلبي حسرةٌ إلا ضيعةٌ تجاورني. فاشترى له هذه الضيعة، فبكى القاضي، فقال المُهَلَّبِيُّ: القاضي مثل الصبي إن مُنِعَ بكى، وإن أُعطي بكى، فقال القاضي: الذي أبكاني فرطُ السرور، فأني رأيتَ لنفسِي وللوزير ما كنتَ أسمعُه لغيري عن إكرام الزمان فأقدره كذباً مجموعاً وحديثاً مصنوعاً^(١).

السري الرفاء :

السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء، يقول النُّعَالِيُّ في يتيمة: " بلغني أنه أسلم صبيّاً من الرّفائين بالموصل، فكان يرفو ويطرز، إلى أن قضى باكورة الشباب، وتكسب بالشعر"^(٢)، وقد مدح المُهَلَّبِيُّ الوزير^(٣)، فارتفق له وارتزق معه، وحسنت حاله وسار شعره الأفاق، وكانت رفقة للمهلبى بعد أن سمع عن المُهَلَّبِيِّ وحبّه وكرمه لأهل الأدب، فطلب من أبي هلال أن يصله بالمُهَلَّبِيِّ، فتباطأ ولم يكن يصبر على هذا التباطؤ مما جعله يبادر بعتابه:

كم منطلق كسحيق المسك طاهرة لم يقض عند أبي إسحاق واجبة
كانت مدائحنا غراً مُحجَّلة تنثني عليه، فقد أضحت تعاتبة^(٤)

وفي ديوانه قصائد كثيرة في مدح المُهَلَّبِيِّ الوزير، غاية في الجمال والإبداع، نال بها الخير الوفير من المُهَلَّبِيِّ، حتى كان يتحين الفرص لمدح الوزير المُهَلَّبِيِّ، فما اجتمع في مجلسه إلا ونظم الشعر فيها، وهو يصف ليلة شرب، وما فيها من برك وفوارات، فلما أقبل الليل ركزت عليه رماح عليها الشمع فأضاء الموضع وحسن جداً:

أحوالُ مجديك في العلوّ سَواءُ يومٌ أغرٌ وشيمَة غرَاءُ
أصبحتَ أعلى الناس قِمّة سؤددٍ والناسُ بعدك كلُّهم أكفاءُ

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٢، ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) النُّعَالِيُّ، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ١٣٧.

(٣) ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح كرم البستاني مراجعة ناهد جعفر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٥.

(٤) محمد سلوم، الأدب في عصر العباسيين (من بداية القرن الرابع إلى نهايته)، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٢٠٩-٢١٠.

أموأجُهُ، أم صدرُكَ الدَّهْناءُ^(١)

أيمِيئُكَ البحرُ الخَضَمُ، إذا طَمِتْ

ويقول واصفا المَهْلِيَّ :

في صاحبٍ يَتَحَرَّى نُصْحَ من صَحِيّا

هل للوزير أدام الله دولَتَهُ

نَقَدَ الصَّيَّارِفَةَ الأوراقَ و الدَّهبا

وعارفٍ بفنون الشعر يَتَقَدُّها

فكَادَ يُضْرَمُ في أثوابه اللُّهبا

مُطَاوَفَ الذِّكَاءِ به يوماً يَكْلُفُهُ

يَقْلُ الجبال إذا ما عدَّهُ تعباً^(٢)

لو أن صاحِبَهُ يوماً يَكْلُفُهُ

حتى إن قصائده كانت مطمعا للشعراء دفعتهم لسرققتها وقد اشتكى

للمهلي في قصيدة سرقة الخالدين^(٣) لشعره ومدحاه به في ديوانه يقول:

فما على الدَّهر إن ولَّتْ نوائِبُهُ

لنا من الدَّهر خصمٌ لا تُغالِبُهُ

فكيف يَسْلُمُ منه من يحاربُهُ

يرتدُّ عنه جريحا من يُسَالِمُهُ

عليَّ هانَ الذي تجني عقاربُهُ^(٤)

ولو أمنتُ الذي تجني أراقِمُهُ

إذا تَيرَجَّ، أو صلَّ يواثِبُهُ^(٥)

تظلم الشعرُ من لينٍ يساورُهُ

ومن الذين كان له صلة بهم علي بن هارون بن يحيى بن أبي

منصور المنجم: كان راوية، شاعرا أديبا ظريفا متكلما حبرا^(٦)، له كتاب ابتداء

فيه بنسب أهله عمله للوزير المَهْلِيَّ ولم يتم^(٧).

وقد اتصل به كذلك الشعراء في ذلك الوقت، أمثال ابن نباتة

السعي: أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي الذي مدح المَهْلِيَّ،

وهو صبي^(٨)، ويقول في الوزير المَهْلِيَّ:

(١) ديوان السري الرفاء، ص ١٦. الدهناء: الفلاة لسان العرب، مادة (دهن).

(٢) ديوان السري الرفاء، ص ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) شاعران سبق التعريف بهما في ص ٦٨.

(٤) أمن: سلم من

(٥) ديوان السري الرفاء، ص ٩٠، ساوره: يواثبه، لسان العرب، مادة (سور). الصَّل: الحية التي تقتل إذا نهشت، لسان العرب، مادة (صلل)

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ٣٤٧.

(٧) المرجع ذاته، ج ٤، ص ٣٤٧.

أنا عبدٌ من لو قال للشمس اغربي
المستقل من الوزارة رتبة
غربت وقد طلعت على الأشهاد
إشراقها فوق الخلافة بادي^(٢)

وممن اتصل بالوزير: شداد بن إبراهيم بن حسن الملقب بالظاهر
الجزري (ت ٤٠١هـ)، أبو نجيب من شعراء آل البيت، كان رقيق الشعر،
لطيف الأسلوب،^(٣) مدح المهلب^(٤) وقد حدث أبو نجيب قال: كنت كثير
الملازمة للوزير أبي محمد المهلب، فاتفق أني غسلت ثيابي وأنفذ إلي
يدعوني، فاعتذرت بعذر فلم يقبله وألح في استدعائي، فكتبت إليه:

عَبْدُكَ تَحْتَ الْحَبْلِ عَرِيَانُ
كَأَنَّهُ لَا كَانَ شَيْطَانُ
يَغْسِلُ أَثَوَابًا كَأَنَّ الْبُلَى
فِيهَا خَلِيطٌ وَهِيَ أَوْطَانُ^(٥)
أَرَوْكَ مِنْ دِينِي إِنْ كَانَ لِي
دِينَ كَمَا لِلنَّاسِ أَدِيَانُ
كَأَنَّهَا حَالِي مِنْ قَبْلُ أَنْ
يَصْنُبِحَ عِنْدِي لَكَ إِحْسَانُ
هَذَا الَّذِي قَدْ تُسَجَّتْ فَوْقَهُ
عَنَاكَبُ الْحَيْطَانِ إِنْسَانُ؟^(٦)

فجاءت أبياته هذه تتضمن طلباً من الوزير بالكسوة لمعرفة هذا
الشاعر بحسن تقدير الوزير، فأرسل له الوزير كسوة ومالاً وقال له: قد
أنفذت لك ما تلبسه وتدفعه إلى الخياط، ليصلح لك الثياب على ما تريده. فكل
من كان حول الوزير كان يعرف كرمه وأن الطريق إليه الأدب.

أما صلاته غير الطيبة فكانت مع أبي حيان التوحيدي: علي بن
محمد بن العباس، فيلسوف متصوف معتزلي، صاحب ابن العميد والصاحب،
وروي به للوزير المهلب^(٧)، واتصل به في ظروف مجهولة^(٨)، " اتهم عنده

(١) ديوان ابن نباتة السعدي، ج ١، ص ٣٨.

(٢) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٣٢٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ٢٦١.

(٤) الحلي، فوات الوفيات، ج ٢، ص ٤٥.

(٥) خليط: شريك، لسان العرب، مادة (شرك).

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٧١.

(٧) الزركلي، الأعلام، ط ٨، ج ٤، ص ٣٢٦.

(٨) محمود الريدائي، التيارات والمذاهب الفنية في العصر العباسي نصوص من الأدب

العباسي، جامعة دمشق، ١٤٠١هـ-١٤٠٢هـ-١٩٨١م-١٩٨٢م، ص ٥٣٣.

بالزندقة، فطلبه لينتقم منه، فاستتر^(١)، فلم يلق أبو حيان التوحيدي صدراً رحباً منه نظراً لموقف التوحيدي من الشيعة والرافضة، وقد نفاه من بغداد لسوء عقيدته^(٢).

ولم تكن له مع المتنبّي علاقة طيبة، بل كان "المُهَلَّبِيّ من بين الذين أغاروا على المتنبّي"^(٣)، ويوضح شوقي ضيف سبب هذه العلاقة فيقول: "حاول الوزير المُهَلَّبِيّ أن يجذبه إليه، ولكن من كانوا حولهم من العلماء والأدباء تعرضوا له، فانقبض عنه، ولم يمدحه"^(٤)، فنقم الوزير لذلك منه، وحرّض عليه شعراء بغداد حتى نالوا منه وتباروا في هجائه^(٥).

هؤلاء هم من جملة الأدباء والعلماء الذين أثروا في المُهَلَّبِيّ الوزير، ولا بد من أن اختلاطه بهؤلاء كان له أثرٌ كبيرٌ في أدب المُهَلَّبِيّ.

وفاته:

اتفق معظم الذين تحدثوا عن وفاة الوزير المُهَلَّبِيّ من القدماء على أنها كانت سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة للهجرة^(٦)، لم يشذ عن هذا الاتفاق غير الصفدي الذي ينقل عن الذهبي، وقد بدا شاكاً في أن وفاته قد كانت في هذه السنة، فأورد هذا الزمن بأسلوب الاحتمال، ولم يقطع القول في ذلك

(١) حسبي شامي، أعلام الفكر العربي (أبو حيان التوحيدي قراءة في إمتاعه ومؤانسته)، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١١.

(٢) أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص ٢٠.

(٣) مصطفى هذارة، مشكلة السرقات في النقد العربي (دراسة تحليلية مقارنة)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٧٩.

(٤) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط ١٢، دار المعارف، ص ٣٠٨.

(٥) أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط ١٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٣٣٧.

(٦) ابن خلدون، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٧، ابن الدماطي، المستفاد من تاريخ بغداد، ص ٤٠٢، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٤٠٢، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢١٣، ابن خلدون، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٣، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢١٣، ابن خلدون، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٢٧٤، ابن خلدون، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٢٤، ابن خلدون، سير الأعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٩٧، الحصري، زهرة الآداب، ج ١، ص ١٨٣، ابن خلدون، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٩٧.

وهذا واضح من قوله: " .. توفي في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة أو في السنة التي قبلها ^(١) كما في العبر"، أما ابن الجوزي في المنتظم ومن نقل عنه فقد وضعه في وفيات سنة ثلاث مائة وواحدة وخمسين للهجرة.

إلا إننا عندما نعود إلى فترة توليه الوزارة -وكانت من جمادى الآخر سنة ٣٣٩هـ إلى سنة وفاته- مدة ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، فتكون وفاته بناءً على ذلك تكون سنة ٣٥٢هـ ويحدد مسكويه في كتابه "تجارب الأمم" وفاته تحديداً دقيقاً لمصاحبة المهلبي ونقله المباشر عنه يقول: "وأبو محمد رحمه الله خبرني بأكثر ما جرى في أيامه، وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة" ^(٢)، فيضعها من أحداث سنة ٣٥٢هـ فيقول مسكويه: " فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر مات رحمه الله بزأوطا" ^(٣) ويؤكد هذا التاريخ أكثر الذين ترجموا له.

أما الذين تحدثوا عن مكان وفاته، فقد اتفقوا على أنها كانت خارج بغداد و بطريق واسط في بلدة زأوطا ^(٤) تحديداً. عندما خرج لفتح عُمان بأمر من معز الدولة، وحمل إلى بغداد، ودفن في مقابر قریش في مقبرة النوبختية من الشيعة الإمامية، ولم يشذ عن ذلك إلا الذهبي الذي أشار إلى أن وفاته كانت ببغداد ^(٥)، ولعله أخذ بعين الاعتبار وقوعها في طريقه إلى بغداد.

أما سبب وفاته فقد قيل إنه توفي مسموماً بعد خروجه مكرهاً من بغداد لفتح عُمان بأمر من معز الدولة، ويثبت ذلك مسكويه فيقول: " كنتُ أسمع من طبيبه "قيروز" بأنه مسمومٌ لا محال، وكنت أسأله: عمن سمهُ فلا يصرح باسمه، حتى كان بعد ذلك بمدة، وانقضت تلك الأيام فذاكرته بذلك فقال: كان خرجَ معه (فرج الخادم) وكان أستاذ داره والمستولي على خاص

(١) كتابي: الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٧، الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٩٠.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٣٧.

(٣) المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٩٧.

(٤) زأوطا: وهي بلدة بين واسط وخوزستان والبصرة. ابن الدمياطي، المستفاد من تاريخ بغداد، ص ١٠٥.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٩٨.

أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه، وكان قد فارق نعمة ضخمة، وخرج من خيش وثلج وتنعم إلى حر شديد وشقاء كثير، وتوجه إلى عُمان فواطأ الخدم على سَمه وقتله، والراحة من ذلك السفر^(١)، "مسكويه نفسه يورد خبر وفاته وقد خرج لعمان والزمان صيف وهو مفرط السُمنة ومصاب بحصر البول، فاعتل ونقل إلى الأبله^(٢) زائل العقل مسبوتاً^(٣)"^(٤).

وبقي معلولاً لبعض الوقت حتى إنه قد "عُمِلت له آلة شبه المحقة^(٥) الكبيرة المملوءة بالفُرَش الوثيرة، يحمله أربعون رجلاً يتناوبون عليه وينام فيها"^(٦)، وهذه العلة جعلته يصارع المرض لعدة أيام، وكان أهله في بغداد ينتظرون خبره^(٧).

ويستشعر المهائبي نهايته مصوراً حاله وحال الشامتين به، وقد ثقل المرض عليه فيقول:

قَضَيْتُ نَحْبِي فَسُرَّ قَوْمٌ حُمَقِي لَهُم غَفْلَةٌ وَتَوَمُّ
كَأَنَّ يَوْمِي عَلَيَّ حَتَمٌ وَلَيْسَ لِلشَّامَتَيْنِ يَوْمٌ^(٨)

وعلى الرغم من سوء العلاقة التي وصلت بين المهاببي ومعز الدولة ومصادرة أمواله، فقد "وَجِدَ عليه معز الدولة وجداً شديداً، ولم يستوزر أحداً بعده"^(٩). إلا أن ظروف موته تفرض تخلي الجميع عنه إلا أن ابن الحجاج كتب قصيدة جميلة يرثيه بها:

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٩٧.

(٢) والأبله: بلد معروف قرب البصرة من جانبيها البحري، لسان العرب، مادة (أبل).

(٣) المسبوت: الميت المغشي عليه، وكذلك العليل إذا كان ملقى كالنائم يغمض عينيه، لسان العرب، مادة (سبت).

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٩٧.

(٥) المحقة: مركب للنساء ليس له قبة. مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٩٧.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٦.

(٧) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٧٥.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٧.

(٩) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٣٣٢.

لَا يُرْتَجَى فَرَحُ السُّلُوكِ لَدَيْهِ
تَبْكِي دَمًا بَعْدَ الدُّمُوعِ عَلَيْهِ
وَجَمِيلُ عَقْرِ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْهِ
كُنَّا نَفِرُّ مِنَ الزَّمَانِ إِلَيْهِ
وَأَنْبَتَ حَبْلُ الْمَجْدِ مِنْ طَرْفَيْهِ
مِثْلَ الْجَوَادِ يُقَادُ فِي شَطْنَيْهِ^(١)
فَجَعَتْ بِهِ أَيَّامُ آلِ بُؤَيْهِ^(٢)

يَا مَعْشَرَ الشُّعْرَاءِ دَعُوهُ مُوجِعَ
عَزُّوا الْقَوَافِي بِالْوَزِيرِ فَإِنَّهَا
مَاتَ الَّذِي أَمْسَى التَّنَاءُ وَرَاءَهُ
هَدَمَ الزَّمَانُ يَمَوِّتِهِ الْحِصْنَ الَّذِي
وَتَضَاعَلَتْ هِمَمُ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
عَمْرِي لئن قَادَتْهُ أَسْبَابُ الرَّدَى
فَلْيَعْلَمَنَّ بئُو بُؤَيْهِ إِنْ مَا

(١) شطْنِيهِ: مثني شطن: وهو الحبل مطلقاً، أو الحبل الطويل، لسان العرب، مادة (شطن).

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ص ٧٠-٧١.

الفصل الثاني

أولاً: موضوعات شعره

اتفق المؤرخون والأدباء الذين ترجموا للوزير المهلبي على أنه أديب ينظم الشعر ويكتب النثر، إذ يقول ابن النديم عنه إنه: "شاعرٌ بليغٌ بقية الزمان في وقته... ديوان شعره قليل، وله كتاب رسائل وتوقيعات"^(١)، وكان ديوانه مقطوعات قصاراً نظمها المهلبي في مختلف أغراض الشعر من غزل، وخمریات وفخر وهجاء، كما كانت له أشعار في الزهد، وخاض أيضاً غمار الحكمة.

كان أحد الشعراء السياسيين القلائل في عصر يزخر بعشرات من فحول الشعراء المحترفين، ودار شعره في موضوعات مختلفة فرضتها البيئة التي عاشها، جاء صورة لفكره ومראה لنفسه، تعكس ما يجيش في صدره وتُنطق بكل ما يحويه في فرحه وما يعانيه في ترحه، ومن الموضوعات التي نظم مقطوعاته الشعرية فيها:

الغزل:

من أقدم الفنون الشعرية وأكثرها شيوعاً، إذ لم يقتصر على أمة من الأمم أو شعب من الشعوب، فهو متصل بطبيعة الإنسان وبتجاربه الذاتية الخاصة، فالحب يحرك كل القلوب، والشعراء دون غيرهم يعبرون عن هذا الحب بعاطفة صادقة، فيتنفق على ألسنتهم أبياتاً تعبر عما يجيش في خواطرهم وعما يختلج في قلوبهم، فالغزل ينبع من النفس بعد أن ينفجر الحب في أعماقها.

وورد في العمدة أن الغزل هو "إلف النساء، والتخلق بما يوافقهن"^(٢). فهو فن من فنون الشعر الغنائي، احتل حيزاً كبيراً من الشعر في

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢١٧.

(٢) ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج ٢، ص ١١٧.

مختلف العصور، ونظم فيه أكثر الشعراء وتغنوا بالمرأة، ووصفوا عواطفهم وخفقات قلوبهم وعذاباتهم تجاهها بأروع اللوحات.

وسار الغزل العربي عبر تاريخ الشعر العربي " حاداً متدفقاً حتى ليخيل إلى الإنسان أنه لم يشدُّ شاعر بشعر إلا جرى الغزل على لسانه ولا يشذ عن ذلك سلطان ولا وزير ولا كاتب ولا قائد"^(١)، وظل الشعراء ينظمون فيه، وينطقون به، وصوروا ألواناً منه في أشعارهم وسنتحدث عن هذه الألوان لتحديد اللون الذي نظم فيه المَهْلَبِيّ أشعاره.

ومن الملاحظ أن الغزل العفيف في العصر البويهي لم يقتصر على طبقة من الشعراء دون أخرى، كما لم يختص فئة بالغزل الماجن، بل نجد هذه الأشعار ترد بصفة العفة والمجون على السنة العظماء قبل العامة^(٢). ولأن الأشعار الغزلية كانت من أكثر الأشعار التي نظم بها المَهْلَبِيّ فإننا نبدأ بها، وقد انقسم هذا الغزل عنده إلى:

الأول: الغزل العفيف

هو الغزل الذي "يبتعد أصحابه عن التعابير المكشوفة، والألفاظ الفاضحة والصراحة المخجلة، ليحلوا محلها حصيلة ما اعتور نفوسهم من حب صادق عفيف عاشوا له وقضى بعضهم دونه أو كاد"^(٣).

شاع هذا اللون من الغزل في العصر الأموي، بعد أن اجتاز مرحلة الجاهلية دون أن يخلو من بعض الإشارات العذرية المنبثة في شعر "عنتره" أو "الشنفرى" ولم يفرد للغزل باباً مستقلاً بل كان ضمن مطالع القصائد، أو في ثناياها، غزلاً مستمداً من البيئة المحيطة بهم.

ولا أحد ينكر أن الغزل الأموي العفيف كَوّن مدرسة كبيرة، انتسب إليها الكثيرون وتخرج فيها شعراء أعلام عبّروا عن مبادئ العشق العفيف القائم على وضوح العاطفة وصدقها، ممزوجة بالحرقة والألم والإخلاص،

(١) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران)، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٦٠٤.

(٢) فاطمة الموافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٣) يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٤٩.

وقد امتد أثر هذا الاتجاه إلى العصر العباسي، كما هو حال غيره من الاتجاهات "ويمكن القول إن الغزل العفيف شجرةً نبتت بذرتها في الجاهلية، ثم ترعرعت وازدهرت في العصر الأموي، واستمرت في العصر العباسي"^(١).

وضاق مجرى الغزل العفيف في العصر العباسي بالقياس إلى ما كان عليه في العصر الأموي وانحصر شعراء الغزل العفيف في خمسة شعراء وهم: العباس بن الأحنف "الذي قصر كل أشعاره على الغزل وحده إذ لم يهج ولم يمدح ولم يرث ولم يعتذر"^(٢)، وعكاشة القمي وعلي بن أديم، المؤمل بن جميل، وابن رهيمة"^(٣)، ولا شك في أن هذا النوع من الغزل "هو الثروة الشعرية التي خلفتها لنا النفوس المحبة التي تدرعت بالإيمان واحتمت بالعفة"^(٤).

والمُهَلَّبِيّ في غزله العفيف: كان الشعر يجري على لسانه، فيعبر عن عواطفه ومشاعره في أسمى معاني الحب وأجملها، فيصور ما يثير الحب في فؤاده من العواطف والمشاعر، فنرى أنه "تناول صفات الحسن التي وهبها الله للناس، فنسج مقطوعاته الشعرية المعبرة عن هذا الحسن، وتأثيره على نفوس الناس من سعادة فيقول واصفاً وجهاً جميلاً:

أراني الله وجهك كل يوم صابحاً للتيمن والسرور
وأمتع ناظري بصفحتيه لأقرا الحسن من تلك السطور^(٥)

يتمنى الشاعر أن يرى وجه المحبوب كل يوم، لأنه يتيمن برؤيته ويسر بمنظره، ويدعو الله أن يمتعته بمنظر خده الحسن، وهنا يتفاعل برؤية

(١) يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ص ٢٤٩.

(٢) عفيف نايف حاطوم، الغزل في العصر العباسي الأول، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٦-١٤١٦هـ، ص ٣٧.

(٣) يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ص ٢٥١.

(٤) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٨٦.

(٥) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، تخريج وحواشي محمد ألتونجي، دار النفائس، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص ١٤٥.

الوجه الجميل الذي يراه في الصباح، وقد عبر شاعرنا عن أحاسيسه التي تجتاح وجدانه، وقت رؤيته هذا الجمال، فالألفاظ سلسلة عذبة، فالصباح والتمين والسرور والحسن تعكس عفة نفس شاعرنا، ويؤكد هذه العفة في بيته الثاني الذي يبين فيه أن غرضه من إدامة النظر بهذا الجمال هو التمتع بمحاسنه فقط^(١).

وتعرض لنا هذه الأبيات الجوانب التي اعتمد عليها شاعرنا في إظهار المعنى إذ "قدم لنا هذا المعنى معتمداً على حاسة شعرية دفعته لمراعاة النظر بين (صفحتيه والسطور) مجرد ذكره لفظة الصحيفة، تبادر إلى ذهنه ضرورة وجود السطور التي سطرت عليها سمات الجمال هذه" ^(٢) ويقول أيضاً:

ولي حبيبٌ ألوذُ فيه بأو صافٍ وفحواه فوق ما أصفُ
كالبدر يعلو والشمس تُشرقُ والـ غزال يعطو^(٣) والغصن ينعطف^(٤)

ويتحدث هنا عن محبوبته التي هي ملاذ، وأوصافها تفوق ما يصفها، وصورَ جمال محبوبته بالبدر في العلو، والشمس في الإشراق الدائم، والغزال في رشاقتها وتطاول عنقه، والغصن في تمايله. هذه العفة في التشبيهات التي يستخدمها تظهر براءة حبه وعفته، رغم أنه لا يستطيع أن يتناسك أمام هذا الجمال إذ سرعان ما يترنح أمام حدثه، فيطير قلبه، ويذوب فيه كثنوبان الملح بالماء، فيقول :

تَنقُصَ الدَّائِي على النَّائِي
حتى إذا أبصرته ذبت في يديه ذوبَ الملح في الماء^(٥)

(١) محمد باقر الصافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، ص ١٨٧.

(٢) المرجع ذاته، ص ١٨٨.

(٣) يعطو: أي يتطاول بفيه إلى الشجر ليتناول منه، لسان العرب، مادة (عطا).

(٤) الشعالي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٥) الشعالي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٣، ديوان الشعر العربي، أختاره وقدم له علي أحمد سعيد (أدونيس)، الكتاب الثاني، ص ٣٤١.

ولا ينسى التحدث عن لوعة الحب وقسوة الصد واليأس، وكل هذه المعاني تعبر عن هذا النوع من الغزل العفيف يقول:

وقلب شديد لا يلين لخلّة
ولا يتلافاه الرقى والتلطف^(١)

ويشكو من هذا الحب الذي جعله يتخبط ومن صدّ محبوبه وهجرانه له، ولا يرى له عذراً لهذا الهجر، ثم من الخسارة أن تعدّ أيام الهجر من العمر، فيقول:

لگل مُحب سَكرَة من حبيبِه
ولي منك سُكرٌ لا يزال على سُكر
فديك عُذري في المحبة واضح
ومالك من هجر المحبين من عُذر
أحب سماع اللوم فيك لأنه
وعيشك لا يُسلى محبك بل يغري
سأنفق ريعان الشبيبة أنفاً
على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أن ليالياً
تمرّ بلا وصلٍ وتُحسب من عمري^(٢)

والمُهلبيّ لم يذكر اسم محبوبته التي ينظم فيها كل هذه الأشعار العفيفة، إذ يقول:

لقد واطبّت نفسي على الحب في الهوى
بإنسانة ترعى الهوى وتواظب
صفا لي منها العيش والشيب شامل
كما كان يصفو والشباب مصاحب^(٣)

لكن يبدو أن هذه الإنسانة التي رافقتَه هي زوجته "تجني" التي يظهر حبه لها في أشعاره ويذكر بأنها هي الحبيبة الرفيقة، يقول معترفاً باسمها:

(١) التّعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ٢٧٧، الخلّة: الصداقة، أو المرأة الخليفة، ، لسان العرب، مادة (خل).

(٢) محمد بن أيدمر، مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد،، صدره فؤاد سزكين، منشورات العلوم العربية والإسلامية، إستنبول، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج١، ورقة ٢٥٤، والبيتان الأخيران في ج٣، ورقة ٣٤٤.

(٣) التّعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ص ٢٨٠-٢٨١ .

لي صديق في ودّه لي صدوق وبرعي الحقوق مئّي حقيق
يا (نجّي) كتمت ثم بدا لي أنت ذاك الصديق لي والرفيق^(١)

ويعترف بأن حبه العفيف هذا لزوجته، ويظهر ذلك بتشبيه هذا
الحب بحب (قيس ولبنى) وقصة حبهما العذري الذي انتهى بالزواج معروفة
في الأدب، فيقول:

وَصِرْنَا فِي مَحَبَّتِنَا حَدِيثًا يَهْجُنُ شَرْحُهُ قَيْسًا وَلِبْنَى^(٢)

ويبدو في حبه متمكناً قوياً ولا يرضى بالفراق بل يصمم على
الرحيل إلى أي مكان ترحل إليه:

إِنْ كُنْتُ أَرْمَعُ الرَّحِيلَ لَ فَإِنَّ رَأْيِي فِي الرَّحِيلِ
أَوْ كُنْتُ قَاطِنَةً أَقْمُ — تَ وَلَوْ مُنَعْتُ لَذِيذُ سُوْلِي
كَالنَّجْمِ يَصْحَبُ فِي الْمَسِي — رَ وَلَا يَزُولُ لَدَى التُّزُولِ^(٣)

الثاني: الغزل الحسي

هو التغزل في النساء ووصفهن أو وصف مفاتهن وتشبيهها بأشياء
سلبية حسية^(٤)، لتعبر عن العشق بنوعيه الصريح الفاحش وغير الفاحش^(٥).

لقد اتسع الغزل الحسي بنوعيه الفاحش وغير الفاحش اتساعاً لا
حدود له، وذلك "للحرية المفرطة التي أشاعها بعض الحكام الذين كانوا
يتحكمون بالخلافة العباسية، فراحوا ينظمون الأشعار الخليعة ويذيعونها بين

(١) النسيب، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ٣، ص ٨٢.

(٣) الميكالي، المتنخل، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م،
ج ٢، ص ٧٧٨.

(٤) يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ص ٤٥.

(٥) المرجع ذاته، ص ١٠٥.

الناس حاضين إياهم على المجون وخلع العذار"^(١)، ولم تعد المرأة العربية الحرة موضوعاً لهذا الغزل إلا في القليل النادر، لكثرة الإماء والجواري والقيان وغزوهم المجتمع غزواً لم يشهد له المجتمع العربي مثيلاً"^(٢)، وكان هذا الغزل هو الغالب على الشعراء^(٣) في العصر العباسي الثاني، وكان هذا النوع من النساء هي "جارية" في القصور وعند الأغنياء الموسرين، و"ساقية" في الحانات والأديرة، و"قينه" عند النخاسين والمغنين"^(٤).

ولا نعدم في شعر المَهْلَبِيِّ هذا النوع من الغزل، وبخاصة إنه كان ممعناً في التمتع بمجالس اللهو، وكانت الجواري هنّ النساء اللواتي ذكرهن في شعره، لذا نرى في ثنايا شعره إشارة صريحة لمحاسن المرأة التي يمضي معها أوقات اللهو والعبث، أسوة بغيره من الشعراء في عصره، إذ اختلط الشعراء بالمرأة في هذا العصر، وقربهم منها، وجعلهم يظفرون بما شاءوا من وصف مادي مفصل لملامحها الجسدية^(٥). وكذا هو المَهْلَبِيُّ تطرق للأجزاء المادية، فيذكر الخدود ويتغنى بجمالها، يقول:

نَفْسِي فِدَاءٌ مَدْلَلٌ رَبَّعَ الرَّبِيعُ يِعَارِضِيهِ
أَسْكُرْتُهُ مِنْ خَمْرَةٍ وَسَكُرْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ^(٦)

وينتقل إلى صورة شائعة مألوفة، فيصور لنا دلاً محبوبته وشموخها وتمايلها وتثنيها ورونقها ويقول:

مَرَاتٍ فَلَمْ تَتْنِ طَرَفَهَا تِيهَا يَحْسُدُهَا الْغُصْنُ فِي تَتْنِيهَا^(٧)

ولم يقتصر غزله الحسي على ذلك، بل تعدى إلى وصف ليلة من ليالي الحب التي تقلب شخصيته رأساً على عقب، فما أن اقترب من نحر

(١) عفيف نايف حاطوم، الغزل في العصر العباسي الأول، ص ٥.

(٢) يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ص ١٠٥.

(٣) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ط ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م، ص ٤٤٣.

(٤) يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ص ١٠٦.

(٥) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص ٤٤٣.

(٦) السري الرفاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، تحقيق مصباح غلاونجي،

مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج ١، ص ٧٥.

(٧) تثنيها: دلالها وتمايلها، لسان العرب، مادة (تثى).

محبوبته حتى حدث تغير كبير، فملأت الدموع عينيه بعد أن كان مرهوب الجانب قبل ذلك، فيقول في ذلك:

إني ليعصمني هَوَاكَ عَنْ الهوى حتى كَانَ عَلَيَّ مِنْكَ رَقِيبَا
وأجول في غَمَرَاتِ حَبْكَ جَاهِدَا طَوْرًا فَيَحْسِبُنِي الْجَلِيسُ رَهِيْبَا
مَا إِن هَمَمْتُ بِشَمِ نَحْرِكَ سَاعَةً إِلَّا مَلَأْتُ مِنَ الدَّمُوعِ جَيُوبَا^(١)

وينحدر بعد شَمِ نحر محبوبته إلى وصف صريح حسي آخر، فيصف الجفون والثدي في قوله:

أَقَاتَلَتْنِي بَانِكْسَارُ الْجَفُونِ وَمُسْتَوْفِزَيْنِ عَلَى مَعْصَرِ^(٢)
كَحَقِيقِينَ مِنْ لَبِّ كَافُورَةٍ بِرَأْسَيْهِمَا نَقْطَتَا عَنَبِرِ^(٣)

فيصور حركة جفونها التي تقتله وجداً وحباً، والثدي الذي لا يطمئن لترجرجه على جسد امرأة في عصر شبابها، فوصفه جسد المرأة هذا الوصف في طياته حسّ وشهوة لجمال المرأة الجسدي.

وثمة مظهر يلزم غزله الحسي، وهو أن غزله مليء بمشاهد الأحاسيس التي تستقر في نفس المحب، فيخرجها لتعبر عنها مع أنفاسه بكل

شهو.

(١) جابر الخاقاني، "شعر الوزير المهلي"، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، ص ١٥٠.

١٥١.

(٢) الفرزق: الثدي، عن كراع وقال الجوهري قعد مستوفزاً: غير مطمئن، لسان العرب، مادة (فرزق). والمعصر: التي بلغت عصر شبابها وأدركت، وقيل أول ما أدركت وحاضت، لسان العرب، مادة (عصر).

(٣) النعالبي، أحسن ما سمعت (الآلي والدر)، شرحه وضبطه عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٠٣. حقيق: مثني حقن وهو اللبن الذي قد حَقَنَ في السقاء، لسان العرب، مادة (حقن). والعنبر: من الطيب، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٢، فصل العين، باب الرءاء.

الثالث: الغزل بالغلّمان :

لعل أبرز الظواهر التي كان للعصر اليد الطولى في شيوعها وذيوعها بين الشعراء وتعدد ألوانها وصورها، هي ظاهرة حب الغلمان والميل إليهم، وهي ظاهرة سائدة عند قوم (لوط) الذين كانوا يأتون الذكور شهرة من دون النساء. وقد تولى القرآن الكريم الإشارة إلى هذه الفاحشة . قال تعالى: (وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي لَأَتَاؤُنَّ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ لَهُ الْمُنْكَرَ فَأْتُوا بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (٢٨) . وتسربت إلى المجتمع الإسلامي عن طريق الفرس بصورة تدريجية^(٢) . وأصبحت عادة اللواط في طائفة من المجتمع^(٣) . وأننا لا نستطيع إنكار ما نسمعه عن القرن الرابع الهجري، وما نقرؤه في الكتب الأدبية والتاريخية والفلسفية من أن هذا القرن يمثل بلا مبالغة أزهى عصور الإسلام القديمة حضارياً ورقياً وترفاً، كما يعد في المقابل من أكثرها انحطاطاً اجتماعياً وتدهوراً خلقياً^(٤) . وطبيعي أن يكون ظهورها على مسرح الحياة العربية فجأة دون مقدمات، وإنما مهد لها عوامل كثيرة منها الفساد الخلقي الذي أشاعه القيان والجواري في هذا العصر^(٥) ، واحتفاء المجتمع بالغلّمان الذين عجت بهم البيوت، وهؤلاء يحملون الصفات الأنثوية ما يجعلهم يفتنونهم يفتنون إليهم الفتاة خاصة^(٦) والتغزل فيهم تغزلاً شديداً وسيطرتها على شعر الغزل في هذا القرن^(٧) .

(١) سورة العنكبوت، آية ٢٨ و ٢٩ .

(٢) نبيل أبو حاتم، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ٢٦٧ .

(٣) محمود غناوي، الأدب في ظل بني بويه، ص ٢٦٦ .

(٤) نبيل أبو حاتم، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٦٠ .

(٥) مهدي محمد جميل خصالونه، الغزل بالسود في العصر العباسي، رسالة ماجستير، أداب، جامعة اليرموك، ١٩٨٠م، ص ٥٧ .

(٦) اعتدال أبو درويش، صورة المرأة في شعر البلاط البويهي، رسالة ماجستير، أداب، جامعة اليرموك، ١٩٨٨م، ص ٢٦ .

(٧) نبيل أبو حاتم، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري (من خلال يتيمة الدهر)، ص ١٥٧-١٥٨ .

والمُهَلَّبِيَّ كان من هؤلاء الشعراء الذين ظهرَ لديهم غزل الغلمان أمثال ابن سكرة الهاشمي، والصنوبري^(١)، فسار على نهج سابقه خاصة أنه كان شاعراً مشهوراً بمجالس اللهو، والذين يديرون الشراب في هذه المجالس هم غلمان.

وينظم المُهَلَّبِيَّ فيهم أشعاراً كثيرةً. وهو معترف بحبه لغلمانه، ولا يتحرج من هذا الأمر الذي لم تعتد النفس العربية على محبته وألفته في مجال الحب، إلا إن حبه هذا مبرر عنده بسبب درجة الشبه الكبير بين غلمانه الذين يتغزل بهم وبين المرأة، ولا يمكن أن يفرق بينهما في الصفات الجمالية بل تعدى إلى درجة التشابه الجسدي، فيقول في غلام تركي لمعز الدولة أرسله للحرب:

طفلاً يرقُ الماءُ في	وجناته ويَـرقُ عودُه ^(٢)
ويكادُ من شبه العَـدا	ري فيه أن تبدو تُـودُه
نَاطوا بمَعْقِدِ خصره	سيفاً ومَـنطقة تـودُه
جعلوه قائدَ عسكر	ضاع الرعيلُ ومن يقودُه ^(٣)

لذا عطف على تشبيهه بالعداري، وقد "كان المُهَلَّبِيَّ يستحسنه يسرى أنه من أهل الهوى لا مدد الوغى"^(٤)، فهو لا يصلح أن يكون إلا للغزل، مهما حصل لهذا الغلام من تغيرات لإثبات رجولته بتسليمه السيف وإلباسه المنطقة وهما عنوان الرجولة والخشونة والقوة، فيطلق توقعه بأن الجيش الذي هذا قائده لا أمل له بالنجاح، والخسارة هي النتيجة المؤكدة، "وكذا كان، فإنه ما أنجح في تلك الحركة، وكانت الكرة عليهم"^(٥).

(١) سهيل خصاونه، الغزل بالسود في العصر العباسي، ص ٥٦.

(٢) النُّعَلِي، بتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٢٦.

(٥) المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٢٦.

وتتوسع دائرة الحب والهيام عند المُهْلَبِيّ إلى درجة العبودية وذلك في قوله بغلام مطرب:

يا هلالا يَبْدو لتهتاج نفسي وهزاراً يشدو فَيزداد شوقي^(١)
زعم الناس أنْ رَقَكَ ملكي كذب الناس أنتَ مالك رقي^(٢)

فالغلام في جماله هلالٌ، ما أن يظهر حتى تثور نفسه، وهو بلبل جميل الصوت إذا ما غنى زاد الشوق التعلق فيه، ويصل إلى قمة الإثارة، عندما يخاطبه بسيده، فالناس يظنون أنه عبداً أو هكذا تقول التقاليد طالما أنه اشتراه بماله، فيقول: كذب الناس بل أنت سيدي وتحكم في أمري. والمُهْلَبِيّ في غزله هذا عبداً لهذا الغلام الذي ملك عليه نفسه، ويشكو في أبيات أخرى ويتوجع مما يلقاه من هوى غلمانه، فيقول في غلام فيه جرب:

يا صُروفَ الدهر حسبي أي ذنوبٍ كانَ ذنبي
علّة عمتٍ وخصت ففي حبيبٍ ومحبيب
دبّ في كفيك يا مَنْ حُبّه ربّ يسي بقلبي
فهو يشكو حرّ حبٍ واشتگائي حرّ حُبٍ^(٣)

ويتوجه للدهر فيشكو له ما أصابه من علل انتشرت بالحبيب المحبب، فيقول أنت تشكو من حرارة الجرب وأنا أشتكى حرارة الهوى في نفسي. فيظهر في غزله بغلمانه درجة الهيام والتعلق الشديدين اللذين وصلتا به حد التبريح، وقد عرف الناس عنه هذا، رغم أنه الوزير في ذلك العصر ومن سادة الدولة ويمثل الوجه الحقيقي والرسمي لدولته، إلا أن تيار اللهو بالغلمان جرفته في متاهاته، ويعد نبيل أبو حليم هذا من الدوافع التي ساعدت

(١) الثعالبي، خاص الخاص، مصدر سابق، ص ١٥٧. الهزاز: طائر صغير الحجم حسن الصوت يشبه العنديل.

(٢) المصدر ذاته، ص ١٥٧.

(٣) الجرجاني، أبو العباس الجرجاني الثقفي، المنتخب من كُنَايَاتِ الْأَدْبَاءِ وإشارات البلاغاء، مكتبة دار البيان، بغداد، دار مصعب، بيروت، ص ١٢٣.

وطورت هذه الظاهرة وشاركت في تنشيطها^(١)، وعلى الرغم من هذا الغزل الشاذ، فإننا نرى أقصى ما ذهب إليه هو الوصف .

الغزل بالجواري:

والمُهَّابِيّ كغيره من شعراء عصره الذين تغزلوا بالجواري "اللواتي خَبَلْنَ العقول واختَلَسْنَ القلوب بجمالهن وسحرهن حيناً وغنائهن ومهارتهن في الغناء حيناً آخر"^(٢)، ومن أحسن ما قال في وصف القيان والجواري وغنائهن قوله في وصف مغنية:

ذات غِنَى في الغِناء من نَعَم تُنْفِقُ في الصَّوتِ منه إسرافاً

كانها فارسٌ على فرس ينظرُ في الجري منه أعطافاً^(٣)

فهو يصور في مقطوعته هذه مذهبها في حب الجواري، فيصف صوتها العذب الذي هو عنده أهم شيء في الجارية التي يتغزل بها، ويقف عند براعتها في الغناء، فيصور لنا كيف تمد صوتها مداً طويلاً كالفرس على فرسه، يرتفع حيناً وينخفض حيناً آخر أثناء جريه.

ويصور في مقطوعة شعريّة أخرى الجانب اللاهني المترف من حياته، فيُظهر صورة المغنية وتأثيرها على النفس، تطوي بغنائها الهموم ثم يكمل صورتها بالرسم بالنور، كالمصاييح تزين ظلمة الليل. هذا كله فقط بصريها على الأوتار ومعرفتها بالأصوات الغنائية المشهورة في عالم الغناء، فبدأت جلستها باختيارها الوتر المناسب الذي له تأثير على الهموم، فأحسنت الاختيار، أما إذا غنت بصوتها الحسن فإنها تحقق عنده المزيد من الصبابة والنشوة والطرب والروح الغنائية التي ينتقل إليه من روحها كمغنية، فيقول:

تُطوي بأوتارها الهمومَ كما يُطوي دُجى الليل بالمصاييح

(١) نبيل أبو حاتم، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٦١.

(٢) محمود غناوي، الأدب في ظل بني بويه، ص ٢٧٢.

(٣) علي بن ظافر الأزدي، بدائع البدائع، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص ٣٤٨.

ثُمَّ تَغَنَّتْ فَخَلَّتْهَا سَمَحَتْ بِرُوحِهَا خَلْعَةً عَلَى رُوحِي^(١)

وهام المَهْلَبِيَّ حَباً بِجَارِيَتِهِ (تَجْنِي) وَاتَّخَذَهَا مَعْشُوقَتَهُ وَزَوْجَتَهُ،
فَيَقُولُ وَاصْفاً مَا أَحْدَثَتْهُ فِي حَيَاتِهِ :

رُبَّ لَيْلٍ لَبَسْتُ فِيهِ التَّصَابِي وَخَلَعْتُ الْعِذَارَ وَالْعِذْلَ عَنِّي

فِي مَحَلٍّ يَحِلُّهُ لَذَّةُ الْعَيْشِ وَيَجْنِي سُرُورَهُ مِنْ تَجْنِي^(٢)

وَيَصِفُ سَيِّطَرَتَهَا عَلَيْهِ وَتَمَكُّنَهَا مِنْهُ شَأْنُهَا شَأْنَ الْجَوَارِي اللَّوَاتِي
"كَثِيراً مَا كُنَ يَسِيطِرُنَ عَلَى أَسْيَادِهِنَّ وَيَمْتَلِكُنَ قُلُوبَهُنَّ"^(٣) وَيَعِدُّهَا بِالْوَفَاءِ :

مَنْيَّةً سَابَقَتْ وَرُودَ الْبُشَيْرِ وَمُوافٍ أَوْفَى عَلَى التَّقْدِيرِ

يَا عَرُوساً زَقَّتْ إِلَيَّ فَأَهْدِيْتُ إِلَيْهَا رَقِي مَكَانَ الْمَهْوَرِ

بِالْتَّمَلِّي وَبِالْجَرَا وَالسَّرُورِ يَا حَيَاتِي وَالْمَنْزِلَ الْمَعْمُورِ

قَدْ لَعَمْرِي وَفِيَتْ لِي وَسَاجِزِيكَ وَفَاءً بِالْشَّرْطِ بَعْدَ النَّذُورِ^(٤)

وَبَعْدَ هَذَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ غَزَلَ الْمَهْلَبِيِّ يَعْبُرُ بِهِ عَنْ مَشَاعِرِهِ
وَحَفَقَاتِ قَلْبِهِ، وَيَصْدُرُ عَنْ نَفْسِيَّةٍ حَسَّاسَةٍ رَقِيقَةٍ فِيهَا مِنَ الْإِسْتَهْتَارِ
وَالْإِسْتَخْفَافِ مِمَّا جَعَلَهُ يُوَافِقُ " الْمِيلَ الْعَامَ إِلَى الْمَتَعِ وَاللذاتِ الَّتِي سَيَّطَرَتْ
عَلَى النُّفُوسِ فِي هَذِهِ الْحَقْبَةِ مِنْ تَارِيخِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ زَمَنِ بَنِي بُوَيْهِ"^(٥).

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَلْحِظَ مِنْ خِلَالِ مَقْطُوعَاتِهِ الْغَزَلِيَّةِ، أَنَّ الْمَهْلَبِيَّ قَدْ
طَرَّقَ أَنْوَاعَ الْغَزْلِ الْمَعْرُوفَةِ فِي عَصْرِهِ، فَتَحَدَّثُ عَنْ مُحَاسِنِ الْمَرْأَةِ الْجَسَدِيَّةِ
وَعَنْ مَشَاعِرِ الْوَجْدِ وَالشُّوقِ وَالْهَيَامِ نَحْوَهَا، وَشَكَاهُ مِنَ الصَّدِّ وَالْهَجْرِ. وَصُورَ
حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ بَعْدَ هَذَا الصَّدِّ وَالْهَجْرِ، إِلَّا أَنَّ غَزْلَهُ هَذَا لَا يَعْبُرُ عَنْ تَجَرُّبَةٍ

(١) الخبِّي، فَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ، ج ١، ص ٣٥٦، دِيْوَانُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، أَخْتَارَهُ وَقَدَّمَ لَهُ عَلِيُّ أَحْمَدُ سَعِيدٌ (أَدُونِيس)،
الْكِتَابُ الثَّانِي، ص ٣٤١.

(٢) النَّعْلَبِيُّ، يَتِيمَةُ الدَّهْرِ، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٣) مُحَمَّدٌ غَنَاوِي، الْأَدَبُ فِي ظِلِّ بَنِي بُوَيْهِ، ص ٢٧٢.

(٤) النَّعْلَبِيُّ، يَتِيمَةُ الدَّهْرِ، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٥) مُحَمَّدٌ غَنَاوِي، الْأَدَبُ فِي ظِلِّ بَنِي بُوَيْهِ، ص ٢٥٣.

حقيقية عاشها المهابي، فغزله كان منصبا على الجواري وخاصة جاريته (تجني)، والغلمان الذين هم بين يديه ومتى طلبهم وجدهم. ولم يخرج في غزله عن نهج القدماء، وعكس فيه حياة الترف واللهو التي كان يعيشها. وحتى غزله بالذكر لم يختلف اختلافاً كبيراً عن الغزل بالمؤنث من تصوير الأوصاف الجسدية والتغني بمفاتنهم، وتعلقه بهم، والشكوى من الصدّ والهجران.

الوصف:

من الفنون الشعرية التقليدية، " لكنه ظهر في هذا العصر بمظاهره المستحدثة وألوانه المبتكرة وأشكاله المبتدعة التي جاء بها شعراء هذا القرن، وقد غدا فناً شعرياً جديداً"^(١) له منافذ كثيرة في ذلك العصر، وأن الحضارة العباسية حضارة زخرف وترصيع،^(٢) فانقاد الشعراء إلى هذه الحضارة وانصرفوا إلى القصور واللباس وكل مظاهر الحضارة فأخذوا بتلك الزخرفات والترصيعات.

فزخرف الشعراء أساليبهم وزرکشوا تشكيلاتهم الجديدة، ورسوماتهم الجميلة المبتكرة وألوانهم الوصفية وأشكالهم التي استحدثوها، لكن هذه الزخرفة لم تقف حجر عثرة أمام أوصاف القدماء ومعانيهم البدوية التي وجدت من بعض شعراء هذا القرن كل حرص وشغف^(٣).

ألم العباسيون بالطبيعة الجميلة التي عاشوا فيها ينعمون بالزهر والنور، وينظرون إلى السماء وأفلاكها، والأنهار والبرك والقصور المشيدة، والسفن ومرافق العيش الجديد، فكانت حياة ناعمة مترفة لكثير من طبقات الأمة، وذهب الشعراء مذاهب بعيدة في وصف هذا الكون الجديد، واستطاع بعضهم أن يخلق بجناحيه في أفاق حديثة، وقعدت ببعضهم أجنحة الشعر عن

(١) نبيل أبو حاتم، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢) أنيسيا الحاوي، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٣٩.

(٣) نبيل أبو حاتم، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٠٩.

التحليق، فلبث يردد صور القدماء والفاظهم^(١)، وحلقوا في الوصف فأتوا بالعجب العجائب، وأدخلوا عناصر جديدة مستمدة من البيئة المتحضرة التي يعيشون فيها فدخل الورد والزهور والرياحين في أوصافهم، وقد أجاد المهلبي في الوصف. فبرع في وصف السماء والشمس والأرض، وخرج إلى الطبيعة وسجل بدائع خلق الله من رياض وزهور بساتين، فألقى إلينا لمحات سريعة عما يحيط به، ويظهر هذا في افتراش الأرض عنده بالوشاح المزركش المطرز، يقول:

يَوْمٌ كَانَ سَمَاءُهُ شِبْهُ الْحِصَانِ الْأَبْرَشِ^(٢)
وَكَانَ زَهْرَةُ أَرْضِهِ فُرْشَتُ يَاحْسَنَ مَقْرَشِ
وَالشَّمْسُ تَظْهَرُ مَرَّةً وَتَغِيْبُ كَالْمَسْتَوْحِشِ
فَسَمَاؤُهُ دُكْنُ الْخَزُوزِ وَأَرْضُهُ خُضْرُ الْوَشِيِّ^(٣)

فيصور يوماً: السماء فيه منقطة بالغيوم مثل الحصان المنقط ثم يرى الأرض المزهرة كأنها فرشت بالوشاح المزركش المطرز ويلتفت إلى الشمس فيراها تظهر ثم تختفي كالمستوحش الخائف من أمر ما، ويعقد تصوير آخر فالسما كالحريير الأسود والأرض خضراء كالوشي.

ثم يعطي المهلبي صورة أخرى للشمس في وضوح النهار قابضة لطيف قطع السحاب، وقد انزوت واختفت خلفه، كأننا في ليل منير بنور القمر الخافت، فيقول في ذلك:

وَالشَّمْسُ حَيْرَى خَلْفَ غَيْمٍ عَارِضٍ فَكَأَنَّا فِي ضَوْءِ لَيْلٍ مُقْمَرٍ^(٤)

(١) لجنة أدباء الأقطار العربية، الوصف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٦٧.

(٢) الحصان الأبرش: على جلده نقط بيض أو سود تخالف لون جلده، فهو منقط، لسان العرب، مادة (برش).

(٣) علي بن ظافر الأزدي، غرائب التشبيهات على عجائب التنبيهات، تحقيق محمد زغول سلام، ومصطفى الصاوي، دار المعارف، مصر، ١٩٧١، ص ٥١. الخزوز، جمع خرز وهو قماش معروف الحرير، لسان العرب، مادة (خزز).

(٤) القسفي، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، طبعة جديدة ومصححة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٢٥٨.

ويصف الشمس عند شروقها لا حاجب لها، كأنها وعاء صهر الذهب وقد
احمرَّ من شدة الحرارة يملأه الذهب المصهور، يقول:

الشمسُ من مشرقها قد بدتْ مشرقة ليس لها حاجبُ
كأنَّها بوثقة أحميتْ يَجولُ فيها ذهبٌ ذائبٌ^(١)

وزاد المُهلَّبِيّ في إسهابه بوصف الشمس، فوصفها في كل أوقاتها
وصورها، فيراها طالعة مشرقة ترسل أشعتها، مانعة إدامة النظر إليها، يذكر
لونها الأحمر والأصفر، أي أنها مائلة في تلونها بين اللونين وقت المغيب،
وكانها عروس تلونت بألوان الزينة، يقول:

أما ترى الشمس وهي طالعة تمنعُ منا إدامة النظر
حمرّاء صقراء في تلونها كأنها تشتكي من السهر
مثل عروس غداة ليلتها تمسكُ مرآتها من القمر^(٢)

لما وصف النجوم، فقد لاحظ الشعراء القدماء مجرات السماء
وذكر أكبيها ونجومها، ورسموا لها صوراً كثيرة في أشعارهم،^(٣) فحلّقوا بها،
ورسموا لها صوراً فيها إبداع ودقة، وشعراء العصر العباسي كذلك استمدوا
معظم صورهم في تشبيه النجوم والكواكب وغيرهما من بيئتهم وواقعهم
للمتلبي^(٤)، فنظروا إلى النجوم والأفلاك وألوانها وأشكالها المتباينة،
ونراعت لهم كأنها أزهار ورياض، وكذلك نهج المُهلَّبِيّ في وصفه للنجوم
كأنها دنائير نُثرت على بساط أرض ملونة، ويذكر الثريا وهي مجموعة من

(١) أبو نؤاس، معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر،
مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٢) الصفدي، الغيث المسجم، ص ٢٥٨.

(٣) رشدي علي حسن، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، مؤسسة الرسالة،
بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨، ص ١٣٠.

(٤) المرجع ذاته، ص ١٣١.

كواكب من عنق الثور،^(١) وقد رآها المهّليّ وكأنّها أزهار نرجس انتثرت على الأرض، فيصور ذلك في أبياته قائلاً:

شَرَبْنَا غَبُوقاً وَالتُّجُومَ كَأَنَّهَا نَثَارَ دَنَانِيرٍ عَلَى أَرْضِ سِنْدَسٍ^(٢)
كَأَنَّ الثُّرَيَّا بَيْنَهَا حِينَ أَعْرَضْتُ يَوَاقِيَتِ تَاجٍ أَوْ تَحِيَّةَ نَرْجَسٍ^(٣)

ويقف عند الأزهار، لا يمر بها مروراً عابراً لأنه يراها ويتأثر بجمالها، ويفرد مقطوعات لوصفها، فيشبه النرجس، وقد حركته الريح كأنها أقداح ياقوت في أنامل اللؤلؤ، يقول فيه:

كَأَنَّمَا النَّرْجَسُ فِي رَوْضِهِ إِذَا أَثْنَةُ الرِّيحِ مِنْ قُرْبٍ
أَقْدَاحُ يَاقُوتٍ تَعَاظِيْنَهَا أَنَامِلٌ مِنْ لَوْلُؤٍ رَطَبٍ^(٤)

ويرسم صور أخرى للبنفسج، ويعتبره بشارة خير، ويصورها كأنها أوائل النار في أطراف الكبريت، أو كخد فتاة شابة تضر فيه حمرة من التقريص بالأصابع مداعبة ومغازلة لها، فيقول فيه:

بِنَفْسِجٍ بِذِكِي الْمَسْكِ مَخْصُوصُ مَا فِي زَمَانِكَ إِذْ وَافَاهُ تَغْيِصُ
كَأَنَّمَا شُعْلُ الْكَبْرِيتِ مَنْظَرَةٌ أَوْ خُدُّ أَغِيدٍ بِالتَّجْمِيشِ مَقْرُوصُ^(٥)

وهو عندما يصف الورد، يلتفت إلى الألوان ليلقيها على الصورة فيصور أبيضه وأحمره كأنه ياقوت ودرّ، فيقول فيه :

(١) رشدي علي حسن، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، ص ١٣٣.

(٢) ين منظور صاحب لسان العرب، نثار الأزهار في الليل والنهار، دار مكتبة الحيلة، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ١٤١، الغبوق: الشرب بالعشى، شرب آخر النهار مقابل الصبوح، مادة (غبق).

(٣) المرجع ذاته، ص ١١٢.

(٤) المثنى الإريلي، بهاء الدين، التذكرة الفخرية، ص ٢٧٤.

(٥) السري الرفاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج ٣، ص ٨٧.

قَرَّاحٌ وَرَدَ مَوْنَقُ نَبْئِهِ بِالْحُسْنِ وَالبَهْجَةِ مَنَعُوتُ
مُبَيِّضُهُ فِيهِ وَمُحْمَرُهُ كَأَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ^(١)

ومن صورهِ أيضاً عندما يصور الليل راكب فرساً منهزماً من
الصباح الذي يركض في طلبه، يقول:
كأَئِذَا اللَّيْلُ رَاكِبٌ فَرَساً مُنْهَزِماً وَالصَّبَّاحُ فِي طَلَبِهِ^(٢)

فهو في وصفه يكون قريباً من واقعه، فنرى البيئة التي تحيط به،
ويعرض لنا الحياة المترفة وما فيها من ورود وأزهار ورياض، ويلقي علينا
بذلك من طبيعة بغداد التي عاش فيها. رغم ذلك فإننا لا نعدم عنده من تلك
الصورة التي ينهج بها نهج غيره، فهو ينهج نهج الصنوبري في الثلجيات
"فينشر في مجالسه قصائد الصنوبري، ولم يكتف بذلك، بل قال شعراً في
الثلج على ندرية سقوطه في بغداد"^(٣).

الوردُ بَيْنَ مَضْمَخٍ وَمَضْرَجٍ وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُكَلَّلٍ وَمَتَوَجٍ
وَالثَّلَجُ يَسْقُطُ كَالنَّارِ فَقَمْنَا نَلْتَدُّ بِابْنَةِ كَرَمَةٍ لَمْ تَمَزْجَ^(٤)

الإخوانيات :

ظهرت الإخوانيات في شعر المهلبي، وكان لها تأثير في حياته
وبروز في شعره، كما كان لها في العصر البويهى "رواجٌ منقطع النظر

(١) السري الرفاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج٣، ص ٩٠.

(٢) المرجع ذاته، ج٢، ص ٢٤٣.

(٣) مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١
م، ص ٦٥٦.

(٤) الثعالبي، من غاب عنه المطرب، ص ٧٥.

وذلك لتوافر أسبابها ودواعيها، إذ عنى بها الأدباء عناية كبيرة، فأكثرُوا من المراسلات الإخوانية شعراً ونثراً إلى حد الإسراف^(١).

وكثر هذا الغرض في عهد بني بويه نتيجة للفراغ الذي اكتنف شعراء هذا العصر مما دفع إلى نظم أبيات من الشعر في التهاني والتهادي والعتاب والشكوى ممثلة مظاهر الترف والنعيم التي غرقوا فيها^(٢). أكثر الشعراء في هذا العصر من العتاب والاعتذار سواء بين المتحابين أو بين الأصدقاء، وقد تفننوا في ذلك على صور شتى تسعفهم ملكاتهم العقلية الخصبة بمعان وخواطر لم تفد على سابقهم، أو لعلها وفدت ولكنهم أبرزوها إبرازاً جديداً^(٣) والمُهلِّي في إخوانياته يعبر عن صورة المودة والمحبة والصلة المتينة بينه وبين الأصحاب والخلان.

وأخلاق المُهلِّي ومحبته لأصدقائه ووفاءه لهم، دفعت به إلى نظم الشعر الذي يتحدث عن هذه العلاقة وكل ما فيها من معاني الصداقة، من حب وهجر وتقدير واحترام وعتاب وشكوى. وربما كان مما قاله المُهلِّي في الإخوانيات عتابه لصديقه:

يا مَنْ شكا عبتاً إلينا شوقه	فعل المشوق وليس بالمشقائق
لو كنتَ مشتاقاً إليّ تريدني	ما طبّت نفساً ساعة بفراق
وحفظتني حفظ الخليل خليله	ووفيت لي بالعهد والميثاق ^(٤)

فتسعه مشاعره المرهفة في الإتيان بالمعاني الرقيقة (الشوق والاشتياق والشكوى) فيعاتب صديقه موضحاً أن من العبت شوق المشوق وهو ليس بالمشقائق، فلو كان كذلك لما منعه مانع من التلاقي والقدوم إلى صديقه، ولا طاب له العيش ساعة مع هذا الفراق.

وفي عتابه لأصدقائه الذين غيّرهم الأيام، فتذكروا له وتفرقوا عنه
نثر ككب يقول:

(١) محمود غناوي الزهيري، الأدب في ظل بني بويه، ص ٢٠٤.

(٢) فاطمة الموافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، ص ١٩٥.

(٣) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص ٢١.

(٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ٣، ص ٣٥.

النَّاسُ أَتْبَاعُ مَنْ دَامَتْ لَهُ النِّعَمُ وَالْوَيْلُ لِلْمَرْءِ إِنْ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ
 مَالِي رَأَيْتُ إِخْلَائِي وَحَاصِلَهُمْ أَثْنَانُ مُسْتَكْبِرٌ عَلَيَّ وَمُحْتَشِمٌ
 لِمَا رَأَيْتُ الَّذِي يَجْفُونَ قُلْتُ لَهُمْ أَذْنِبْتُ ذَنْبًا؟ فَقَالُوا ذَنْبُكَ الْعَدَمُ^(١)
 وَالْمُهْلَبِيُّ فِي إِخْوَانِيَّاتِهِ يَتَحَدَّثُ عَنِ الصَّدِيقِ الْحَقِّ الَّذِي يُعَدُّ سِنْدًا
 وَقَدْ: المحن لا وقت الرخاء، يقول:
 وَمَا صَاحِبِي عِنْدَ الرِّخَاءِ بِصَاحِبٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْأُمُورِ الشَّدَائِدِ^(٢)
 وَأَشْعَارُ الْمُهْلَبِيِّ فِي الشُّوقِ وَالْحَنِينِ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى شَوْقِهِ لِأَصْدِقَائِهِ
 وَخِلَانِهِ، بَلْ نَظَّمَ أَبْيَاتًا فِي شَوْقِهِ وَحَنِينِهِ إِلَى بَغْدَادِ النَّبِيِّ قَضَى فِيهَا حَيَاتِهِ
 الْمُنْعَمَةَ، فَكُتِبَ عَلَى جِدَارِ بَيْتٍ نَزَلَ بِهِ فِي (مَسْمَارَانَ)^(٣):
 أَحْنُ إِلَى بَغْدَادِ شَوْقًا وَإِنَّمَا أَحْنُ إِلَى الْفِرِّ بِهَالِي شَائِقٍ
 مُقِيمٌ بِأَرْضِ غُبَّتْ عَنْهَا وَبِذَعَةٍ إِقَامَةٌ مَعْشُوقٍ وَرَحْلَةٌ عَاشِقٍ^(٤)

مِنَ الْجَوَانِبِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي إِخْوَانِيَّاتِ الْمُهْلَبِيِّ الرَّدُودِ عَلَى الْأَدْبَاءِ
 وَالشُّعْرَاءِ وَالْكَتَابِ فِي مَجْلِسِهِ، وَمِنْ هَذِهِ الرَّدُودِ: رَدَهُ عَلَى ابْنِ سَكْرَةَ
 الْهَاشِمِيِّ^(٥) بَعْدَ أَنْ جَاءَ إِلَى الْمُهْلَبِيِّ مَادِحًا يَقُولُ:

(١) جابر الخاقاني، "شعر الوزير المهلب"، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، ص ١٥٩.

(٢) المرجع ذاته، ص ١٥٢.

(٣) مسماران: من ضواحي البصرة.

(٤) الأصفهاني، أدب الغرباء، نشره عن مخطوطة فريدة في العالم، الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٧٦.

(٥) عندما قصده وأنشده قصيدته [من الوافر]:-

فَلَمَّا أَتَيْتُكَ أَتَيْتُكَ مِنْ الصَّنُودِ وَلَا تَتَعَمَّدي قُلْتُ لِي الْعَمِيدُ
 فَخَرَّبْتُ خَدِيدَ عَلِيٍّ الْخَدِيدِ حَمَيْتُ نَظِيرَتِكَ مِنَ الْهَجُودِ
 يَكْرُهُمَا عَلَيَّ فِرَاقُ جُـوَادِ فَخَرَّبْتُ خَدِيدَ عَلِيٍّ الْخَدِيدِ
 صُنُودٌ فِي صُنُودٍ فِي صُنُودٍ يَكْرُهُمَا عَلَيَّ فِرَاقُ جُـوَادِ
 صُنُودٌ مَا اجْتَمَعْنَ عَلَى ابْنِ حُبٍّ صُنُودٌ فِي صُنُودٍ فِي صُنُودٍ

أتاني في قميص اللآذ يمشي عذو لي يلقب بالحبيب
فقلت له فديتك كيف هذا بلا واش أتيت ولا رقيب؟
فقال: الشمس أهدت لي قميصاً رقيق الجسم من شفق الغروب
فتوئي والمُدام ولون خدي قريب من قريب من قريب^(١)

نرى أن المهلبي يرد عليه بأبيات مناسبة وموافقة لأبياته، وهذا ما يشير إلى قدرته الأدبية فلم يترك الأشعار والأقوال التي تصل إليه بدون رد بلاغي جميل، وله ردود أخرى على الأشعار والكتب التي تصله بأبيات تتضمن النقد الشعري لهذه الكتب والأشعار مما يؤكد تعمقه في الأدب كقوله في كتاب ابن العميد:

ورَدَ الكتابُ فديته من واردٍ فله بقلبي من حياتي موردٌ
فرايتُ درأً عقده منتظماً في كلِّ فصلٍ منه فصلٌ مفردٌ^(٢)
فهو يقدر قيمة هذه الكتب، وصور نظمها وجماله كعقد الدر المنظم.

الزهد:

إذا كان المجنون قد نشأ في جوانب المجتمع، فقد كان يقابله في الجانب الآخر زهد عند كثيرين، ولا أريد أن أتحدث عن الزهد وأشكاله وما يتضمنه من الحديث عن الموت والحياة، والثواب والعقاب، وأتحدث عن أولئك الشعراء الماجنين المستهترين الذين كانت "تستيقظ قلوبهم، ويتوبون إلى رشدهم، فينشدون شعر الزهد وربما كان لشعرهم حينئذٍ هزة في النفوس كالزجاج عندما تأتي مفاجئة غير متوقعة"^(٣).

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٧٦.

(٢) العالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٣) سعد إسماعيل شلبي، الشعر العباسي: التيار الشعبي، مكتبة غريب، ١٩٧٠م، ص ١٢.

ورغم انتشار الترف في ذلك العصر، وانغمس الناس بالفحش سواء أكان ذلك في القصور أم في الأزقة الضيقة، إلا أن تيار اللهو وجد "تيار الزهد (تيار المقاومة) يقف بالمرصاد لهذا التيار الذي جذب الناس إليه"^(١). والشعراء في ذلك العصر عبروا عن هذا التيار في أشعارهم، وكان أحد موضوعاتهم، "غير أن أسلوب التعبير عن هذه الموضوعات يختلف من شاعر لآخر"^(٢).

ولم يخلُ شعر المهلب من شعر زاهد يكون موضوع مقطوعاته الشعرية فيه دعوة إلى نبذ متاع الحياة الزائل، واحتقارها ويقرر أن الدنيا ما هي إلا طريق إلى الآخرة فهي وسيلة لا غاية، فكان له:

لا تكذبن فإنها خلقت لينال زاهدُها بها الأخرى^(٣)

ويبثهم خبراته ويقدم نصائحه وموعظته التي يستسقيها من تفكره وتمعنه في هذه الدنيا، ويرى أن زهد الإنسان في الدنيا لا بد أن يبدأ بالحياة من الله المنعم لكل هذه النعم وهو المسيء فيقول:

هَبِ الْبَعَثَ لِمَ يَأْتِنَا نُذْرُهُ وَجَاحِمَةُ النَّارِ لِمَ تُضْرَمُ^(٤)

أليس بكافٍ لذي فكرة حَيَاءُ الْمُسِيئِ مِنَ الْمُنْعَمِ؟!^(٥)

وكان صوت المهلب يصل إلى النفوس لأن "الصوت الزاهد من الشاعر الماجن أبعد أثراً في نفوس سامعيه وبخاصة إذا كانوا من طبقته لأنه يخاطب أعماقهم الزاهدة"^(٦) ففي غناه يتحدث عن مرارة العيش ويقدم تنبيهاً للغافلين والغارقين في الترف والظانين أن الدنيا لما هم فيه من لهو ونعيم

(١) فاطمة الموافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، مرجع سابق، ص ١٩٢.

(٢) علي نجيب عطوي، شعر الزهد في القرن الثاني والثالث الهجري، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٨٤.

(٣) شعر الدعوة الإسلامية العصر العباسي الثاني، جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لأعلامه ووضع فهرسه، عائض بُنَيَّة الرَّزَّادِي، بإشراف عبد الرحمن ورأفت الباشا، كلية اللغة العربية، الرياض، السعودية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٢٢٥.

(٤) جامحة النار: جحيما وهو شدة تأججها، لسان العرب، مادة (جحم).

(٥) النُّعَالِي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٦) سعد إسماعيل شلبي، الشعر العباسي: التيار الشعبي، ص ١٢٣.

متناسين أنها زائلة وإنها مفاتيح إلى الحزن وإنما "الظفر الحقيقي ليس هو
الظفر بالمنى المادية التي ليست إلا بهارج زائفة لا غناء فيها عند النفوس
الطامحة إلى الرسالات"^(١) فيقول:

لَمْ يَبْقَ فِي الْعِيشِ لِي إِلَّا مَرَارَتُهُ إِذَا تَذَوَّقْتَهُ وَالْحُلُوءُ مِنْهُ فَنِي
يَا نَفْسُ صَبْرًا وَإِلَّا فَاهْلِكِي جَزَعًا إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى مَا تَكْرِهِينَ بُنِي
لَا تَحْسَبِي نِعْمًا سِرَّتَكَ صَحْبَتَهَا إِلَّا مِفَاتِيحَ أَبْوَابٍ إِلَى الْحُزَنِ^(٢)

ويحذر من التماذي بالعصيان ويدعو النفوس إلى التوبة، فلا ينفع
إلا العمل الصالح فهو الذي يلقي به ربه فيقول:

يَانْفُسُ كُفِّي عَنِ الْعُصْيَانِ وَاعْتَنِمِي خَيْرًا كَأَنَّكَ وَالْأَيَّامَ لَمْ تَكُنْ
يَا نَفْسُ وَتَحَكِّي تُوبِي وَاعْمَلِي حَسَنًا يَلْقَاكَ رَبُّكَ يَوْمَ الْبَعْثِ بِالْحَسَنِ^(٣)

الحكمة :

لم تكن الحكمة عند المهلبّي غرضاً رئيساً في شعره كما هي في
العصر العباسي، حيث كانت موضوعاً شعرياً مستقلاً لقصائد خاصة بها عند
الشعراء^(٤). إلا أن تنقل المهلبّي في البلاد وتعرفه أحوال الناس ومشاهدته
وتأملاته للأحداث، قد اكسبه خبرة كبيرة، وكان له نتيجة لذلك حكمٌ بليغة
مستلهاة في أبيات شعرية، ومن الأبيات الشعرية التي أجراها مجرى الحكم
والأمثال قوله:

(١) حسن أمين، الوزير المهلبّي، مجلة العربي، العدد ١٤٣، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٢) النّعالبي، المنتحل، ص ١٥١.

(٣) محمد بن أيّدر، مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد، يصدره فؤاد سزكين، منشورات
العلوم العربية والإسلامية، استنبول، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ج ٥، ورقة ٤٧٤.

(٤) صلاح مصلحي علي عبدالله، التقليد والتجديد في الشعر الجاهلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،
ص ١٥٦.

فإنَّ عَصِيرَ الثَّمَارِ الثَّجِيرِ وإنَّ نَفْيَ الحَدِيدِ الخَبِيثِ^(١)
وقوله:

وهل يباعُ عَذْبَ الماءِ نو غصص أو ينتهي عن لذِيزِ الزادِ منهوم^(٢)
ويستخدم في شعره من الأمثال المعروفة عند العرب "ويملا الدلو
إلى عقد الكرب، يضرب لمن يبالغ فيما يلي من الأمور"^(٣) كقوله:

كان أرجى لك في العقبى من أن تملأ الدلو إلى عقد الكرب^(٤)
والحكمة عند المُهَيَّي حكمة ممتدة في الزمان غير مرتبطة بمكان
وهي ثمرة تجاربه في الحياة حلوها ومرها، يقول:

وَمَنْ خَافَ أَنَّ الهَمَّ يَمْلِكُ نَفْسَهُ فأولى به تَرِكُ العُلا والجسائم^(٥)
يتحدث عن المال، فيرى إنه أساس العز ومن لا يملكه لا حياة له ولا
فائدة منه، كقوله:

المَالُ عِزٌّ وَمَنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُهُ حَيًّا كَمَنْ مَاتَ إِلَّا أَنَّهُ صَنَمٌ^(٦)
وقوله:

ضَاعَ مَعْرُوفٌ واضع العُرفُ في غَيْرِ أهله^(٧)
ويطلق حكمته في أحوال الناس وأصنافهم فيقول:

فاجعلْ عبيدَكَ أوتادا تشججُها لا يَثْبُتُ البيتُ حَتَّى يَقْرَعَ الوتدُ^(٨)

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ٢٧٧، الثجير: ما عصر من العنب وبقيت عصارته (الثقيل)، لسان العرب، مادة (ثجر).

(٢) المنهوم: الجائع، لسان العرب، مادة (نهم).

(٣) السيداني، مجمع الأمثال، قدم له وعلق عليه نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٥٠٠.

(٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ٢٨٥.

(٥) الجسائم: عظيم الأمور، لسان العرب، مادة (جسم).

(٦) محمد بن أيدير، مخطوطة الدر الفريد وبيت القصيد، ج٢، ورقة ٢٣٢.

(٧) المرجع ذاته، ج٤، ورقة ٣٧.

وقوله:

الناسُ أتباعٌ من دامت له النعمُ والويل للمرء إن زلت به القدم^(٢)

ومن الملاحظ أننا نجد في شعر المهلبى الكثير من أشعار الحكمة، رغم انغماسه في اللهو والمجون، وعلى الرغم أن نفسه لم تكن مهمومة بالأحزان ليتخذ منها "خير جلاء يجلو الصدا"^(٣) عنها، ومن الملاحظ أيضاً أن شعر الحكمة عند المهلبى قد ظل خطرات متناثرة يبثها في شعره، فيذكر حكمته التالية بعد الصبر والتجلد عند النكبات، فيقول:

وكذا المسك إذا ما زاد سُحْقاً زادَ طيباً^(٤)

الخمريات:

تناول المهلبى في شعره الخمر وما يتصل بها من مجالس الأنس والسمير التي انتشرت في قصور الحكام والوزراء والأغنياء وفي بلاط البويهيين^(٥)، فنفذ الوصف إلى هذه المجالس وما يدور فيها، فوصفت بأجمل القصائد، وصف المهلبى الخمر وقام بتجسيد حالة شرب الخمر بألفاظ تدل على أحاسيسه الداخلية نحوها (فراجة الكرب، وابن هَم) هذه الألفاظ تعكس الالام النفسية التي يتخلص منها عندما يشرب الخمر، ويصور لنا فعل الخمر في محتسبها، فشرب الخمر عنده يزيل الكرب والهموم، بقوله:

يا لابن هَم سوى شربِ ابنة العنب فهاتها قهوة فراجة الكرب^(٦)

ثم يصور لنا ساعات شرب الخمر والجو المحيط بهم وقت ذلك، فيقدم لأقرانه وندمائيه دعوة لاحتسائها، إذ الجو مهياً لشربها، فالورد منتشر

(١) الثعالبي، المنتحل، ص ١٤٤-١٤٥. الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء

والشعر، ج ١، ص ٤٣٢.

(٢) جابر الخاقاني، "شعر الوزير المهلبى"، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، ص ١٥٩.

(٣) صلاح مصلحي علي عبد الله، التقليد والتجديد في الشعر الجاهلي، ص ١٥٧.

(٤) الثعالبي، المنتحل، ص ٢٦٧.

(٥) فاطمة الموافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، ص ١٨٣.

(٦) الجرجاني، المنتخب من كفايات الأدباء وإشارات البلغاء، ص ٨٩.

بأحواله المختلفة (مضْمَخ ومضْرَج)، والأزهار متفتحة وغير متفتحة، كما يشير إلى الوقت الذي يدعو فيه للشرب وهو وقت الشتاء البارد والثلج يتساقط، يقول :

الوردُ بينَ مضْمَخٍ ومضْرَجٍ والزهرُ بينَ مُكَلَّلٍ ومَتَوَجٍ
والثلجُ يسقطُ كالنَّثارِ فَمُمُّ بِنَا نلتذُّ بابنةِ كَرَمَةٍ لم تَمزَجِ^(١)
ويرفع هنا من منزلة الخمر إلى درجة أنها أصبحت كالدواء لمرض
الهم، فيقول :

الرَّاحُ بَرِّيَاقٍ^(٢) لِسَمِّ الهمِّ في حُكْمٍ مِنَ المعقولِ والمسموعِ
والهمُّ يَلْسَعُنِي فهلُ من مُسَلِّمٍ يَسْخُو بَرِّيَاقٍ على الملسوعِ؟^(٣)
ووقف المُهَلَّيِّ عند وصف الخمر وتناولها في شعره، كما أنه جاء
ضمن أغراض أخرى ذكرناها سابقاً كالوصف والغزل، كقوله:
شربنا غُبوقاً والنُّجُومُ كأنَّها نثارُ دنانيرٍ على أرضِ سندسٍ^(٤)
كَأَنَّ الثُّرَيَّا بينها حينَ أَعْرَضَتْ يواقيتِ تاجٍ أو تحيةِ نرجسٍ^(٥)

وهذا اللون هو انعكاس للحياة الاجتماعية التي عاشها أثناء وزارته، وتصوير للجانب اللاهني من حياته، وكان أدبه الذي يصور هذا الجانب متشبعاً، فبالإضافة إلى وصف الخمر وما اتصل بها هناك من غزله بالغلمان والجواري والمغنيات.

(١) الثعالبي، من غاب عنه المطرب، ص ٧٥.

(٢) الترياق: بكسر التاء، دواء للسموم، فارسي معرب، محمد التونجي، معجم المعربات الفارسية في اللغة العربية منذ بواكير العصر الجاهلي، دار الأدهم، دمشق، ١٩٨٨م، حرف التاء.

(٣) الباخريزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ١، ص ٢٢٣.

(٤) ابن منظور صاحب لسان العرب، نثار الأثرار في الليل والنهار، دار مكتبة الحيلة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، ص ١٤١، الغبوق: الشرب بالعشى، شرب آخر النهار مقابل الصبوح، لسان العرب، مادة (غَبَق).

(٥) ابن منظور، صاحب لسان العرب، نثار الأثرار في الليل والنهار، ص ١١٢.

الفخر:

فن من الفنون الشعرية، و"الافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار"^(١).

وعليه فإن الفخر يقوم على ذكر الفضائل الاجتماعية، ومكارم الأخلاق وتعدادها "يقوم فيه الشاعر عادةً بالإشادة بفضائله وفضائل قومه والتغني بمكارمه ومكارم قبيلته التي ينتمي إليها، والافتخار بمآثرها والإشادة بمكانتها في عصره"^(٢).

والفخر الذاتي هو ما دار حول الشاعر في نفسه وفي آبائه وأجداده، ونبت هذا الفخر في الجاهلية نبأ تلقائياً^(٣)، أي لم يكن هدفاً بذاته لكنه كان وسيلة يرسم الشاعر بها صورة إنسان يخافه الأعداء، فيترددون في التعرض له ولقبيلته ويعتبر حدوداً تمنع الأعداء من التقدم^(٤).

وهو من الاتجاهات الشائعة في هذا العصر، إذ ملئت دواوين الشعراء وكتب الأدب بأبيات وقصائد كثيرة ضمن إطار الفخر.

وجاء معظم فخر الوزير المهيبي في أبياته ترديداً لما يطيب له من معاني الفخر بنفسه وبخصاله وبما هو عليه من اللهو والمجون، فأنحصرت معاني الفخر: بالفخر بالنسب والفخر بالصفات الحسنة، يقول مفتخراً بنسبه العربي العريق:

أجاني وصالت مفاخري لأب	حازَ الفخار وطاول العليا
وأجابَ دأعيه وخلفني	وحديثه فكأنما يحيا
وتلوئتُ عمي في تغزله	وشربت رياء من هوى ريا

(١) رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج ٢، ص ١٤٣.

(٢) نبيل أبوحاتم، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٠٥.

(٣) لجنة أدباء الأقطار العربية، الفخر والحماسة، ط ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، ص ١١.

(٤) سراج الدين محمد، الفخر في الشعر العربي، دار الرتب الجامعية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٥.

فكأنني أهوى صبابته وكأنها في حسنها دنيا^(١)

في هذه الأبيات سلسلة من معاني الفخر، بدأت بنفسه ثم امتدت إلى أبيه^(٢) ولما وصل إليه من قدر ثم إلى عمه^(٣) الذي تجمع معه القرابة ومعاني العزة، وهو هنا يتحدث بثقة كبيرة وفخر وعزة وجاه وصل إلى أقصى درجته حتى أن الدنيا كانت في يده.

ويقول موضحاً أقصى درجات الفخر والعزة بالعلو في المنزلة السياسية كوزير والمكانة الأدبية كشاعر حتى وصل كما يرى لمكانة الشمس من الأرض، يقول:

لقد ظفرت - والحمد لله - مُنيّتي بما كنت أهوى في الجهارة والنجوى

وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته من الأرض واستقرت في الرتبة العليا

وعاينت من شعر العينين حلة تعاون فيها الطبع والمهجة الحرة^(٤)

فحركني عرق الوشيجة والهوى لعمي وأملت بي إلى الرحم القريب

فمكنته من أهل (دنيا) وأرضها ففاز بما يهوى وفوق الذي يهوى^(٥)

أما النوع الثاني عنده وهو الفخر بالصفات الحسنة، فلم يترك المُهلبيّ فخره واعتزازه بكرمه وجوده حتى في وقت فقره، يقول:

الحوذ طبعي ولكن ليس لي مال فكيف يصنع من بالقرض يحتال^(٦)

ثم يفتخر بكرمه الذي انتشر في الآفاق في عصر حتى طال أعداءه ومبغضيه، يقول:

وذي حسدٍ لو حلّ بي ما يريدُه لأصباحَ مَجْجوعاً بفيض بناني

(١) نحي الموسوي، نزهة الجليس ومنية الأديب الأتيس، ج ٢، ص ٩١-٩٢.

(٢) يريد به نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة القائد العربي المعروف في التاريخ.

(٣) الشاعر أبو عيينة المُهلبيّ (ت بين ٢٢٠-٢٣٠هـ).

(٤) الطبع: السجّية التي جُلّ عليها الإنسان، لسان العرب، مادة (طبع).

(٥) الشُعالي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٦.

ولم أعطه جهلاً ولكن سحائبي
تعمُ ذوي الإخلاص والشَّان^(١)

ويفتخر بشجاعته وبصلابته وصبره حين ضُربَ وتُكَبّ، إذ ظلت
نفسه قوية لا تتكسر أبداً:

وجدوا عودَ أبي الصَّ
قر على الغمز صليبا^(٢)

كلما زادوا عذاباً
زادهم صبرا عجيباً

وكذا المسك إذا ما
زادَ سحقاً زاد طيباً^(٣)

الهجاء:

فن "من الفنون الأدبية التي ترتبط بحياة الناس والمجتمع على اختلاف طبقاته، وهو واحد من الأغراض الشعرية، وبعد يلقي ضوءاً على الحالة النفسية للأفراد والجماعات، ويكشف عما ساد الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية من مظاهر التجديد والتطور والتأخر"^(٤)، وهو يعكس هذه المظاهر، ويحتل مكاناً واسعاً في ديوان الشعر العربي، ومن أغراضه التي مرت بمراحل تطور عديدة على مدى عصور الأدب وتغيرت مفاهيمه وأساليبه وصوره من عصر لآخر لاختلاف دوافعه وأسبابه وتباين أذواق الناس من حقبة لأخرى.

والهجاء أحد الفنون الشعرية المهمة في أدبنا، لأنه يشكل رادعاً لمن تحدثه نفسه بالإساءة "وهو من فنون الشعر الغنائي، يعبر به الشاعر عن عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء، ويمكن أن نسميه فن الشتم والسباب، فهو نقيض المدح، ففي القصيدة الهجائية نجد نقائص الفضائل التي يتغنى بها المدح، فالغدر ضد الوفاء والبخل ضد الجود والكذب ضد الصدق

(١) الشَّان: يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٤. الشَّان: البغض، لسان العرب، مادة (شَنَن).

(٢) الغمز: العصر باليد، لسان العرب، مادة (غَمَز).

(٣) الشَّان: المتحل، ص ٢٦٧.

(٤) قطان رشيد التميمي، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٥.

والجبن ضد الشجاعة والجهل ضد العلم^(١)، فهو موضوع شعري مهمته "انتزاع القيم من المهجو، وتقديمه إلى مجتمعه في صورة تفرض خلعه من هذا المجتمع، أو إقصاءه عنه"^(٢).

وكان الهجاء في الجاهلية غرضاً شعرياً يرهبه الأفراد كما ترهبه القبائل على حد سواء^(٣). وأدت الدوافع الفردية والقبلية والسياسية إلى تعدد أضرب الهجاء الجاهلي، والهجاء الشخصي أقدم هذه الأضرب إلى الظهور^(٤)، والشعراء الجاهليون يسوقون في فخرهم وإشادتهم وهجاءهم.

في حين أن الهجاء السياسي كان من أظهر فنون الشعر في العصر الأموي^(٥)، إذ صار المربد في العراق مجمع الناس في خصوماتهم الخاصة، ومحافلهم السياسية العامة^(٦) وموطن الفتن والاضطرابات والهجاء في هذا العصر، فاختلفت صورة الهجاء السياسي وتعددت اتجاهاته، فمضى بعضه في الأسلوب الجاهلي الذي يقوم على العصبية القبلية واتجه آخر على الولاة، مهاجماً سياستهم البعيدة عن العدل والإنصاف والمخالفة لما ألف الناس^(٧).

وما أن حل العصر العباسي عصر التحضر والاختمار، وأصبح الناس يتنازعون تنازاعاً فكرياً مصيرياً^(٨)، حتى ظهر الاتجاه الديني المذهبي في فن الهجاء "إذ كانت موجة المجون والعبث والانحراف والزندقة، قد أخذت طريقها السهل إلى نفوس الكثيرين طول العصر العباسي"^(٩).

(١) سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، دار الرتب الجامعية، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٦.

(٢) عبد القادر الرباعي، شعر آل أبي عيينة المهلبية، أمانة عمان الكبرى، عمان، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م، ص ٤٦.

(٣) قحطان رشيد التميمي، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، ص ٢١.

(٤) المرجع ذاته، ص ٢١.

(٥) محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ص ٢١.

(٦) المرجع ذاته، ص ٢٧.

(٧) محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، ص ٢٨.

(٨) إيليا حاوي، الهجاء وتطوره في الشعر العربي، ص ٤٣٩.

(٩) قحطان رشيد التميمي، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، ص ٢١.

وفي العهد العباسي أيضاً اختلف الهجاء عما كان عليه مع التغير الذي طرأ على البيئة والحضارة، ونشب نزاع بين القديم والجديد، وبين العربي والشعوبي وبين المذاهب المختلفة، وأصبح الهجاء يتصل بكل النزعات السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى الأمور التقليدية، ونشأت اتجاهات جديدة في الهجاء، كالاتهام بالزندقة والخنث وهجاء المغنين وهجاء المدن وهجاء العرب وهجاء رجال الدين^(١).

والهجاء عند المُهَلَّبِيّ قليل لا يتخذ صورة حادة، كما عند ابن الرومي مثلاً، ولكنه يخلع على المهجو بعض الصفات الدميمة كالبلخ:

وإن جاعك القوم في حاجة تَفَطَّرت حولين في العلة
وتلقاهما أبداً كالحا كأن قد عضضت على مصلة^(٢)

ويذم طبقة العبيد ويذكر مقابحهم، ويرى ضرورة تأديبهم لفساد أخلاقهم ويتهممهم بأنهم لا اعتماد عليهم فيقول:

ما عند عبد لمن رجاء مُحْتَمَلٌ ولا على العبد عند الحرب مُعْتَمَد^(٣)

ويتصل هجاؤه بطبيعة الحياة اللاهية التي اتخذها لنفسه، فها نحن نراه يوجه المُهَلَّبِيّ هجاءه للمغنين والمغنيات، فكما برع في وصف القيان والجواري والتغزل بهن، فقد برع في هجائهن وشخص مواطن القبح ورسم لأصواتهن صوراً بارعة في التنفير وإثارة الأشمئزاز، فكان هجاؤه منصّباً حول سوء الصوت وقبحه. فها هو يصف صوتاً قبيحاً فيقول:

إذا غلّنى لنا أمماً حَشْوَتُ مَسَامِيعِي صَمّاً^(٤)
وإن أبصرتُ طلَعَتَهُ كحلتُ نواظري بعمى^(٥)

ولعل الهدف من هجائه هو إظهار عدم الرضا عن أداء المغنين للتعديل والتغير، ولكن بقلب أدبي شعري فهو يتمنى الصمم لأذانه قبل أن

(١) سراج الدين محمد، الهجاء في الشهر العربي، ص ٤٧.

(٢) جابر الخاقاني، "شعر الوزير المُهَلَّبِيّ"، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، ص ١٥١.

(٣) الثعالبي، المنتحل، ص ١٤٤-١٤٥.

(٤) أمماً: قليلاً، لسان العرب، مادة (أمم).

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢١١.

يسمع هذا الصوت المنفر، والعمى قبل أن يرى الشكل القبيح لصاحبه، ويقول
في وصف صوت المغني القرشي:

إذا غناني (القرشي) دعوتُ الله بالطـرـش^(١)

وإن أبصرتُ طلعتُ فوالهفي على العـمـش!!^(٢)

ونلاحظ أن المُهَلَّبِيَّ أراد انتشار أبياته لأنه أتبع ما يساعد على ذلك: فالهجاء اقتصر على مقطوعات قصيرة لا تتجاوز البيتين أحياناً لأن الشاعر كان يريد بذلك سرعة انتشار هذه الأبيات بين جماهير الناس، كذلك مال الهجاء إلى المعاني الشعبية كي يكفل الشاعر انتشار أبياته^(٣). واتبع في ذلك نهج غيره من الشعراء في تلك الفترة.

أما باقي الفنون الشعرية الأخرى كالمدح مثلاً فلم نر له فيه سوى بيت أو بيتين مما يدل على أن نصيبه من هذا الفن ضيق ومحدود، وعلى أنه لم يكن يتكسب بالشعر حتى في أيام فقره وضيقه، أو أن له موقفاً أخلاقياً منه.

وخلاصة القول وبعد إمعاننا في هذه الموضوعات نخلص إلى أن المُهَلَّبِيَّ ليس شاعر هجاء ولا شاعر مدح وغيرهما، ولكنه نظم الأبيات الشعرية، متوقفاً أو مستجيباً لما يخطر بذهنه ساعة الحاجة إلى القول .

ثانياً: موضوعات نثره

كتب المُهَلَّبِيَّ في باب النثر، كما كتب في باب الشعر، وقد قادته الكتابة إلى الوزارة فأصبح وزيراً لمعز الدولة البويهية، وللمهلبية رسائل ديوانيه، كما يذكر ذلك ابن النديم، فقد ذكر "له كتاب رسائل وتوقيعات"^(٤)،

(١) القرشي: اسم مغنٍ، الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢١١.

(٢) العمش: ضعف البصر مع سيلان دمع العين، لسان العرب، مادة (عمش).

(٣) سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، ص ٤٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٢١٧.

لكنها لم تصل إلينا. وقد كان المهلبي مقلًا في النثر كما هو في الشعر، على الرغم من أن الباخريزي يذكر أن "الغالب على هذا المَهْلَبِيّ الكتابة." (١)

هذا رأي من آراء القدماء في أدب المَهْلَبِيّ، أما المحدثون أمثال الدكتور مصطفى الشكعة "فإنه يعدّه من الكتاب اللامعين الذين أثروا أدبنا برسائلهم الإمتاعية والإخوانية، ومن أصحاب الأقلام الذهبية العربية التي أنثرت في تراثنا، وأغنت أدبنا وأمتعت عقولنا، وهذبت نفوسنا" (٢).

وللمهلبي نثر راق يدل على ما يتمتع به من معرفة أَسرار الفصاحة والبلاغة (٣). واقتصرت مقطوعاته الأدبية على مقطوعات نثرية ورسائل إخوانية وتوقيعات متنوعة، تجلت فيها معرفته الفنية النثرية، وفي هذا يقول النّعالبي في ترجمته يصف أدبه: "وكان يترسل ترسلًا مليحاً" (٤).

وقد عمِل النّعالبي على جمع ما تخير من عباراته النثرية في كتابه اليتيمة (٥)، فكانت حِكْمًا ووعظًا ونُصْحًا، ولأنَّ الحِكْمَ: "أقوال من جوامع الكلم، تعبر عن مواقف من الحياة والناس، وتشتمل على توجيه وإرشاد إلى ما فيه الصلاح في القول والعمل" (٦)، لذا كان أدبه النثري ذا فائدة عامة بعضها في حال الإنسان، وتقلب أحوال الدهر معه (٧)، وبعضها في الأخلاق وبعضها في السلوك، فنراه يحدثنا بعباراته فيما ينبغي أن يكون من الأخلاق مثلاً: "من حنث في أيمانه (٨) وأخلَّ بأمانته فإنما يحنثُ على نفسه" (٩). يحرص في مقطوعاته النثرية أن يبيث الحِكْمَ والنصح في سبيل مواجهة المصالح السيئة التي انتشرت في المجتمع، فيقف موقف الناصح ومن كلامه

(١) الباخريزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ١، ص ٢٢٣.

(٢) مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كتاب النثر، ص ٤٢٦.

(٣) فاطمة الموافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، ص ٦٩.

(٤) النّعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٥) النّعالبي، نثر ذاته، ج ٢، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٦) محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العباسي، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٤م، ص ٧٣.

(٧) فاطمة الموافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، ص ٦٩.

(٨) حنث: كذب فيها ونقضها، لسان العرب، مادة (حنث).

(٩) النّعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٦٨.

في ذلك "أكف عن لحم يُكسبك بشماً" ^(١) وعن فعل يُعقبك ندماً" ^(٢) ويقول: "مكّن موضع رجلك قبل مشيك، وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك" ^(٣). ويحذر من الدهر وتقلباته "لست غفلاً عن الدهر فتنكر نوائبه، ولا مطيقاً له فتدفع مصائبه" ^(٤).

والمهلبى لا يوجه مقطوعته الأدبية لفئة من الناس أو جهة معينة في المجتمع، بل يبيث أفكاراً عامة لكل فئات المجتمع فيقول: "القلب لا يملك بالمخالطة" ^(٥)، ولا يدرك بالمجادلة" ^(٦)، و"من تعرض للمصاعب فليتنبئ للمصائب" ^(٧). ويقول في الوزارة وما فيها: "التصريف" ^(٨) أسنى ^(٩) وأعلى، والتعطّل ^(١٠) أبقى وأصفى" ^(١١). ويتحدث عن الأحكام فيقول: "قتل الإنسان ظلم، وقتل قاتله حكم" ^(١٢).

ويقدر المهلبى في عباراته النثرية من مرت عليه السنون، وكثرت عليه التجارب، ويرى في بقية أيامه حسنة، ومتعة حلوة، فيقول: "وجدت فيه مع علو سنه، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة، ومتعة حلوة" ^(١٣).

(١) البشم: الشبع الشديد والتخمة، لسان العرب، مادة (بشم).

(٢) الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، صححه وضبطه عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، ص ١٨٨.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٤) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٥) المخالطة: المخادعة، لسان العرب، مادة (خَلَّ).

(٦) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٧) الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، ص ١٨٨.

(٨) التصريف في الأمور: العمل، لسان العرب، مادة (صرف).

(٩) أسنى: أثبتته، الجرحاني، أسرار البلاغة، مادة (أسن).

(١٠) التعطل: ترك العمل، بقي لا عمل له، لسان العرب، مادة (عطل)، وأعطال الرجال: عزلهم، الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (عطل).

(١١) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٩.

(١٢) الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، ص ١٨٨.

(١٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٩.

ويتطرق أيضاً إلى الثقافة الأدبية فيشير إلى أمور البلاغة فيقول: "مضطرب اللسان، منتقض البيان"^(١) و"لما أجاب أظاب، وتفسح في رحاب لصواب"^(٢) ورأيتَه فصيح الإشارة، لطيف العبارة"^(٣) و"يعدل عن النص إلى الخرص"^(٤)، وعن الحدس إلى الهجس"^(٥).

ولا يغفل المَهْلَبِيّ عن استخدام أدبه في مخالطة غيره من الناس مهناً أو معزياً، فيقول معزياً أبا إسحاق الصّابي في أبيه الحسين هلال يقول: "ما مات مَنْ كنتَ له خلفاً، ولا فُقِدَ مَنْ كنتَ منه عَوْضاً، ولقد قرئتُ عَيْنُ أبيك بك في حياته، وسكنتُ مضاجعه إلى مكانك بعد وفاته"^(٦).

رسائله الإخوانية:

لم يبتعد المَهْلَبِيّ في فن الرسائل الإخوانية عن سُنّة كتاب هذا العصر، فقد "برع كتاب القرن الرابع فيه وصيروه سُنّة يجري عليها الأصفياء والآلاف"^(٧). واقتصرت رسائل المَهْلَبِيّ التي وصلتنا على رسالة أرسلها إلى أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، وأخرى أرسلها إلى القاضي التتوخي قبل توليه الوزارة^(٨)، ورسالة لابن خلاد، ويظهر في هذه الرسائل ما بينه وبينهم من تواصل ومودة، يقول في رسالته لأبي الفضل الشيرازي:

(١) الثعالي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٢) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٣) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٤) الخرص: الكذب، واخترص القول: افتعله، الجرحاني، أسرار البلاغة، مادة (خَرَصَ).

(٥) الهجس: ما وقع في الخلد من أفكار وأحاديث، والحدس: الظن والتخمين، لسان العرب، مادة (هَجَسَ).

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ١٣٣.

(٧) نياظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل،

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص ٢٥٣.

(٨) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ٢٠٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

"إني-حَفِظَكَ اللهُ- وحفظني لك، وأمتّعك بي وأمتّعني بك، قد بلوئك طول أيام أبي جعفر-قَدَّسَ اللهُ روحَه- فوجدتك ذا شهامة فيما يُناط بك، حَسَنَ الكفاية فيما يوكل إليك، كنوماً للسرِّ إذا استُحفظتُه، حَسَنَ المساعدة فيما يَجْمَلُ بك الوفاق عليه، وقد حدّاني هذا كله على اجتباؤك وتقريبك وإدناؤك وتقديمك، وغالب ظني أنك تُعينني على ذلك بِمَيمُونٍ نَقِيبَتِكَ، ومأمون ضريبتك، وجعلتُ دعامة هذا كله أنني أجريك مَجْرَى الصديق الذي يُفاوض في الخير والشر، ويشارك في الغنِّ والسمن، ويُستنام إليه في الشهادة والغيب، ولي معك عَيْنَان، إحداهما مَعْضُوضَةٌ عن كلِّ ما ساعني منك، والأخرى مرفوعة إلى كلِّ ما سرّني فيك، فإن كنت تجذُّ في نفسك على قولِي هذا شاهداً صدوقاً، وإمارةً نطوقاً، فعرفني لأعلم أن فراستِي لم تُفَلِّ، وحُدُسي عن طريق الصواب لم يَمَلْ، والحال التي جدّدها الله لي هي محروسة لك، ومُقرَّعة عليك ومستقلة بك، فأشركني فيها بخالصة الوفاء، أو تفرّد بها إن شئت بحقيقة الصِّفاء، فلك الأمانة من حَيَلُولَةِ الاعتقاد، والسكون على عفو الاجتهاد، وثق بأن الذي خطبته منك إنّما أريدُه لك، فلا تَقَعَنَّ في وساوس صدرك أنّ لكاشح لنا فيما نحنُ عليه طريقاً لنقص، أو لمحِبٍّ لنا فيه باباً إلى الزيادة، واكتفِ بهذا القدر الذي دلّلك عليه واستقبلْ أمري وأمرَكَ بالذي أرشدتكَ إليه، وإياك أن تستشيرَ فيه غيرَ نفسك، فإنك بعَرَضٍ حَسِدٍ يكون عقاباً لحظّك، والله يهديك للحسنى، ويقيني فيك غَوَائِلَ العيون المرّضى، والسلام".^(١)

لقد خصَّ المُهَلَّبِيُّ أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي بهذه

الرسالة:

فذكر صفاته ومناقبه الحميدة المتمثلة بالشهامة وحسن الكفاية والأمانة "فوجدتك ذا شهامة فيما يُناط بك، حَسَنَ الكفاية فيما يوكل إليك، كنوماً للسرِّ إذا استُحفظتُه، حَسَنَ المساعدة فيما يَجْمَلُ بك الوفاق عليه". وهذه الصفات صفات تقليدية استخدمها الشعراء في المدح والإطراء، لذا تكشف لنا

(١) التوحيد، الصداقة والصديق، تحقيق وتعليق إبراهيم الكيلاني، ط٢، دار الفكر

هذه الرسالة نظرته لمن يريد أن يوكل له المهام، يشير كذلك إلى مدى اهتمامه بصفات من يعينهم ويضع لذلك قواعد، رغم أن رسالته هذه ليست رسالة ديوانيه لتعيين أو تقليد منصب، لكن يظهر من ثنايا رسالته الإخوانية الدافع من الكتابة له بهذه الصورة التي فيها من الود والمحبة الشيء الكثير "وقد حداني... على اجتباك وتقريبك وإدناك وتقديمك". هو تأكيد التواصل والصدقة بين الوزير وأبي الفضل "وَيُقْبَى بَأَنَّ الَّذِي خَاطَبَهُ مَتَى إِنَّمَا أُرِيدُهُ لَكَ، فَلَا تَقْعَنَّ فِي وَسَاوِسَ صَدْرِكَ".

ويبدو أن المهلبي يهتم بالصدقة كثيراً الصداقة، لذا يرسم لنا طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون بينه وبين كتابه الأصدقاء والموالين له، ويظهر ذلك بقوله: "وَالْغَالِبُ ظَنِّي أَنَّكَ تَعِينَنِي عَلَى ذَلِكَ بِمَيِّمُونَ نَقِيبِكَ"^(١)، ومأمون ضريبك^(٢)، وجعلت دعامة هذا كله أنني أجريك مجرى الصديق".

ولا يغفل المهلبي في رسالته الإخوانية هذه إلى أن يلتفت إلى ما يجب أن يتحلى الصديق الحق فيراه "الصديق الذي يفاوض في الخير والشر، ويشارك في الغنى والسمن، ويُسْتَتَامُ إِلَيْهِ فِي الشَّهَادَةِ وَالْغَيْبِ"، ثم يصر في كتابه على الجواب، لتأكيد الصلة والاعتراف بصدق العلاقة "فَإِنْ كُنْتَ نَجِدُ فِي نَفْسِكَ عَلَى قَوْلِي هَذَا شَاهِدًا صَدُوقًا، وَإِمَارَةً نَطُوقًا، فَعَرَفَنِي...".

وفي الختام يكون الناصح فيحذره من أخذ المشورة من غير أهلها، فيكون عرضة للحسد الحاسدين وحقن الحاقدين "وَاسْتَقْبَلْ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِالَّذِي أَرَشَدْتُكَ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَشِيرَ غَيْرَ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ بَعَرَضَ حَسَدٍ يَكُونُ عِقَالًا"^(٣) لحظك". وعلى أي حال تعكس رسالته المشاركة الوجدانية والعاطفية التي أبدىها المهلبي تجاه أبي الفضل.

(١) النقيبة: النفس والطبيعة، ورجل ميمون النقيبة: إي مبارك النفس، لسان العرب، مادة: (نقب).

(٢) الضريبة: الطبيعة والسجية. ، لسان العرب، مادة: (ضرب).

(٣) العقال: الرباط، لسان العرب، مادة: (عقل).

ويعلق الدكتور زكي مبارك على رسالة المُهَلَّبِيّ لأبي الفضل العباس بن الحسين بقوله: "هذا كلام أفصح من أن يحتاج إلى تعليق"^(١) ويصنفها في باب العتاب من النثر.

أما رسالته الثانية فقد كانت رداً على القاضي ابن خلاد، عندما كتب للوزير مهنناً بالوزارة، ولا يختلف مضمونها عن رسالته الأولى، يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَلِّ كِتَابُكَ يَا أَخِي _ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاعَكَ، وَأَدَامَ عِزَّكَ وَتَأْيِيدَكَ
وَتُعْمَاكَ _ الْمُتَّضَمُّنُ نَفِيسَ الْجَوَاهِرِ مِنْ بَحَارِ الْخَوَاطِرِ، الْحَاوِي ثِمَارَ الصِّقَاءِ
مِنْ مَنَبِتِ الْوَقَاءِ وَفِهِمُهُ، وَقَعَ مَا أَهْدَيْتُهُ مِنْ نَظْمٍ وَنَثْرٍ، وَخِطَابٍ وَشَعْرٍ،
مَوْقِعِ الرَّيِّ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ، وَالشِّقَاءِ مِنْ ذِي الْعِلَّةِ، وَالْفَوْزِ مِنْ ذِي الْخَيْبَةِ،
وَالْأَوْبِ مِنْ ذِي الْغَيْبَةِ، وَمَا ضَاعَتْ حَالٌ إِلَّا وَأَنْتَ الْأَوَّلَى بِسُرُورِهَا، وَالْأَغْبَطَ
بِحُبُورِهَا، إِذْ كُنْتَ شَرِيكَ النَّفْسِ فِي السَّرَّاءِ وَمَوَاسِيَهَا فِي الضَّرَّاءِ، وَتَكَفَّلْتَ
الْإِجَابَةَ عَمَّا نَظَّمْتَ عَلَى كَثْرَةِ مِنَ الشُّغْلِ إِلَّا عَنْكَ، وَزَهَدٍ فِي الْمَطَاوِلَةِ إِلَّا
فِيكَ. وَالْعُذْرُ فِي تَقْصِيرِهَا عَنِ الْغَايَةِ وَاضِحٌ، وَدَلِيلُ الْعَجَلَةِ فِيهَا لَائِحٌ، وَأَنْتَ
بِمَوَاصِلَتِي بِكَتَيْكَ وَأَخْبَارِكَ وَأَوْطَارِكَ مَسْئُولٌ، وَالْجَرِيُّ عَلَى عَادَتِكَ الْمَأْثُورَةُ
وَسِيرَتِكَ الْمَشْكُورَةُ مَأْمُولٌ، وَأَنَا وَاللَّهُ عَلَى أَفْضَلِ عَهْدِكَ، وَأَحْسَنَ ظَنِّكَ،
وَأَرْكَدُ ثِقَتَكَ، وَمُسْتَأَقُّ إِلَيْكَ"^(٢):

مَوَاسِيَهَا	سَعْيٍ وَمَجْهُودٌ وَسُعْيٍ لَا يُدَانِيهَا
لَكِنْ أَقْصَى الْمَدَى شُكْرِي لِأَنْعُمِهِ	وَيَلَاكَ أَفْضَلُ قُرْبَى عِنْدَ مُؤْتِيهَا
وَاللَّهُ أَسْأَلُ تَوْفِيقًا لِمَطَاعَتِهِ	حَتَّى يُوَافِقَ فِعْلِي أَمْرَهُ فِيهَا
وَقَدْ أَتَنَّنِي أَبْيَاتٌ مُهَدَّبَةٌ	ظَرِيفَةٌ جَزَلَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
ضَمَمْتُهَا حُسْنٌ أَوْصَافٍ وَتَهْنِئَةٍ	أَنْتَ الْمُهَلَّبِيُّ بِبَادِيهَا وَتَالِيهَا
وَدَعْوَةٌ صَدَرَتْ عَنْ نِيَّةٍ خَلَصَتْ	لَا شَكَّ فِيهَا أَجَابَ اللَّهُ دُعَايَهَا

(١) زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، المكتبة العصرية، بيروت، د ت،

ج ١، ص ٢٠٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٥-٦.

وَأَنْتَ أَوْثَقُ مَوْثُوقٍ بِنَيْتِهِ وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ حَالٍ تُرَجِّيهَِا
فَتِيقُ بِنَيْلِ الْمُنَى فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ أَصْبَحْتَ تَعْمُرُهَا عِنْدِي وَتَبْنِيهَِا

تميزت رسالة المهلبي هذه بالقصر والاختصار، فيذكر مباشرة بعد البسملة الهدف من وراء الرسالة، وإنها ردٌ على الرسالة التي وصلته من القاضي ابن خلاد يهنئه بالعودة إلى الوزارة. ويلمح المهلبي في رسالة إلى ميزات وخصائص رسالة ابن خلاد فيقول "وَصَلَّ كِتَابُكَ يَا أَخِي ... الْمُتَضَمَّنُ نَفِيسَ الْجَوَاهِرِ مِنْ بَحَارِ الْخَوَاطِرِ، الْحَاوِي ثَمَارَ الصَّفَاءِ مِنْ مَذِيبِ الْوَقَاءِ".

ويعترف في رسالته بمكانة رسالة ابن خلاد ويشيد بموقع أدب القاضي كله. من نظم ونثر وخطابٍ وشعر، فيصفه "وَوَقَعَ مَا أَهْدَيْتُهُ مِنْ نَظْمٍ وَنَثَرٍ، وَخَطَابٍ وَشَعْرٍ، مَوْقِعَ الرَّيِّ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ، وَالشِّفَاءِ مِنْ ذِي الْعِلَّةِ، وَالْفَوْزِ مِنْ ذِي الْخَيْبَةِ، وَالْأَوْبِ مِنْ ذِي الْغَيْبَةِ".

ورغم أنه يوجه رسالته هذه إلى من هو أدنى منه منزلة اجتماعية، إلا أنه يلتزم اللباقة في مخاطبته، فيعترض مقدمة الرسالة بالدعاء للمرسل إليه "أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ، وَأَدَامَ عِزَّكَ وَتَأْيِيدَكَ وَنُعْمَاكَ". ويلح على إظهار علاقته بصديقه القاضي وما بينهما من ود، في كل كلمة من كلمات الرسالة فاصلة أن رسالة القاضي جاءت بعد نكبة المقارع التي أصيب بها المهلبي "بِمَا كَانَ يَعْانِي مِنْ حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ سَيِّئَةٍ نَتِيجَةً لَذَلِكَ، فَيَقُولُ: "وَمَا ضَاعَتْ حَالٌ إِلَّا وَأَنْتَ الْأَوَّلَى بِسُرُورِهَا، وَالْأَغْبَطُ بِخُبُورِهَا، إِذْ كُنْتَ شَرِيكَ النَّفْسِ فِي السَّرَّاءِ وَمَوَاسِيهَا فِي الضَّرَّاءِ".

وفي طي رسالة المهلبي اعتذار صريح لتقصيره وعدم وفائه له بحقه الذي يستحقه، ويُرجع أسباب هذا التقصير إلى العجالة والانشغال بأمور ضرورية، فيقول: "وَتَكَثَّرَتِ الْإِجَابَةُ عَمَّا نَظَّمْتَ عَلَى كَثَرَةِ مِنَ الشُّغْلِ إِلَّا عَنْكَ، وَزُهِدٍ فِي الْمُطَاوَلَةِ إِلَّا فِيكَ. وَالْعُذْرُ فِي تَقْصِيرِهَا عَنِ الْغَايَةِ وَاضِحٌ، وَدَلِيلُ الْعَجَلَةِ فِيهَا لِأَيْحَ". وهذه العجالة وهذا الانشغال لم يعطه مجالا كافيا ليعبر عما يحسه تجاه القاضي.

ثم يستوحي الشعر في رسائله استيحاءً موفقاً، وهي سمة بارزة عنده، فيختم المُهلبيّ رسالته بأبياتٍ شعرية لا يختلف مضمونها عن مضمون الرسالة نفسها، فيقول فيها إنّ الوزارة هي هبة من الله، ويدعوهُ أن يوفقه في عمله، ويصف الأبيات التي وصلتته من القاضي ابن خلاد بأنها أبياتٌ رقيقة وجزلة، وفيها حسن إبداع، ويقدر المُهلبيّ له ذلك، ويَعِدُهُ بتحقيق أمانيه وتقريبه منه لأنه يثق بنبيته ويراه أقرب الناس بعد النكبة التي أصابته.

التوقيعات:

جمع توقيع، ومعناه اللغوي: التأثير القليل الخفيف^(١)، ويراد بها التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها^(٢). وكان له نصيب في التوقيعات، ولم يصل إلينا الكثير من توقيعات المُهلبيّ، وربما ضاعت ضمن ما ضاع من أدبه، ولم يصل إلينا إلا هذا النزر القليل مبعثراً في كتب الأدب والأخبار، وقد جمع صلاح جرار ومحمد محمود الدروبي توقيعات الوزير المُهلبيّ، في كتاب "جمهرة توقيعات العرب"^(٣). وقد تكون التوقيعات "آية قرآنية ... وقد تكون حديثاً نبوياً، أو قولاً مأثوراً لبعض المشهورين، أو حكمة أو مثلاً، أو بيتاً من الشعر أو شطراً منه على حسب ما يرى الموقع أن يقتبس من هذه المصادر"^(٤). فقد كانت توقيعات المُهلبيّ مختلفة استخدم فيها ثقافته المتنوعة ومهارته العقلية فيها من: الآيات القرآنية التي وقع فيها لسانه القديم ليؤكد بها رده للجميل أضعافاً مضاعفة لكرمه، قال تعالى: **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ**^(٥).

(١) محمود المقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب، دار الفكر، دمشق، ١٤١٣هـ —
١٤١٤م، ص ٣٩٦.

(٢) محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، المطبعة الفنية الحديثة، مصر،
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص ٩٩.

(٣) محمد محمود الدروبي وصلاح جرار، جمهرة توقيعات العرب، ج ٢، ص ٣٦٧ - ٣٦٩.

(٤) محمود المقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب، ص ٤٠١.

(٥) سورة البقرة، آية ٢٦١.

ووقع بأبيات من الشعر يقول فيها ^(١) :	وَرَثَى لَطُولَ تَحَرُّقِي
وَأَنَا لَنِي مَا أَرْتَجِي	وَأَجَادَ مِمَّا أَتَّقِي
فَلَأَصْفَحْ عَمَّا أَتَا	هُ مِنْ الدُّنُوبِ السُّبْقِ
حَتَّى جَنَائِزِهِ بِمَا	فَعَلَ الْمَشْـيِبُ بِمَفَرَّقِي

ومن أهم خصائص التوقيعات الإيجاز والبلاغة،^(٢) فهذا النوع من الكلام مما عدلوا فيه عن التّطويل والتّكرار إلى الإيجاز والاختصار^(٣)، فهو يُلخص في بعض كلمات ما يُروى في سطور، فيقول في توقيعه على كتاب الفئائي^(٤) الذي استتر منه عدة أيام ثم كتب بسبب استتاره، "وقع المَهْلَبِيّ بخطه على ظهر الكتاب: أحسنَ الله إليك، كما أحسنَ توفيقك، فلتسكن نفسك، فإني عونك، ومن ورائك، إن شاء الله"^(٥). فكان موفقا في استخدام هذا التوقيع ليعبر به عن عفوه عنه وتأنيده له. ويمكن أن نقول أن توقيعه هذا تعليق على بعض الأمور، دون أن يظهر مهارته الأدبية وقدرته الفنية، ولعل ذلك لانشغاله في الأعمال الرسمية.

وقد تكون توقيعاته عبارات نثرية غاية في دقة التعبير، تعتمد التصوير والإيقاع، "كالتّي وقع بها في رقعة لأبي علي الحامي: قرأت هذه السّرّعة التي هي أدقُّ من السّحر، وأرقُّ من دموع الهَجَر، وأطيبُ من الغنى بعد الفقر، وأدلُّ على فضلك من الصُّبح على الشمس، فمرحبا بها وبكاتيها، وما عليه لو يكون مكانها؟! "^(٦)

(١) ابن الدميّاطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) ج. ح. المقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب، ص ٣٦٧.

(٣) الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الدية، دار الثقافة، بيروت، ص ١٦٠.

(٤) أبو قرّة الحسين بن محمد الفئائي الكاتب، محمد محمود الدروبي وصلاح جرار، جمهرة توقيعات العرب، ج ٢، ص ٣٦٧.

(٥) المرجع ذاته، ج ٢، ص ٣٦٧.

(٦) المرجع ذاته، ج ٢، ص ٣٦٧.

المفصل:

والمفصل^(١): أي فصلت الوشاح إذا كان نظمه مقصلاً بأن يجعل بين كل لؤلؤتين مرجانة أو شذرة أوجهرة تفصل بين كل اثنتين من لون واحد^(٢)، ونرى أن الثعالبي يوردها على أنها فصول للمهلبى مردفة بأبيات الشعر^(٣)؛ أي يعرض المهلبى عباراته النثرية وحكمته المسجوعة والمحكمة، ثم ينظم أبياتاً شعرية تحمل المعنى نفسه، بينما سماه الكلاعي بالمفصل فيقول: "وسمينا هذا النوع من البيان بالمفصل لأنه فصل فيه المنظوم بالمنثور، فجاء كالوشاح المفصل ونظير ذلك قول أبي محمد المهلبى:"^(٤) فصل: رأيته فصيح الإشارة، لطيف العبارة:

إذا اختصر المعنى فشربة حائم وإن رام إسهاباً أتى الفيض بالمد

فصل: قد عمهم بنعمه، وغمهم بشيمه:

وغازاهم بسوابغ^(٥) من فضله جعلت جماعهم بطائن نعله

فصل: قد اغتيل كميته، واجتبح عريته:

ودارت عليه رحي وقعة تظل الحجارة فيها طحينا

فصل: إنه جريح سيفك، وطريح حيفك:

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل: ربما وفي ضنين، وهفا أمين:

فلنر جل الوفي جميل وفائه وللناصح الهافي جميل التجاوز

ولقد تجلت في هذا المفصل قدرته الفنية وهي سمة بارزة عنده .

(١) المصطلح، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٦٣٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصل)

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٧.

(٤) الكلاعي، إحكام صناعة الكلام، ص ١٤٤.

(٥) السوابغ: النعم والعطايا، والسابغة: الدرع، لسان العرب، مادة (سبغ)

الفصل الثالث

الخصائص الفنية في أدب الوزير المهلبيّ

أولاً: خصائص شعره

بناء القصيدة:

أشرنا فيما تقدم إلى أن ما وصلنا من شعر المهلبيّ قد جاء على صورة مقطوعات قصيرة، نجد بعضها مبثوثة في طيات كتب الأدب والتراجم التي بين أيدينا، على الرغم من أن ثقافته الأدبية التي أنتجت هذه المقطوعات القصيرة، لا تعجز عن نظم قصائد طويلة، فللمهلبّي سبعة عشر بيتاً^(١) من "قصيدة طويلة في أول كل بيت وآخره ضاد معجمة"^(٢)، ولم يحدد طول القصيدة.

إن أطول مقطوعة عنده لا تتجاوز هذه القصيدة، وأكثر أشعاره التي وصلت إلينا، تتكون من بيت أو بيتين أو ثلاثة، نظمها في موضوعات مختلفة ومنوعة، لذا فشعره يخلو من المقدمات التقليدية، وبسبب ما تتميز به من قصر، ويمكن أن نرُد ذلك إلى طبيعة المناسبات التي نظم فيها شعره وظروف نظمه، فإما أن ينظمها ارتجالاً دون تحضير مسبق، وهذه الحالة في شعره كثيرة منها: ما يذكره النعالي عن قول صاحب عن الوزير المهلبيّ حين "يقول فعمل بيتين صنعا في الوقت"^(٣) وكقول المهلبيّ في الحال لخدمه (سلاف): بل غن:

لَمْ يَنْمَ لَيْلِي وَلَمْ أَنْمِ

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ خَدَمِي

(١) المستدرک علی شعر المهلبی، المقطوعة رقم (٨) .

(٢) أیدمر، الدر الفريد وبيت القصید، ج ١، ورقة ٣٨.

(٣) النعالي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٣.

غَنَني مِنْ شَعَرِ ذِي حَكَمٍ يا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ^(١)

وكذا فعل عندما أَسْتَحْسِنُ صوتاً: "أَخَذَ الْمُهْلَبِيُّ الدَّوَاةَ وَكَتَبَ فِي الْحَالِ"^(٢) بَيْتَيْنِ لَهُ، أَوْ فِي لَحْظَةِ شَعُورِيَّةٍ تَكْشِفُ عَنْ بَيْتٍ أَوْ بَيْتَيْنِ يَنْظُمُهُمَا مُعْبِرٌ عَنْهَا كَقَوْلِهِ فِي كَلَّةٍ قَصَبٍ^(٣) نَصَبَتْ لَهُ فِي دَارِهِ بِالْأَهْوَازِ، حَرَكْتُهَا الرِّيحُ، فَاسْتَحْسِنَ ذَلِكَ، وَقَالَ:

رَأَيْتُ مَرَّ الْهَوَاءِ (عَلَيْهَا)^(٤)

فَقَسِمْتُ مِنْهَا اخْتِلَاسُ لِحْظٍ وَخَلْتُ فِيهَا وَجِيبُ قَلْبٍ^(٥)

وأرى سبباً آخر لهذه القلة وهو طبيعة عمله وانشغاله بأعمال فرضتها عليه الظروف السياسية كوزير لمعز الدولة البويهية، فلو فرضنا وجوده في ظروف أخرى، لتوقعنا أن أدبه بشكل عام سيكون أكثر غزارة مما هو عليه، إذ كان عمله لا يعطيه الوقت الكافي للتأمل.

الألفاظ والأساليب:

تعتبر الكلمة من أهم الأركان الأساسية لأي عمل أدبي، وتحمل مكانه مرموقة في البناء الفني. والدارس لأشعار المهلب يستطيع أن يلاحظ أن ألفاظه بصورة عامة، كانت سهلة وبسيطة وخالية من التكلف، ويبرز

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ٢٧٣. أنشدهما رداً على سلاف المغني، إذ غنى له سلاف بيت أبي نواس:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

(٢) التتويحي، نشوار المحاضرة، ج٧، ص ١١٥.

(٣) الكلة (بكسر الكاف): غشاء رقيق يتوقى به من البعوض، وهذا اسمها في العراق، وقد تسمى في بلاد عربية أخرى بالناموسية، وكلة القصب: التي تتخذ من عيدان القصب، التتويحي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص ٢٣٩.

(٤) فراغ في الأصل، التتويحي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص ٢٣٩.

(٥) المصدر ذاته، ج٨، ص ٢٣٩.

ابن معصوم أبياتاً له يضربها أمثلة على سهولة الألفاظ وخلوها من التعسف في السبك،^(١) كقوله:

قال لي من أحبُّ والبين قد جدَّ دَمْعِي مواصل لشهيقِي
ما الذي في الطَّرِيق تصنع بَعْدِي قَلْتُ أبكي عليك طول الطريق
وقوله أيضاً:

تصارمتُ الأجفانُ منذُ صرمتني فما تلتقي إلا على عبرةٍ تجري
فهي تميل إلى الرقة والعذوبة، ولاسيما ألفاظه في الغزل ووصف الخمر؛ لأنه كان يعبر عما في نفسه من عواطف رقيقة، ويرى الأستاذ الشايب أن "الغزل أسلوباً يمتاز بالرقّة واللين والسهولة في غير ابتذال"،^(٢) كقوله في الغزل:

فلو آذاهُ نظري طمسُهُ ولو سقاني أجلي شربُهُ^(٣)
وقال أيضاً:

ويَحْ نَفْسِي مِنْ لَوْعَةِ الْإِشْتِياقِ ورَسِيسِ الْهُوى وَوَشْكِ الْفِرَاقِ^(٤)
جَلَّ ما بي حتَّى لقد علِمَ النَّا سُبَّانِي أَطَقْتُ غيرَ الْمُطاقِ
مَنْ عَذِيرِي مِمَّنْ به ظَلَّ عَشْقِي مَثَلًا بَيْنَ سائِرِ الْعُشَّاقِ
حَازَ رَقِّي بِوَرْدِ خَدَّيْهِ لَمَّا أَنْ بَدَا فِي مُورَدَاتِ رِقَاقِ^(٥)

وثمة ملاحظة في شعر المهلبّي وهي استعماله لبعض التعبيرات اليومية والأقوال الشائعة في مثل قوله: "ذوب الملح في الماء" في قوله:

-
- (١) ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر، مطبعة مطبوع، النجف، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ج ٦، ص ٢٧٣.
- (٢) أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، ط ٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ٨٥.
- (٣) الراغب الاصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء، ج ٣، ص ٨٦.
- (٤) نزار و الرّئيس: أول الحمى، لسان العرب، مادة (ررس).
- (٥) السري الرفاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج ١، ص ٣٠٥.

حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتَهُ ذَبْتَ فِي يَدِيهِ نَوْبَ الْمَلْحِ فِي الْمَاءِ^(١)

و"المال عز" في قوله:

الْمَالُ عِزُّ مَنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُهُ حَيًّا كَمَنْ مَاتَ إِلَّا أَنَّهُ صَنَمٌ^(٢)

وقوله: "ياحياتي":

يَا عَرُوسًا زُفْتُ إِلَيَّ فَأَهْدِي نَ إِلَيْهَا رَقِي مَكَانَ الْمُهِوَرِ

بِالْتَمَلِّي وَبِالرَّجَا وَالسَّرُورِ يَا حَيَاتِي وَالْمَنْزِلَ الْمَعْمُورِ

قَدْ لَعْمَرِي وَفَيْتَ لِي وَسَاجِزِي كَ وَفَاءً بِالْشَرْطِ بَعْدَ النُّزُورِ^(٣)

بل إنه طَعَّمَ شعره بالألفاظ الفارسية التي دخلت إلى العربية واندست فيها، وأمثلة هذا ما ورد في أبياته من ألفاظ فارسية:

الكافور^(٤) في مثل قوله:

أَقَاتَلْتَنِي بَانَكْسَارِ الْجَفُونِ وَمُسْتَوْفِزِينَ عَلَى مَعْصَرِ

كَحَقِيقِينَ مِنْ لَبِّ كَافُورَةٍ بِرَأْسَيْهِمَا نَقَطَتَا عَنْبَرٌ^(٥)

والمسك^(٦)، في قوله:

(١) الثعالب، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٢) الأبرار، الدر الفريد وبيت القصيد، ج ٢، ورقة ٢٣٢.

(٣) الثعالب، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٤) كافور: نبت طيب يكون من شجرة يشبه الريحان والبابونج، ينبت في جبال بحر الهند والصين، خشبه أبيض هش خفيف، ويوجد في أجوافه الكافور والكلمة هندية الأصل "كابور". ولونه أبيض، وفي التنزيل "كان مزاجها كافورا"، محمد ألتونجي، معجم المعربات الفارسية في اللغة العربية منذ بواكير العصر الجاهلي، حرف الكاف، ص ٣١.

(٥) الثعالب، أحسن ما سمعت (اللائق والدر)، شرحه وضبطه عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٠٣.

(٦) هندية الأصل، وفي التنزيل "وختامه مسك"، معرب "مشك"، طيب يستخرج من دم شحزال ذو لون أسود، محمد ألتونجي، معجم المعربات الفارسية في اللغة العربية منذ بواكير العصر الجاهلي، حرف الميم، ص ١٤٥.

بنفسجٍ بذكي المِسكِ مخصوصٌ ما في زَمَانِكَ إذ وافاهُ تنغيصٌ^(١)

والنرجس^(٢)، في قوله:

كأئِما النُّرجس في روضِهِ إذا أئتئهُ الرِّيحُ مِنْ قُربِ

أقداحٍ ياقوتٍ تعاطيَنها أناملٌ من لؤلؤٍ رطبٍ^(٣)

والسندس^(٤)، المَوْزَج^(٥)، اللّاذة^(٦) أيضاً في أبيات ذكرناها سابقاً.

ونسطيع أن نلاحظ أيضاً أن المُهَلِّيَّ قد استوحى ألفاظه من مصادر أخرى، كمظاهر الترف والغنى الفاحش، ومما عرف من الأحجار الكريمة في زمانه كالياقوت^(٧) واللؤلؤ، ومظاهر الطبيعة وجمالها، فيجتمع ذلك في قول المُهَلِّيَّ في الورد:

قَرّاحٌ وردٌ مَوْنَقٌ نبئُهُ بالحُسْنِ والبهجةِ منعوتٌ

مُبِيضَةٌ فيه ومُحْمَرَةٌ كأنهُ درٌّ وياقوتٌ^(٨)

إلا إننا نجد أن ابن سنان الخفاجي يعيب على المُهَلِّيَّ استعماله في شعره ألفاظ أصحاب المهن والصناعات، وعدّ ذلك من أسباب عدم الفصاحة وفقدان البلاغة، وإنه لا يليق استعمالها في الشعر، يقول: "وكان أصحابنا إذا سمعوا قول المُهَلِّيَّ:

(١) السري الرفاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج ٣، ص ٨٧.

(٢) من الرياحين، تشبه به الأعين لذبوله، معرب "تركس"، معجم المعربات الفارسية، حرف النون، ص ١٥١.

(٣) المنشئ الإربلي، بهاء الدين، التذكرة الفخرية، ص ٢٧٤.

(٤) السندس: ضرب من الثياب خضر من القز، رقيق الديباج، معجم المعربات الفارسية، حرف السين، ص ١٠٣.

(٥) المَوْزَج: الخف طويل الساق، معرب "موزة" ثم حولت الهاء إلى جيم، في الحديث "امرأة نزلت مَوْزَجُها فسقت به كلباً"، معجم المعربات الفارسية، حرف الميم، ص ١٤٨.

(٦) ثوب حرير أحمر، معرب "لاد"، معجم المعربات الفارسية، حرف اللام، ص ١٤٠.

(٧) السياقوت: الحجر الثمين، وفي التنزيل "كانهن السياقوت والمرجان" معجم المعربات الفارسية، حرف الياء، ص ٢٠٠.

(٨) السري الرفاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج ٣، ص ٩٠.

يا مَنْ له رُتَبٌ مُمَكَّنٌ ————— نَهْ القَوَاعِدِ مِنْ فُؤَادِي

قالوا: هذا يصلح أن يكون شعر بئاء.^(١) وهذا ما ذهب إليه القرطاجي حين قال يجب على الشاعر "ألا يستعمل شيئاً منها لأن استعمالها في الشعر أشد قبحاً من استعمال الألفاظ الساقطة المبتذلة"^(٢)، لكنه يسمح باستعمالها في الشعر في حالة وصفه للأشياء المادية يقول: "أما إذا كان غرض الشعر مبنياً على وصف أشياء علمية أو صناعية ومحاكاتها والتخييل في شيء منها، فايراد تلك المعاني والعبارات غير معيب في ذلك الغرض، لأن للشاعر أن يحاكي شيئاً من الموجودات ويخيل في واحد واحد منها ما تميل إليه النفوس أو تنفر عنه"^(٣) وحتى هذا التبرير لم يبرر استعمال المهلبي لهذه الألفاظ لأن البيت يتبعه بيت آخر وهو:

أَحِلُّ أَخْذُ الْمَاءِ مِنْ مُتْلَهَّبِ الْأَحْشَاءِ صَادِي^(٤)

ومن معنى البيتين نرى أنهما يعبران عن مدى تمكن الحب من صاحبنا لدرجة حاجته الماسة له كحاجة الظامئ للماء، واستتكار أخذ الماء منه، ولا علاقة لذلك بالبناء وصناعته.

ونحن نتحدث عن الألفاظ، لا بد أن نبين أننا نرى في شعره مظاهر مختلفة من مثل: الحوار والمبالغة، ونستطيع أن نجد المبالغة في قوله حين يصور ما وصل إليه من المنزلة الرفيعة العالية عندما تقلد الوزارة إلى درجة بلوغه الشمس ونصب نفسه ملك الدنيا وما فيها.

ومن ناحية أخرى يبالغ في تصوير درجة شكواه من حالة الفقر التي وصل إليها، وذمه الدنيا وكرهه لها، ويرى أنه يشتري الموت لو كان يباع، ومهما يكن من أمر فالإنسان المسلم لا يتمنى الموت أو يطلبه بهذه الصورة، ويقول:

(١) أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده، القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ص ١٦١.

(٢) أبو الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق الحبيب ابن الخوجة، ط ٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٨٩.

(٣) المرجع ذاته، ص ١٩٠.

(٤) الصدى: العطش الشديد، ورجل صَدِرَ وصَدَيَانِ عطشان، لسان العرب، مادة (صدى).

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فاشْتَرِيهِ
أَلَا مَوْتُ لَذِيذُ الطَّعْمِ يَأْتِي
إِذَا أَبْصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ
أَلَا رَحِمَ الْمُهَيِّمِ نَفْسَ حُرٍ
فَهَذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ
يُخْلِصُنِي مِنَ الْعَيْشِ الْكَرِيهِ
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّنِي مِمَّا يَلِيهِ
تَصَدَّقَ بِالْوَفَاءِ عَلَى أَخِيهِ^(١)

هذا وقد بالغ في تصوير جمال الغلام التركي ورقته الذي يشبه
العداري إلى درجة أنه غيّر في تركيبة جسده، فيقول:

ظَبْيٌ يَرُقُّ الْمَاءَ فِي
وَيَكَادُ مَنْ شَبِهَ الْعَادَا
وَجَنَاتُهُ وَيَرُقُّ عَوْدُهُ
رِي فِيهِ أَنْ تَبْدُو تُهُودُهُ^(٢)

أما الحوار فمن مثل:

أَمِيلِي يَا أَخِي وَقَسِّمِ نَفْسِي
وَيَسْأَلُو سَلْوَةً مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ
وَأَقْسِمُ بِالْعِنَاقِ وَتِلْكَ أَشْفَى
لَقَدْ أَلْصَقْتَ بِي طَلَبًا قَبِيحًا
يُقَارِقُ عَهْدَهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ؟
وَيَسْأَلُهُ الشَّقِيقُ إِلَى الشَّقَاقِ
وَأَوْقَى مِنْ يَمِينِي بِالْعِتَاقِ
تَجَافَى جَانِبَاهُ عَنِ التَّصَاقِ^(٣)

وحوار آخر يعقده خلال أبياته فيقول:

قَالَ لِي مَنْ أَحِبُّ وَالْبَيْنُ قَدْ جَا
مِمَّا الَّذِي فِي الطَّرِيقِ تَصْنَعُ بَعْدِي؟
سَدَّ وَفِي مَهْجَتِي لَهَيْبُ الْحَرِيقِ
قُلْتُ: أَبْكِي عَلَيْكَ طَوْلَ الطَّرِيقِ^(٤)

واستخدم شاعرنا بعض العبارات والأساليب اللغوية ومن ذلك
استعمل (و، أو، رب) كما في قوله:

وَقَلْبِي شَدِيدٌ لَا يَلِينُ لَخَلَّةٍ
وَلَا يَتَلَفَاهُ الرُّقَى وَالْتَلَطُفُ^(٥)

وقوله:

(١) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ص ٣٤٥-٣٥٥.

(٢) المكي الحسيني، نزهة الجليس، ج ٢، ص ٩١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٧١.

(٤) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٥.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٧.

لَأَصْنَحَ مَقْجُوعاً بِقَيْضِ بَنَانِي

تَعْمُ ذَوِي الْإِخْلَاصِ وَالشَّانَانِ^(١)

وَذِي حَسَدٍ وَلَوْ حَلَّ بِي مَا يَرِيدُهُ

وَلَمْ أُعْطِهِ جَهْلاً وَلَكِنْ سَحَائِبِي

وقوله:

وَخَلَعْتُ الْعُذَارَ وَالْعَدَلَ عَنِّي

وَيَجْنِي سُرُورَهُ مِنْ (تَجَنِّي)

رَبِّ لَيْلٍ لَبَسْتُ فِيهِ التَّصَابِي

فِي مَحَلٍّ تَحْلُهُ لَدَّةُ الْعَيْشِ

كما استخدم الأسلوب الإنشائي الطلبي مثل: النداء والأمر، ومن

النداء الذي يفيد الشكوى عنده كما في قوله :

وَهَزَاراً يَشْدُو فَيَزْدَادُ عَشْقِي

كَذَبَ النَّاسُ أَنْتَ مَا لَكَ رَقِي^(٢)

يَا هَيْلَالاً يَبْدُو فَيَزْدَادُ شَوْقِي

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ رَقِّكَ مُلْكِي

وقوله:

طَرَحَ السُّؤَالَ عَنِ الدَّوَاءِ

ءَ فَهَلْ تَعِيشُ بِلَا غِذَاءٍ؟^(٣)

يَا عَارِفاً بِالِدَاءِ مَطَّ

الْعِلْمُ عِنْدِي كَالْغِذَا

وقوله:

لَمْ يَنْتَ لَيْلِي وَلَمْ أَنْمِ^(٤)

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ خَدَمِي

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى بلاغي وهو هنا يفيد

المرحبة بكقوله:

خَيْرَا كَأَنَّكَ وَالْأَيَّامَ لَمْ تَكُنْ

يَلْقَاكَ رَبُّكَ يَوْمَ الْبَعْثِ بِالْحَسَنِ^(٥)

يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ الْغُصَيَانِ وَاعْتَنِمِي

يَا نَفْسُ وَيَحْكُ ثُوبِي وَاعْمَلِي حَسناً

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٢) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ١٤٥.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٤) المصدر ذاته، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٥) أيدمر، الدر الفريد وبيت القصيد، ج ٥، ورقة ٤٧٤.

كما استخدم أسلوب الأمر، وقد خرج عن معناه الأصلي وهو هنا للنصح والإرشاد في قوله:

فاجعلْ عبيدَكَ أوتاداً مُشَجَّجَةً لا يَثْبُتُ البيتُ حَتَّى يُقَرَعَ الوتدُ^(١)

وقوله:

أَلَسِنُ أَخَاكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ واحفظْ مودَّتَه بالغَيْبِ مَا وَصَلَا
فأطولُ النَّاسِ غَمًّا مَنْ يُرِيدُ أَخَا ذَا خُلَّةٍ لَا يَرَى فِي وَدِّهِ خُلَا^(٢)

وبراعة المهلبي وبلاغته واضحة في رده على الكتب التي تصله من الكتاب والأدباء، فيورد الألفاظ المناسبة للتخلص إلى الغرض من الكتاب بأبيات شعرية، وهذا من ضروب إحكام صناعة الكلام، يعلق الكلاعي على ذلك فيقول "وربما نظموا هذا المعنى، قال المهلبي :

طلعَ الفجرُ من كتابِكَ عندي فمتى باللقاء يبدو الصباح؟^(٣)

المحسنات البديعية

ولابد أن نبين أن المهلبي أيضاً أكثر من المحسنات اللفظية والبديعية، كما هو الحال في أدب عصره: "التأنق الشديد في الأسلوب مصدره الإسراف في استعمال السجع والمحسنات البديعية"^(٤). فأكثر من الجناس وانطباق والسجع وما إلى ذلك، مما يمنح أبياته النغمة الموسيقية.

فقد جانس جناساً تاماً كما في قوله في غلام له جرب بين كلمتي "حَب" و"حُب" في قوله:

دبَّ في كفيكَ يا مَنْ حبه ربِّي بقلبي

(١) الثعالبي، المنتحل، ص ١٤٥.

(٢) الوشاء، أبو الطيب، الموشى (الظرف والظرفاء)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٩.

(٣) الكلاعي، إحكام صناعة الكلام، ص ٧٩.

(٤) محمود غناوي، الأدب في ظل بني بويه، ص ٢٩٢.

- فهو يشكو حَرَّ حَبٍّ واشتكائي حَرَّ حُبٍّ^(١)
- وبين "معاد" و"معاده" في قوله:
وَأَن لَّمِيتْ مِنْ مَّعَادٍ مَّعَادِهِ وَغَصَنَ جَفَاهُ الشَّرْبُ أَنْ يُتَعَهَّدَا^(٢)
- وبين "بَعْدَ" و"بُعْدَ" وبين "الشَّقِيقَ" و"الشَّقَاقَ" في قوله:
وَيَسْأَلُو سَلْوَةً مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ وَيَنْسُبُهُ الشَّقِيقُ إِلَى الشَّقَاقِ^(٣)
- وبين "رِيًّا" و"رِيًّا" في قوله:
وَتَلَوْتُ عَمِّي فِي تَغْزَلِهِ وَشَرِبْتُ رِيًّا مِنْ هَوَى رِيًّا^(٤)
- ومن الجناس الناقص الذي أعطى معاني شاعرنا الجمال في كلمتي
"يجني" و"تجني" كما في قوله :
فِي مَحَلِّ تَحْلِهِ لَذَّةُ الْعَيْشِ وَيَجْنِي سُرُورَهُ مِنْ (تَجْنِي)
- وبين "ملسوع" و"مسموع" في قوله في وصف الخمر:
الْبَرَّاحُ بِرِيَّاقٍ لِسَمِّ الْهَمِّ فِي حَكَمٍ مِنَ الْمَعْقُولِ وَالْمَسْمُوعِ
وَالْهَمُّ يَلْسَعُنِي فَهَلْ مِنْ مَسْلَمٍ يَسْخُو بِبَرِّيَّاقٍ عَلَى الْمَلْسُوعِ^(٥)
- كما جانس بين "خماري" و "مخمور" في قوله:
رَبِّ يَوْمٍ قَطَعْتَ فِيهِ خَمَارِي بِغِزَالٍ كَأَنَّهُ مُخْمُورٌ^(٦)

(١) شعر الخاقاني، شعر الوزير المهلبي، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، ص ١٥٠.

(٢) الكلاعي، إحكام صناعة الكلام، ص ١٤٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٧١.

(٤) المكي الحسيني الموسوي، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، ج ٢، ص ٩٢.

(٥) الباخريزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص ٢٢٣.

(٦) التعلابي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨١.

أما إذا ذهبنا إلى الطباق فإننا نجده يحققه في الداني والنائي في قوله:

يَنَـأى فَأَشْتَـطْ وَأَنـوِي لَهُ تَتَقَصُّ الدَّانِي عَلَى النَّائِي^(١)

وفي الشَّيب والشَّباب في قوله:

لَقَدْ وَاظَبْتُ نَفْسِي عَلَى الْحَبِّ فِي الْهُوَى بِإِنْسَانَةٍ تَرَعَى الْهُوَى وَتَوَاطَبُ
صَفَا لِي مِنْهَا الْعَيْشُ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ كَمَا كَانَ يَصْفُو وَالشَّابُّ مُصَاحِبُ^(٢)

وفي أَذَلَّلْتَهُمْ وَأَكْرَمْتَهُمْ وفي صَلَحُوا وَفَسَدُوا في قوله:

إِن الْعَبِيدَ إِذَا أَذَلَّلْتَهُمْ صَلَحُوا عَلَى الْهُوَانِ وَإِنْ أَكْرَمْتَهُمْ فَسَدُوا^(٣)

وقوله بَادِيهَا وَتَالِيهَا

ضَمَّنَتْهَا حُسْنَ أَوْصَافٍ وَتَهْنِئَةٍ أَنْتَ الْمُهْنِيُّ بِبَادِيهَا وَتَالِيهَا^(٤)

وفي سَرِّي وَجَهْرِي:

أَلَا يَا مُنَى نَفْسِي وَإِنْ كُنْتَ حَتَفَهَا وَمَعْنَايَ فِي سَرِّي وَمَغْزَايَ فِي جَهْرِي

وفي فَرَحٌ وَهُمْ وَيُحْمَدُ وَيُذَمُّ في قوله:

أَلَمْ يَكُنِ الطُّفِيفُ الْمُلَمُّ فَرَحٌ يَتَلَوُّهُ هَمُّ

فَلَمْ يَكُنِ يُحْمَدُ أَمَرٌ لَيْسَ فِيهِ مَا يَذَمُّ^(٥)

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص ٢٨٣.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص ص ٢٨٠-٢٨١.

(٣) الثعالبي، المنتحل، ص ١٤٤.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص ٥.

(٥) الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج٣، ص ١٢٧.

الموسيقى الشعرية:

الوزن من أهم أركان الشعر، "وأولها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة"^(١) والوزن "أخص ميزات الشعر، وأبينها في أسلوبه"^(٢) يعتمد على تقسيم البيت إلى وحدات الموسيقى أو مقاطع صوتية وهي الأسباب والأوتاد^(٣).

والشاعر يستطيع أن يؤثر في نفوس السامعين تبعاً لمقدرته الفنية وإثبات المقدرة الفنية عند المهلبي، نرى في أشعاره شيئاً منها: فهو يقابل في المعنى بين الشطر الأول والثاني إضافة إلى تساوي الوزن في الشطرين بما يسمى التوازي في البيت الواحد كقوله:

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه ومَنْ مَوْتُهُ إن دَامَ سَخَطُكَ حَائِنٌ^(٤)

وكقوله:

الوردُ بين مضمخ ومضرج والزهرُ بين مكَلَّلٍ ومُتَوَجٍّ^(٥)

ويكون حريصاً في شعره أيضاً على التناغم كما في قوله:

إِنَّمَا الطَّيْفُ الْمُلَمُّ فَرَحٌ يَتَلَوُّهُ هَمُّ
قَلَمٌ يُحْمَدُ أَمْرٌ لَيْسَ فِيهِ مَا يَنْزَمُ^(٦)

(١) ابن رشيق القيرواني، العمدة في نقد الشعر، ص ١٢٠.

(٢) أحمد الشايب، الأسلوب، ص ٦٥.

(٣) أسباب: مقاطع صوتية مكونة من حرفين: متحرك فساكن، الأوتاد: مقاطع صوتية مكونة من ثلاثة حروف: متحركين فساكن، محمد عبد المنعم خفاجي، البناء الفني للقصيدة العربية، مكتبة القاهرة، دت، ص ٣٤١.

(٤) النُّعَالِي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٦، الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص ١٤٦.

(٥) النُّعَالِي، من غاب عنه المطرب، ص ٧٥.

(٦) الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج ٣، ص ١٢٧.

ونرى أن شاعرنا نظم شعرةً على بحور الشعر العربي المعروفة، غير أنه مال إلى البحور الطويلة الممتدة ذات السير البطيء، وهي البحور الأكثر انتشاراً، "فأكثر أشعار العرب من الطويل والبسيط والكامل كما يدل عليه الاستقراء"^(١)، ولتأكيد ذلك قمت بإحصائية تتبعت فيها الأوزان الشعرية في مقطوعاته وقد كانت النتيجة على النحو التالي:

جدول بأوزان أشعار الوزير المَهَلَّبِي:

١- الأوزان الطويلة:

اسم البحر	الطويل	الكامل	الخفيف	الوافر	المنسرح	السرّيع	المتقارب	البحر	الرجل	المديد
عدد الأبيات	٥٤	٥٢	٥١	٤٠	١٤	١٣	١١	٣	٢	٢

٢- الأوزان القصيرة والمجزوءة:

اسم البحر	مجزوء الكامل	مجزوء الرمل	مخلع البسيط	مجزوء الوافر	المجث	مجزوء الخفيف
عدد الأبيات	٣٨	١٠	٥	٤	٢	١

نستطيع أن نلاحظ من هذا الإحصاء أن المَهَلَّبِي قال الشعر على أكثر بحوره، إلا أنه أكثر من استعمال البحور الطويلة وهي حسب كثرتها

(١) محمد عبد المنعم خفاجي، البناء الفني للقصيدة العربية، ص ٣٢٣.

بالترتيب: الطويل وهو يحتل المرتبة الأولى في شعره، والكامل والخفيف، ثم الوافر، فالمنسرح.

وأما الأوزان القصيرة والمجزوءات فقد استعملها في شعره أيضاً، وأكثرها حسب الترتيب: مجزوء الكامل، مجزوء الرمل. ولم يقل شيئاً في مجزوء الرجز.

ولأنَّ القافية "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية"،^(١) وهي "ظاهرة شعرية تصور المقطع الذي تنتهي به أبيات القصيدة".^(٢)

فلا بد من النظر إلى قوافي المهلبي، فنرى أنه لم ينظم في كل الحروف العربية، بل هناك حروف لا وجود لها في شعره.

ونلاحظ جرساً موسيقياً جميلاً رائعاً في قوافيه كـ "نور وشعور ونحور"، في قوله :

وفضضته فوجدته	ليلاً على صفحات نور
مثل السَّوَالفِ والحدود	البيض زينت بالشعور
بنظام لفظ كالثغور	وكالعقود على النحور
انزلته مني بمنزلة	القلوب من الصدور ^(٣)

وفي "رقيب" و"حبيب" و"قريب" في قوله:

أنساني في قميص اللاذ يسعى	عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت له: فديتك كيف هذا؟	بلا واش أتيت ولا رقيب
فقال: الشمس أهدت لي قميصاً	كلون الشمس في شفق الغروب
فتوبي والمدام ولون خدي	قريب من قريب من قريب ^(٤)

كما هي في "مخمور" و"منصور" و"صقور" في قوله:

(١) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ج ١، ص ١٥٥.

(٢) أحمد الشايب، الأسلوب، ص ٦٦.

(٣) النخعي، نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٤) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٦.

رُبَّ يَوْمٍ قَطَعْتَ فِيهِ خَمَارِي بَغْزَالٍ كَأَنَّهُ مَخْمُورٌ
وَمَصَادٍ سُرُخَتْ فِيهِ وَنَصْرٌ بَازِيَاذِي^(١) مَظْقَرٌ مَنْصُورٌ
بِصُقُورٍ مِثْلَ النُّجُومِ إِذَا انْقَضَ ضَتَّ عَصْفٍ كَأَنَّهُنَّ صُقُورٌ^(٢)

الصور والأخيلة:

الخيال: "محصور" في أبواب الاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز المرسل^(٣)، ويكون "في الشعر أشد قوة وأروع جمالا". وهي في النثر أميل إلى الإيضاح والإيجاز ثم التأثير أيضا^(٤)، وقد كان لمخيلة المهلب أثر في شعره.

ونستطيع أن نلمح في شعر الوزير استخدامه للخيال والصور الشعرية للتعبير عما في نفسه من عواطف ومشاعر وأفكار، معتمداً على أشكال البيان التي ذكرناها، ومن التشبيهات عنده التي تعتبر ثمرة مخيلته الصحيحة، كقوله في وصف صوت مغنية:

يُطَوِي دَجَى اللَّيْلِ بِالمَصَابِيحِ^(٥) يُطَوِي بِأَوْتَارِهَا الهمومُ كما

فهو يصور تلاشي همومه وأحزانه عند سماع صوت أوتارها، كما تتلاشى ظلمة الليل بنور المصابيح. ومن هذا القبيل أيضاً قوله في وصف الشمس:

مُشْرِقة لَيْسَ لَهَا حَاجِبٌ كَمَا بَوْتَقَةٌ أَحْمِيَتْ
يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ^(٦)

(١) نوع من الطيور

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨١.

(٣) أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٥١٢.

(٤) أحمد الشايب، الأسلوب، ص ٦٨.

(٥) الكتني، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٦، ديوان الشعر العربي، اختاره وقدم له علي أحمد سعيد (أدونيس)، الكتاب الثاني، ص ٣٤١.

(٦) الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتز، ط ٣، د ن، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، ص ١٦٥.

ونعت صاحب الطراز تشبيهه هذا فقال: "من لطيف التشبيه"^(١)، لما فيه من لطافة، تُظهر حسَّ الوزير الراقي اللطيف، وقد قعد من البلاغة والفصاحة مقعداً، وأجرى لسانه بهما، ويرى الجرجاني إن تشبيهه هذا يجمع بين الشكل وهيئة الحركة، أي أن تقتزن الهيئة بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون وغيرها^(٢). ويوضح هذا النوع من التشبيه بقوله "إن الذهب الذائب يتشكل بأشكال البوتقة فيستدير، وإذا كانت البوتقة على النار فإنه يتحرك فيها حركة على الحد الذي وصفت، وما في طبع الذهب من النعومة وفي أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم، يمنعه أن يقع في غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء، فيرتفع وسطه ارتفاعاً شديداً، ولكن جملة كأنها تتحرك بحركة واحدة، ويكون فيها من انبساط إلى الجوانب ثم انقباض إلى الوسط"^(٣). ويصنف السكاكي وجه الشبه في أبيات المهلبي هذه "من وجه التشبيه غير واحد لكنه في حكم الواحد، مستنداً إلى الحس"^(٤) فالشمس هنا شبهها بالبوتقة فيها ذهب ذائب، فالهيئة الحاصلة من الاستدارة مع صفاء اللون واتصال الحركة، والانبساط والانقباض تشبه هيئة الشمس إذا دقق الإنسان النظر فيها، فوجدها تؤدي الهيئتين .

ومن صورهِ المأخوذة من مظاهر بيئته الجميلة، كما في قوله:

شربنا غبوقاً والنجوم كأنها
نثار دنانير على أرض سندس^(٥)

لرب السُّرى بينها حينَ أعرضتْ
يواقيت تاج أو تحية نرجس^(٦)

(١) يحيى بن حمزة العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م، ج ١، ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) المرجع ذاته، ص ١٦٦.

(٤) السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٣٣٦.

(٥) ابن منظور صاحب لسان العرب، نثار الأزهار في الليل والنهار، دار مكتبة الحيلة، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ١٤١، الغبوق: الشرب بالعشى، شرب آخر النهار مقابل النوم، مادة (غبوق).

(٦) ابن منظور صاحب لسان العرب، نثار الأزهار في الليل والنهار، ص ١١٢.

ومن مظاهر البيئة التي يستخدمها في صورته أيضاً: الغيم والنجم في قوله:

وَيَوْمَ كَانَ الشَّمْسُ وَالْغَيْمُ ثَوْنَهَا حِجَابٌ بِهِ صَيَّرَتْ فَمَا يَتَّهَنُكَ

عَرُوسٌ بَدَتْ فِي زُرْقَةٍ مِنْ ثِيَابِهَا تَجَلَّلَهَا فِيهَا رِدَاءٌ مُمَسَّكَ^(١)

فيصور يوماً الشمس فيه غائبة خلف الغيم وكأن هذا الغيم حجاب لها يصونها ويحميها كالعروس التي بدت، يغطيها رداءً معطر بالمسك. وقوله أيضاً:

إِنْ كُنْتَ أَرْمَعْتَ الرَّحِيلَ فَإِنْ عَزَمِي فِي الرَّحِيلِ

أَوْ كُنْتَ قَاطِنَةً أَقْمَتُ وَإِنْ مَنَعْتَ لَذِيذَ سَوَلي

كَالنَّجْمِ يَصْنَحُ فِي الْمَسِيرِ وَلَا يَزُولُ لَدَى النُّزُولِ^(٢)

ويصور في هذه الأبيات ملازمته لمحبيته في حلها وترحالها، مثل النجم الذي يصحبك إذا عقدت على المسير ولا يتحرك عنك عند النزول.

ثم يستحضر الشهاب في صورته، فيقول:

وَكُلَّ أَنْ فَطَنَتْهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ وَكَأَنَّ نَقْدَ الْحَسِّ مِنْهُ يَقِينُ^(٣)

وقد تكون صورته مستوحاة من ثقافته اليومية، كذوبان الملح بالماء

كما هي في بيته هذا:

سَنَى فَأَشْتَطَّ وَأَنَوِي لَهُ تَنْقُصَ الدَانِي عَلَى النَّائِي^(٤)

حتى إذا أبصرته ثبت في يديه ذوب الملح في الماء

(١) تجلَّلَهَا: أي عمها وجلل الشيء تجليلاً، أي عم، لسان العرب، مادة (جلل). يقال:

مَسَّكَ الثَّوبَ وَمَسَّكَه: طَيَّبَهُ بِالْمَسكِ، وَثَوْبٌ مُمَسَّكٌ وَمُمَسَّوْكٌ، وَالْأَبْيَاتُ فِي يَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ، مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، ج ٣، ص ٧٢.

(٢) النعماني، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٣) الكلاعي، إحكام صناعة الكلام، ص ١٤٥.

(٤) أشتط: أبتعد، لسان العرب، مادة (شطط).

ونستطيع أن نقول إن المُهَلَّبِيَّ قد تَلَطَّف في تشبيهاته، وأضاف لصوره
صوراً جديدة، غير أن الأوصاف التقليدية التي درج عليها شعراء السلف
ظلت غالبية على شعره، وظل القاموس الذي يعود إليه وخاصة ساعة تغزله
وفي غزله يشبه وجه الحبيب بالبدر والشمس والغزال، والغصن، وهي
صورة قديمة يتبع نهج من سبقه في تشبيهاتهم كقوله:

وكي حبيبٍ ألودُ فيه بأو صافٍ وفحواه فوق ما أصفُ
كالبدر يعلو والشمس تشر قُ والغزال يعطو والغصنُ ينعطفُ^(١)

وهناك تشبيه استخدمه المُهَلَّبِيَّ كما استخدمه غيره من الشعراء وهو
تشبيه البنفسج بأعواد الكبريت كقوله :

بنفسجٍ بذكيّ المسك مخصوصُ ما في زمانك إذ وافاه تنغيصُ
كأنما شعلُ الكبريت مَنظرُهُ أو خدُ أغيدَ بالتجميش مقروصُ^(٢)

وقد قبل القدماء هذا النوع من التشبيه^(٣)، إلا أن أحمد بدوي لم يقبل
هذا النوع من التشبيه فيقول: "فليس ثمة ما يجمع بين البنفسج وعود الكبريت،
وقد بدأت النار تشتعل فيه، سوى لون الزرقعة التي لا تكاد تبدأ حتى تختفي
في حُمرة اللهب، وفضلاً عن التفاوت بين اللونين، فهو في البنفسج شديد
الزرقعة، وفي أوائل النار ضعيفها وفضلاً عن هذا التفاوت، نجد الواقع النفسي
للطرفين شديد التباين، فزهرة البنفسج توحى إلى النفس بالهدوء والاستسلام
وفقدان المقاومة وربما اتخذت رمزاً للحب، بينما أوائل النار في أطراف
الكبريت تحمل إلى النفس معنى القوة واليقظة والمهاجمة، ولا تكاد النفس تجد
بينهما رابطاً"^(٤)، ولأن الغرض من التشبيه "إبراز الفكرة وتجليتها جلاء تاماً،

(١) المعالي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) السري الرفاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج ٣، ص ٨٧.
والتجميش: الجمش أي المغازلة ضرباً بقرص ولعب، لسان العرب مادة (جَمَشَ).

القرص: التجميش والغمز بالإصبعين حتى تؤلمه، لسان العرب، مادة (قرص).

(٣) أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص ٥٢٠-٥٢٥.

(٤) المرجع ذاته، ص ٥٢٦.

كي تؤثر في نفس قارئها وسامعها أقوى تأثير وأشد، لذا كانوا يؤثرون من التشبيه ما كان دقيقاً في تصويره ناقلاً شعور الشاعر في وضوح وقوة^(١)، والمُهلِّي في تشبيهه نراه يتمثل بالمنظر الخارجي ويرد تأثير المنظر على النفس، ويؤكد ذلك التشبيه بعقد تشبيه آخر للنفس كخد مائل فيه حمرة من التقريص بالأصابع.

المعاني:

عند الحديث عن المعاني نرى أن المُهلِّي استقى معانيه التي يبثها في أشعاره من ثقافته الشعرية، إذ تأثر بمعاني الشعراء العرب الذين سبقوه وتفاعل معها وأخذ منها معانيه المؤثرة، ومن المعاني القديمة التي أعجب بها، وأخذها وأعاد صياغتها وصبها في قالب جديد.

قوله يصف يوماً ربيعياً جميلاً:

يَوْمٌ كَانَ سَمَاءٌ	شِبْهُ الْحِصَانِ الْأَبْرَشِ ^(٢)
وَكُنَّ زَهْرَةٌ أَرْضِيهِ	فُرْشَتٌ بِأَحْسَنِ مَقَرَشِ
وَالشَّمْسُ تَظْهَرُ مَرَّةً	وَتَغِيْبُ كَالْمَسِ تَوَحِشِ
سَمَاءُهُ دُكْنُ الْخُزُوزِ	وَأَرْضُهُ خُضْرُ الْوَشِيِّ ^(٣)

يقول الثعالبي "وكانه أخذه من قول ابن الرومي :

يَوْمُهَا لِلنَّدِيمِ يَوْمُ سُرُورِ
وَالْتَذَانِ وَحِبْرَةٍ وَابْتِهَاجِ^(٤)

(١) أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص ٥٢٠.

(٢) الحصان الأبرش: على جلده نقط بيض أو سود تخالف لون جلده، فهو منقط، لسان العرب، مادة (برش).

(٣) علي بن ظافر الأزدي، غرائب التشبيهات على عجائب التنبيهات، ص ٥١.

(٤) الحبرة: كالحبور وهو السرور والحبرة النعمة، الثعالبي، من غاب عنه المطرب، ص ٩٥. وفي البيتية: ونعمة وابتهاج.

- في سماءٍ كأدكن الخزّ قد غيّمتْ
وأرض كمُدَّهَبِ الدِّيباجِ^(١)
وقوله:
- كالنجم يصحبُ في المسير
ولا يزولُ لدى النزولِ^(٢)
أخذه من قول أبي تمام :
- كالنجم إن سافرت كان موكباً
وإذا حطّطت الرّحل كان جليسا^(٣)
وهناك مصادر أخرى لمعانيه ومنها ثقافته الدينية فيذكر "النميّة
و"الغيبة" وما تحمله من معاني من مثل قوله:
- خطّ مقوّمّة ومفرّق طرّة
فكأنّ سنّة وجهه محرابُ
وريت في كشف الذي ألقى به
فتعطّل النّمَامُ والمغتاب^(٤)
وفي قوله:
- وكان فطنته شهابٌ ثاقب
وكان نقد الحس منه يقينُ
وفيه إشارة لقوله تعالى ﴿النجم الثاقب﴾^(٥) وما تدلّ عليه من
معنى القوة وحدة الضوء.
- ونرى التّكثيف في المعاني في إشارته لقصة قيس ولبنى حيث يستعيرها من التراث العربي
في الحب والمحبين، يقول:
- وصيرنا في محبّتنا حديثاً
يُهَجِّن شَرَحُهُ قَيْساً ولبنى^(٦)
ويستوحي بعض معانيه من المعاني العسكرية أداة دفاع وجهاد كمحارب، وأداة لإقامة
الحد والعدل، يقول:
- السَّيفُ يُبْذِي الجورَ في حالةٍ
ويَبْذُلُ الإنصافَ في أخرى^(٧)

(١) الثّعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٨٢، وفيها: كأخضر، من غاب عنه المطرب، ص ٩٥.

(٢) البيكالي، المُنْتَخَل، ج٢، ص٧٧٨.

(٣) الثّعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٨٤.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٣٨.

(٥) سورة الطارق، آية رقم (٣).

(٦) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج٣، ص٨٢.

(٧) أبدمر، الدرالفريد وبيت القصيد، ج٥، ورقة ٢٤٣. الثّعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ٢٩٢.

ثانياً: خصائص نثره

أولاً: في المقطوعات النثرية

من المقطوعات النثرية التي وصلتنا، نرى أن نثره امتاز بالإيجاز، تطلقه قريحته بلا عناء، يحرص فيه على أن تكون مقطوعاته سهلة العبارة، واضحة المعنى، يسترسل في عباراته استرسالاً سلساً في جمل قصيرة في أغلبها، كقوله "لو أن البرق فطن، والرياح جنبته، والسد سوره، لتغشاه حسبي، واستخرجه طلبتي"^(١).

ونستدل كذلك على أنه كان مغرمًا بالزينة اللفظية، ولعل هذا هو الأسلوب العام في الكتابة في ذلك العصر إذ "كان كُتّاب الدولة البويهية يتأنقون ويتصنعون في حياتهم... وطبيعي أن يسقط هذا الجانب الذي يتصل بحياتهم إلى أدبهم وفنهم"^(٢).

وهو يستخدم السجع لإبراز مقاصده التي يريد توصيلها، فنرى استخدامه للسجع المتوازن في العبارات كقوله: "له أنعام كثيرة الشهود، وأفضال غزيرة المدود" و"تركت قلبه طافحاً بوجدته، ودمعه سافحاً على خده" و"شربت وشلاً من وده، ولبست سماً من عهده" و"في حكمه صارم فصل، وفي يده خاتم عدل"^(٣) و"لا تبد وجه المطابق الموافق، وتخف نظرك المسارق المنافق"^(٤).

وإستخدامه للكنايات التي تتجلى فيها قدرته البلاغية كقوله: "قد ترامت به البلدان والأسفار، ونبت عنه الأوطان والأوطار، وضائق به الأعطان"^(٥) الأقطار"^(٦). كناية عن طول التغرب والبعد. و"طيب المغرس،

(١) أبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٢٠٣.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٤) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص ٩٦.

(٥) الأعطان: جمع عطن وهو للابل كالوطن للإنسان، لسان العرب، مادة (عطن).

(٦) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٨.

زاكي المنبت، نضير المنشأ، رفيع الفرع^(١)، كناية واضحة عن طيب وعراقة النسب. و"عصارة لؤم في قرارة خبث"^(٢) كناية عن شدة سوء الخلق.

واستخدام المَهْلَبِيّ من الحكمة ليقوي بها المعنى ويوضحه، ومن العبارات التي أجراها مجرى الأمثال والحكم: "من تعرّض للمصاعب ثبت للمصائب" و"من ضاف الأسد^(٣) قراه^(٤) أظفاره، ومن حرك الدهر أراه اقتداره"^(٥).

إذا كان أحياناً يستخدم الأسلوب الهادئ الواضح، الذي يصل إلى الذهن والقلب، دون إجهاد خاطر كقوله "تَرَكْتُ قَلْبَهُ طَافِحاً بوجده، ودمعة سافحاً على خدّه" و"له أنعام كثيرة الشهود، وأفضال غزيرة المدود"^(٦). فإنه في أحيان أخرى يستخدم أسلوب الفلاسفة كقوله: "لو لم يكن في تهجين^(٧) الرأي المفرد، وتبين عجز التدبير^(٨) الأوحد، إلا أن الاستلحاق- وهو أصل كل شيء- لا يكون إلا بين اثنين، وأكثر الطيبات أقسام تُجمع وأوصاف تؤلف"^(٩).

أما استخدامه للأساليب الإنشائية في نثره كالاستفهام، فخير ما يمثله ما كتبه للصاحب بن عباد: "ذهبت عن مودّتي ذهاباً أساء ظنّي فلم؟ واستحللت محرماً من الهجران فيم؟ وزدت في شدّة الشوق والقطيعة فالام؟ وأعطيت الجفاء أوفى حظوظه فهل ثقلع؟ وإن خرجت عليك فيما أتيت، فما تمنع؟ إن رأيت أن تواصلني بعدها فعلت، إن شاء الله عز وجل"^(١٠).

(١) الثعالبى، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) المرجع ذاته، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٣) الثعالبى، الأعجاز والإيجاز، ص ٦٨. ضاف الأسد: زاره، لسان العرب، مادة (ضاف) .

(٤) قراه: طعنه فرمى به، لسان العرب، مادة (قرا).

(٥) الثعالبى، الأعجاز والإيجاز، ص ٦٨.

(٦) الثعالبى، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٧) تهجين الأمر: نقبيحه، لسان العرب، مادة (هجن).

(٨) التدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤل إليه عاقبته، لسان العرب، مادة (دبر).

(٩) الثعالبى، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٩. البخارزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ١، ص ٢٢٣.

(١٠) البخارزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ١، ص ٢٢٣.

ثانياً: في رسائله

أما الملامح الفنية في رسائله فنراها من حيث المقدمة والعرض والخاتمة. إذ كان يستهل رسائله بالبسملة ثم بالدعاء، كالبدء بقوله في رسالته لأبي الفضل: "إني - حفظك الله وحفظني لك، وأمتّعك بي وأمتّعني بك، قد بلوئك طول أيام أبي جعفر - قدّس الله روحه"^(١). وكذلك في رسالته لابن خلاد يقول "أطال الله بقاءك، وأدام عزّك وتأييدك وتعمّلك"^(٢).

أما عنوان الرسالة "الذي يدل على الكتاب ممن هو وإلى من هو"^(٣) فلم يذكر اسم المرسل إليه ولا اسم المرسل في مقدمة رسائله، لذا فإن هذه المقدمات تنسم بالاختصار واقتصرها على البسملة والدعاء للمرسل إليه. ولم يفصل في رسائله بين المقدمة والعرض بفواصل، فبدأ مباشرة ولم يكن الفاصل سوى الفاء الاستئنافية فيقول: "... فوجدتك"، ولم يستخدم كلمة (أما بعد) التي اعتاد الكتاب على ذكرها بعد المقدمة.

أما عرض الرسالة فيعبر عن علاقة الصداقة القوية والمتينة التي بينه وبين المرسل إليه، ويخاطبه خطاباً مباشراً، فيقول: "... فوجدتك ذا شهامة فيما يناط لك، وحسن الكفاية فيما يوكل إليك"، و "أجريتك مجرى الصديق الذي يفاوض في الخير والشر"^(٤)، ويعتبر ابن خلاد "شريك النفس في السراء ومواسيها في الضراء"^(٥)، ثم ينتقل انتقالاً لطيفاً موفّقاً للحديث عن الدافع لكتابته وهو بث معاني الصداقة والتواصل، أو رد على كتاب وصله، كما أنه في رسالته لابن خلاد موضحاً ذلك "تكلفتُ الإجابة عما نظمت"^(٦).

(١) التوحّدي، الصداقة والصديق، ص ١٥٤. التّقديس: التّطهير والتّبريك، وتقدّس: تطهّر، قدّس الله روحه:

تطهّر الله روحه من الذنوب، لسان العرب، مادة (قدّس).

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٥.

(٣) الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص ٦٠.

(٤) التوحّدي، الصداقة والصديق، ص ١٥٥.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٥.

(٦) المرجع ذاته، ج ٣، ص ٥.

ثم يختم رسالته بالدعاء -كما هو الحال في مقدمته- فيقول: " الله يهديك للحُسنى، ويقيني فيك غوائل^(١) العيون المرضى"^(٢)، ثم السلام.

ومن مميزات رسائله أيضاً إنه كان يدخل الشعر فيها، فيستحضره استحضاراً موفقاً، فينظم بأبيات شعرية تحمل المعاني نفسه في الرسالة فيقول: "أنا والله على أفضل عهدك، وأحسن ظنك، وأؤكد ثقتك، ومشتاق إليك:

مَوَاهِبُ اللَّهِ عِنْدِي لَا يُوَازِيهَا سَعْيٌ وَمَجْهُودٌ وَسُعْيٌ لَا يُدَانِيهَا
ويستخدم الأساليب اللغوية التي يعبر بها عن مشاعره، وعما يحسه تجاه موضوع الرسالة التي يكتبها دون تكلف. فيستخدم العبارات الشرطية بقصد التعبير عن شعوره النقي تجاه الصديق وتبرير المنزلة التي أنزله إياها دون الاعتماد على الهوى والحب فقط فيقول: "وجدتك...كتوما للشر إذا استحضتة".

ثم يستخدم أسلوب النهي بهدف الترك والتخلي ليطمئن نفس المرسل إليه فيقول: "فلا تقعن في وساوس صدرك" وخاصة أنها تصدر عن وزير لمن هو أدنى منه.

كان في ألفاظ رسالته غير متكلف. فقد جاءت ألفاظه فيها من كلمات وجمل بسيطة لا تكلف فيها، واضحة يفهم ما يرمى إليه، كل من يقرأها بكل سهولة ووضوح.

ولقد استعمل المحسنات اللفظية والمعنوية في رسائله، واعتنى بها عناية كبيرة من سجع وجناس وطباق، ونستطيع أن نجد كثيراً من العبارات المسجوعة، فالسجع كما في قوله: "... فوجدتك ذا شهامة فيما يناط لك، وحسن الكفاية فيما يوكل إليك"، ومن سجعه قوله لابن خلد: "وصل كتابك يا أخي ... المتضمن نفس الجواهر من بحار الخواطر، الحاوي ثمار الصفاء من مثبت الوفاء"^(٣).

(١) العليل: الحقد والحسد، لسان العرب، مادة (غل).

(٢) التوحيد، الصداقة والصديق، ص ١٥٦.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٥.

وأما الطباق فيظهر بين: "الخير والشر، الغث والسمين، الشهادة والغيب، مغضوضة ومرفوعة، ساعني وسّرني"^(١). وبين الشفاء والعلة، والفوز والخيبة، والسراء والضراء في قوله: "وَوَقَعَ مَا أَهْدَيْتُهُ مِنْ نَظْمٍ وَنَثَرٍ، وَخَطَابٍ وَشِعْرِ، مَوْقِعَ الرَّيِّ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ، وَالشِّفَاءِ مِنْ ذِي الْعِلَّةِ، وَالْفَوْزِ مِنْ ذِي الْخَيْبَةِ، شَرِيكَ النَّفْسِ فِي السَّرَّاءِ وَمَوَاسِيهَا فِي الضَّرَّاءِ"^(٢).

أما الإيقاع الموسيقي في رسائله فقد اهتم به من خلال اهتمامه بالمزاوجة والسجع في فواصله. وينوع بين هذه الفواصل "وَالْعُنْزُ فِي تَقْصِيرِهَا عَنِ الْغَايَةِ وَاضِحٌ، وَدَلِيلُ الْعَجَلَةِ فِيهَا لِائِخْ، وَأَنْتَ بِمُؤَاصَلَتِي بِكُتَيْبِكَ وَأَخْبَارِكَ وَأَوْطَارِكَ مَسْنُوءٌ، وَالْجَرِي عَلَى عَادَتِكَ الْمَأْثُورَةِ، وَسِيرَتِكَ الْمَشْكُورَةِ مَأْمُولٌ، وَأَنَا وَاللَّهُ عَلَى أَفْضَلِ عَهْدِكَ، وَأَحْسَنِ ظَنِّكَ، وَأَوْكَدِ تَقْنَتِكَ، وَمُسْتَأَقٍّ إِلَيْكَ"^(٣). والمزاوجة جاءت بجملتين جملتين على أغلبها "وقد حداني هذا كله على اجتبابك، وتقريبك، وإدنائك، وتقديمك، وغالب ظني أنك تُعينني على ذلك بميمون تقيبتك، ومأمون ضربيتك.

ومن هذا كله نلمس أنه حرص في رسالته على استخدام المحسنات البديعية والسجع الخاص وكلها تحقق إيقاع موسيقي لعبارات الرسالة .

وقد تبين لنا ما اتسمت به رسائل الوزير المهلبي، من ميزات فنية فالمقدمات والخاتمات كما رأينا قصيرة، إذ لم تكن تسمح بالمقدمات الطويلة، وقد اعترف بنفسه بذلك بدأ بالبسملة والدعاء ثم انتقل إلى الهدف من الرسالة مباشرة، وقد كان مصيباً في تحقيق الهدف بأسلوب معبر معتمداً على الأساليب البلاغية التي اتسمت بها الرسالة الإخوانية في عصره، واهتمامه بالزخرفات اللفظية من جناس وطباق وسجع ومزاوجة للتعبير عما يحسه نحو المرسل إليه.

(١) التوحيد، الصداقة والصديق، ص ١٥٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٥.

(٣) المصدر ذاته، ج ٣، ص ٥-٦.

الخاتمة

تناولت في هذه الرسالة الوزير المَهَلَبِيّ، الحسن بن عبدالله بن هارون، فعرضت للحياة السياسية التي سادت في عصره وتميزت بأنها مضطربة وغير مستقرة فيها الكثير من الحروب والمكائد والدسائس، مما أثر في أدبه، فطبيعة عمله كوزير لمعز الدولة البويهى في مثل هذه الظروف وانشغاله بها لم تعطه الفرصة ليتفرغ لأدبه، وقد أثرت هذه الحالة السياسية المضطربة على الحياة الاجتماعية فانتشر النفاق والترف والفحش، ولكن الحياة الثقافية الفكرية على الرغم من ذلك كانت نشيطة مزدهرة، وتمثل ذلك في كثرة المجالس الأدبية والاجتماعية وبروز نخبة من الأدباء العلماء والشعراء، ظهرت أسماؤهم في كتب الأدب والنقد، وكانت بغداد التي عاش المهلبى معظم سني حياته فيها مركزاً للعلم والثقافة، فاستقطب مجلس الوزير المَهَلَبِيّ الأدباء من كل حذب وصوب.

وجعلت الفصل الأول من هذه الدراسة للحديث عن حياة الوزير المَهَلَبِيّ وثقافته وأدبه من جوانبها المتعددة، فتوقفت عند اسمه ونسبه ونشأته الأولى وتوليه الوزارة ونكبته ووفاته، وتبين لنا أن الكتب والمصادر التي كتبت عنه لم تُزلْ كُلُّ الغموض عن حياته الأولى قبل توليه الوزارة بدقة وتفصيل، إلا أنها كانت حياةً فيها من البؤس والفقر الشيء الكثير، وتوقفت عند مجريات حياته بعد ذلك، وقد كانت حياته في بغداد مترفة لاهية، وكان مستخرطاً في أحوال العصر الذي عاش فيه السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية، ثم تحدثت عن ثقافته التي تظهر من خلال شعره وآثاره الأدبية، وتبين لي من خلال دراسة ثقافته أنه من الوزراء الأدباء المقلين، رغم أنه كان مشهوراً في عصره، وقد كان له بعض المؤلفات وديوان شعر وكتاب رسائل وتوقيعات، إلا إن الزمن لم يكن حليفاً فأتى على شهرته وآثاره.

وتحدثت عن صلاته بالأدباء، فوجدنا أنه كان على علاقة طيبة مع الأدباء والشعراء والمتقنين في عصره خاصة الذين كانوا يرتادون مجلسه من الأدباء والشعراء والقضاة. وكان ذا مكانة عندهم لأنه كان أدبياً يتذوق الشعر ويهتز له، وكونه وزيراً يُشجّع العلم والعلماء، ويُغنى الأموال عليهم.

ووجدت أن أكثر شعره أتى في مقالة كتبها جابر الخاقاني في مجلة المورد، استدركت عليه بعض الأشعار التي لم يجمعها جابر الخاقاني، فالحقها في دراستي أيضاً.

و أخضعت أدبه للدراسة في الفصل الثاني، فدرست أولاً موضوعات شعره من غزل ووصف وإخوانيات، وزهد وحكمة وخمريات، وفخر وهجاء، ورسمت في هذا الفصل جوانب حياته الأدبية من خلال شعره، ومضمونه وطريقته في كل موضوع، فتبين لي من خلال ذلك أنه قد قال شعرة في أغراض الشعر المعروفة في عصره، فجاء شعرة معبراً عن أطوار حياته البائسة، فكان الزهد والشكوى والمترفة فجاء الغزل بالجواري والغلمان.

ودرست في هذا الفصل أيضاً نثره: ظروفه وطبيعته، فوجدته مقطوعات نثرية في طي الكتب وتوقيعات ورسائل إخوانية بعث بها إلى إخوانه أدباء عصره. ووجدت المهلبي كاتباً نلمح في نثره نظرة إلى حال الإنسان في أي مكان وأي زمان، ونتعرف في رسائله إلى موقفه من أدباء عصره وتقديره لهم ومدى الصداقة التي تربط بينه وبينهم.

أما الفصل الثالث فقد تحدثت فيه عن الخصائص الفنية لأدبه: شعراً ونثراً. ففي الجانب الشعري لاحظت عناية الشاعر بالمقطوعات الشعرية دون القصائد، ثم لاحظت ما تميزت به لغته الشعرية من سهولة الألفاظ وفصاحتها، وبلاغة الجمل وفنيته، وما أفاد من معاني الشعراء الذين سبقوه أو عاصروه وقد كان المهلبي ذواقاً للشعر، فتخير من معاني أشعارهم ما استطاع مزجته مع ثقافته الشعرية، فجاءت تجربته متأثرة بأشعارهم ومعبرة عن إمكاناته الشعرية الخاصة. وتحدثت عما استخدم من الأوزان الشعرية والقوافي في شعره. أما الجانب النثري فتبين لنا من خلال الدراسة أن المهلبي كان معنياً بنثره بحسن سبك ألفاظه في جمل قصيرة، جعل قرائنها مزججة أو مسجوعة ما وقّر في نثره جانباً موسيقياً واضحاً، كان له من الأثر في نفس المتلقي ما كان للمعاني.

وأخيرا أتمنى أن أكون قد وفقت في إزاحة غبار النسيان عن الوزير
المُهلبيّ الأديب، هذا ما استطعته ولا أدعي التميز فيه، وما جهدي إلا جهد
المجتهد الذي إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ كان له أجر واحد، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملحق رقم (١)

المستدرك على شعر الوزير المَهَلَّبِيَّ

من خلال تتبعي لأشعار الشاعر في المصادر العربية المطبوعة والمخطوطة، توفر لدي قدر لا بائس به من الأشعار التي فانت السيد جابر عبد الحميد الخاقاني، ورغبة مني في زيادة الفائدة، فأنتني ألحق هذه الأشعار بهذه الرسالة لتتضم إلى الأشعار المجموعة لتكتمل الفائدة ويظهر أدب الأديب المَهَلَّبِيَّ بشكل أكمل، وقد بلغ مجموع هذه الأشعار اثنين وخمسين بيتاً، وقد رتبها على شاكلة ترتيبه حسب القوافي.
وهذه نصوص المستدرك:

قافية الألف

(١)

من السريع

السَّيْفُ يُبْذِي الجورَ في حالةٍ وَيَبْذُلُ الإنصافَ في أخرى^(١)

*-التخريج: الدر الفريد وبيت القصيد، ج٥، ورقة ٢٤٣.

التمثيل والمحاضرة، ص ٢٩٢. ويذكر ١: ويظهر الإنصاف في أخرى.

قافية الباء

(٢)

من السريع

كأَئِما التَّرجس في روضِهِ إِذا أَتَّئِهُ الرِّيحُ مِنْ قُربِ

أَقْداح يَاقوتَ تعاطِيَنها أَناملُ مِنْ لؤلؤِ رَطَبِ^(٢)

- التخريج: التذكرة الفخرية، ص ٢٧٤.

(١) الجور: نقيض العدل، لسان العرب، مادة (جور). والإنصاف: إعطاء الحق، لسان العرب، مادة (نصف).

(٢) القدح من الأنية، لسان العرب، مادة (قرح).

قافية التاء

(٣)

من السريع

قَرَاخُ وَرَدَ مَوْنَقُ نَبِيُّهُ بِالْحُسْنِ وَالْبَهْجَةِ مَنَعُوتُ
مُبِيضُهُ فِيهِ وَمُحْمَرُهُ كَأَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ

*- التخريج: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج ٣، ص ٩٠.

قافية الدال

(٤)

من البسيط

قَدْ كُنْتُ أُسْرِفُ فِي مَالِي وَيُخَلْفُ لِي فَعَلَّمَنِي اللَّيَالِي كَيْفَ اقْتَصِدُ

*- التخريج: الدر الفريد وبيت القصيد، ج ٤، ورقة ٣١١.

قافية الراء

(٥)

من الطويل

لَكُلِّ مُحِبٍّ سَكْرَةٌ مِنْ حَبِيبِهِ وَلِي مِنْكَ سَكْرٌ لَا يَزَالُ عَلَى سَكْرٍ
فَدِينُكَ عُذْرِي فِي الْمَحَبَّةِ وَاضِحٌ وَمَا لَكَ مِنْ هَجَرِ الْمُحِبِّينَ مِنْ عُذْرٍ
أَحَبُّ سَمَاعِ اللُّومِ فَيْكَ لِأَنَّهُ وَعَيْشُكَ لَا يُسَلِّي مُحِبَّكَ بَلْ يَغْرِي
سَأْنَفَقُ رِيْعَانَ الشَّيْبَةِ أَنْفَا عَلَى طَلَبِ الْعَلْيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ
أَسْنَمُ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لِيَالِيَا تَمْرُ بَلَا وَصَلٍّ وَيُحْسَبُ مِنْ عُمْرِي

*- التخريج: الدر الفريد وبيت القصيد، ج ١، ورقة ٢٥٤، والبيتان الأخيران في ج ٣، ورقة ٣٤٤ وفيها (تمر بلا نفع).

(٦)

من المتقارب

أَقَاتَلَتِي بَانِكْسَارَ الْجَفُونِ وَمُسْتَوْفَزِينَ عَلَى مَعَصَرٍ^(١)
كَحَقِيْنٍ مِنْ لَبِّ كَافُورَةٍ بِرَأْسَيْهِمَا نَقْطَتَا عَنَبِرٍ^(٢)

* - التخریج: الثَّعَالِي، أَحْسَن مَا سَمِعْتُ (اللَّائِي وَالدرر)، ص ١٠٣.

قافية الصاد

(٧)

من البسيط

بِنَفْسِجٍ بِذَكِي الْمِسْكَ مَخْصُوصٍ مَا فِي زَمَانِكَ إِذْ وَافَاهُ تَغْيِصُ
كَأَنَّمَا شُعْلُ الْكِبْرِيتِ مَنَظَرُهُ أَوْ خُذْ أَغِيدَ^(٣) بِالتَّجْمِيشِ^(٤) مَقْرُوصَ^(٥)

* - التخریج: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج ٣، ص ٨٧.^(٦)

(١) الترفُّزُ: التَّذِي، قال الجوهري قعد مستوفزاً: غير مطمئن، لسان العرب، مادة (فزز). والمَعَصَرُ: التي بلغت عصر شبابها وأدركت، وقيل أول ما أدركت وحاضت، لسان العرب، مادة (عصر).

(٢) حَقِينٌ: مَثْنَى حَقْنٍ وَهُوَ اللَّبْنُ الَّذِي قَدْ حُقِّنَ فِي السَّقَاءِ، لسان العرب، مادة (حقن). والعنبر: من الطيب، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٢، فصل العين، باب الرءاء.

(٣) أَغِيدُ: مَالَتْ عُنُقَهُ وَلَانَتْ أَعْطَافَهُ، وَقَدْ اسْتَرَخَتْ عُنُقَهُ، وَالْغِيدَاءُ الْمَرْأَةُ الْمُنْتَنِيَّةُ مِنَ اللَّيْنِ وَقَدْ تَغَايَدَتْ، لسان العرب، مادة (غيد).

(٤) التَّجْمِيشُ: الْجَمَشُ أَيِ الْمَغَاظِلَةُ ضَرْبٌ بِقَرَصٍ وَلَعِبٍ، وَقَدْ جَمَشَهُ وَهُوَ يُجَمِّشُهَا أَيْ يَقْرُصُهَا وَيُلَاعِبُهَا، لسان العرب، مادة (جَمَش).

(٥) الْقَرُصُ: التَّجْمِيشُ وَالْغَمْزُ بِالْإصْبَعَيْنِ حَتَّى تَوْلِمَهُ، لسان العرب، مادة (قرص).

(٦) ويذكر المحقق مصباح غلاونجي، أنهما للنمري في معاهد التنصيص ٢: ٥٧، ودون نسبه في حسن المحاضرة ٢: ٤١٢، ونهاية الأرب ٢: ٢٢٦-٢٢٧، وأحسن ما سمعت: ٧١. في جميع هذه المصادر (إن وافاك).

قافية الضاد

(٨)

من الخفيف

ضَافَنِي الهمُّ لَيْلَةَ الظُّعْنِ^(١) يُحْدِي
 ضَمْدَكَ الْبَيْضُ أَنْ تَحْنَتَ قَنَاتِي
 ضَوْءُ صُبْحِ الْقَتِيرِ^(٢) لَاحَ بِرَأْسِي
 ضَاعَ فِي غِرَّةِ الشَّيْبَةِ بَعْضُ الـ
 ضَرَبَ الشَّيْبُ مَفْرَقِي بِسَيْفِي
 ضَعَّفَ الْبَطْشَ فِي يَدٍ كَانَ فِيهَا
 ضَلَّةٌ مَا طَلَبْتُ وَصَلُ الْعَوَانِي
 ضَافَرْتَنِي عَلَى السُّمُوِّ بِنَفْسِي
 ضَنَّاكَ عَيْشَ الْفَتَى شَرَاءَ إِذَا كَا
 ضَاعَ الْخُرُّ رَفْعَةً فِي زَمَانِ
 ضَرَعَ الطَّالِبُ الْغَنَى لِهَنَاتِ
 ضَيْغَمٍ^(٣) فِي الْوَعَى^(٤) وَحَيَّةٍ وَإِ
 صِيمٍ مَثَلِي يَعُزُّ هَذَا جَنَاحِي
 ضَجَّ مَثِي جَنُّ الْبِلَادِ فَالْأَبِي
 ضِغْنُهُمْ كَامِنٌ وَإِنْ ظَهَرَ الْحـ

وَاسْتَطَارَ الْغَمُوضُ هَيْهَاتَ غَمُضُ
 وَلَقَدْ اغْتَدَى وَعَوْدِي غَضُ
 فَبَقَلْبِي لَطَائِفِ الهمِّ نَبْضُ
 عُمُرُ بُطْلَا وَضَاعَ فِي الشَّيْبِ بَعْضُ
 هِ قَمَا بِي إِلَى هَوَى لِي نَهْضُ
 لِي بَسْطُ إِذَا أَشَاءَ وَقَبْضُ
 جَاوَزَ مَثِي الْعَدَاةَ لِلْعِي رَفْضُ
 عَزَمَةُ ذَاتُ جَحْفَلٍ مَا يُقْضُ
 نَ بِهِ فِيهِ لِلضَّرَاعَةِ مَضُ^(٥)
 طَرْفُهُ فِيهِ لِلْعَبِيدِ يَعْضُ
 صَبِيحَ مَثِي عَنْهُنَّ وَجْهٌ وَعَرْضُ
 لِي نَهَشُ إِذَا أَسْنُ وَعَضُ
 لَيْسَ إِلَّا لِمُؤْمِنٍ فِيهِ خَفْضُ
 صَارَ مِنْ هَيْبَتِي خُضُوعٌ وَغَضُ
 بٌ فُسَيَّانَ حُبُّهُمْ وَالْبُغْضُ

(١) الظعن: سير البادية للجمعة، أو حضور ماء، أو غزو، ويقال أظاعن أم مقيم؟، لسان العرب، مادة (ظعن).

(٢) القتير: الشيب، وقيل: هو أول ما يظهر منه. لسان العرب، مادة (قتر).

(٣) المض: الحرق، لسان العرب، مادة (مض).

(٤) الضيغم: الذي يعض، وهو الأسد، وهو الواسع الشدق. لسان العرب، مادة (ضغم).

(٥) في الأصل بالالف الممدودة (الوفا).

ضَرَعُوا بالصَّغَارِ هَلْ تَخْرُجُ بالزُّبُنِ حَذَّ حَتَّى يَطُولُ بالوَطْبِ^(١) مَخْضُ
ضَغْ بَرُغْمٍ عَصَاكَ فِي الهَامِ مِنْهُمْ فَخُدُودُ الْعِدَى لَنَعْلِكَ أَرْضُ

*-التخريج: الدر الفريد وبيت القصيد، ج ٤، ورقة ٣٨. ويذكر فيه أنها قصيدة طويلة في أول كل بيت وآخره ضاد معجمة أخذ منها الأبيات السابقة.

قافية العين

(٩)

من الطويل

أَلَا إِنْ إِيْوََانِي الذِّينَ عَهْدْتَهُمْ أَفَاعِي رِمَالٍ لَا تُقْصِرُ عَنْ لَسَعِي
ظَنَنْتَ بِهِمْ خَيْرًا فَلَمَّا بَلَوْتَهُمْ نَزَلْتَ بِوَادٍ مِنْهُمْ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ

*-التخريج: التعليلي، لباب الآداب، ص ٣٦٣. وفي خاص الخاص، ص ١٤٢ وفيه أنهما للخباز البلدي.

قافية القاف

(١٠)

من الخفيف

وَيَنْحَ نَفْسِي مِنْ لَوْعَةِ الْاِشْتِيَاقِ وَرَسَيْسِ^(٢) الْهَوَى وَوَشَكِّ الْفِرَاقِ
جَلَّ مَا بِي حَتَّى لَقَدْ عَلِمَ النَّا سُبَّانِي أَطَقْتُ غَيْرَ الْمُطَاقِ
مَنْ عَذِيرِي مِمَّنْ بِهِ ظَلَّ عِشْقِي مَثَلًا بَيْنَ سَائِرِ الْعُشَّاقِ
حَازَ رَقِي بِوَرْدٍ خَذِيهِ لَمَّا أَنْ بَدَا فِي مُورَدَاتِ رِقَاقِ

*- التخريج: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ج ١، ص ٣٠٥.

(١) الوَطْبُ: سقاء اللبن، والجمع أَوْطَبٌ، وَأَوْطَابٌ، ووطابٌ، لسان العرب، مادة (وطب).

(٢) الرَّسَّ والرَّسَيْسُ: أول الحمى، لسان العرب، مادة (ررس).

قافية الميم

(١١)

من البسيط

الْمَالُ عِزُّ وَمَنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُهُ حَيًّا كَمَنْ مَاتَ إِلَّا أَنَّهُ صَنَمٌ

*- التخریج: الدر الفريد وبيت القصید، ج ٢، ورقة ٢٣٢.

(١٢)

من الخفيف

نَفْسٌ صَبْرًا لَا تَجْزَعِي إِنَّ هَذَا خُلِقَ مِنَ خَلْقِ الْأَيَّامِ

*- التخریج: الدر الفريد وبيت القصید، ج ٥، ورقة ١٨٠.

قافية النون

(١٣)

من البسيط

يَا نَفْسُ كَفِّي عَنِ الْعَصِيَانِ وَاعْتَمِّي خَيْرًا كَأَنكَ وَالْأَيَّامَ لَمْ تَكُنْ

يَا نَفْسُ وَيَحْكُ نُوبِي وَاعْمَلِي حَسَنًا يَلْقَاكَ رَبُّكَ يَوْمَ الْبَعْثِ بِالْحَسَنِ

*- التخریج: الدر الفريد وبيت القصید، ج ٥، ورقة ٤٧٤.

قافية الهاء

(١٤)

من البسيط

قَدْ قُضِيَ الصُّبْحُ عِنْدَ سَاهِرَةٍ كَأَنَّ حَادِي الصَّبَاحِ صَاحَ بِهِ

كَأَنَّمَا اللَّيْلُ رَاكِبٌ فَرَسًا مُنْهَزِمًا وَالصَّبَّاحُ فِي طَلَبَةٍ

*- التخریج: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ج ٢، ص ٢٤٣.

نهاية الأرب، ج ١، ص ١٤١.

(١٥)

من الرجز

فَلَوْ آذَاهُ نَاطِرِي طَمَسْنَاهُ وَلَوْ سَقَانِي أَجَلِي شَرَبْنَاهُ

*-التخريج: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج٣، ص٨٦.

(١٦)

من الخفيف

وَحَايَا الْهَوَى وَمُرُّ التَّجْنِي وَبَخْطِ الْعَذَارِ فِي صَحْنِ خَدَى

لَأَذْيِبَنَّ وَجَنَّتِيهِ بِلَحْظِي مِثْلَ مَا قَدْ أَذَابَ قَلْبِي بِصَدَى

*-التخريج: تكملة تاريخ الطبري، ص١٨٧.

(١٧)

من الخفيف

أَعْطَيْتَنِي لِلْهُو بِي خَائِماً اسْمُكَ مَكْتُوبٌ عَلَى فَصِيهِ^(١)

مَا رَوَعْنِي زَفَرَاتُ الْهَوَى إِلَّا تَرَوَحْتُ إِلَى مَصْنَعِهِ

*- التخريج: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٠٥.

(١٨)

من المجزوء الخفيف

بِضَاعِ مَعْرُوفٍ وَأَضِيعِ الْعُرْفِ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

*- التخريج: الدر الفريد ج٤، ورقة ٣٧.

(١٩)

من المجزوء الكامل

نَفْسِي فِدَاءٌ مُدْلَلٌ رَبَّاعِ الرَّبِّيعِ بَعَارِضِيهِ

أَسْكَرْتُهُ مِنْ خَمْرَةٍ وَسَكَرْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ

*- التخريج: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ج١، ص٧٥.^(٢)

(١) فس الخاتم: ما ركب فيه، لسان العرب، مادة (فصص).

(٢) يعلق المحقق: المهلبى لعله الوزير الحسن بن محمد.

ثبت بالمصادر والمراجع:

أ- المصادر:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) ابن الأثير: أبو الحسن، عز الدين، علي بن أبو الكرم، (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط٦، دار صادر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- (٣) الإربلي، صاحب بهاء الدين المنشئ، (ت ٦٩٢هـ -)، التذكرة الفخرية، تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٤) الأزدي، علي بن الظافر، بدائع البدائيه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- غرائب التشبيهات على عجائب التنبيهات، تحقيق محمد زغلول سلام، ومصطفى الصاوي، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
- (٥) الأصبهاني، عماد الدين الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر (القسم العراقي)، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- (٦) الأصبهاني، الميرزا محمد باقر الخوانساري، روضات الجنات، الدار الإسلامية.
- (٧) الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم عبد الرحمن (ت ٣٥٦هـ - ٩٦٦م).
- القيان، تحقيق جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، د.ت.
- الأغاني، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- أدب الغرباء، نشره عن مخطوطة فريدة في العالم الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢م.

- الإمام والشواعر، تحقيق جليل العطية، دار النضال، بيروت، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م.
- (٨) البغدادي، إسماعيل باشا، (ت ١٣٣٩هـ — ١٩٢٠م)، هدية العارفين (أسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م.
- (٩) البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت ١٠٩٣هـ —)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.
- (١٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.
- (١١) ابن تَغْرِي بردي، أبو المحاسن، جمال الدين، يوسف الأتابكي، (ت ٨٧٤هـ — ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م.
- (١٢) التتوخي، أبو علي، المحسن بن علي، (٣٨٤هـ — ٩٩٤م).
- الفرج بعد الشدة، الأصل مأخوذ من نسخة خطية بدار الكتب المصرية، مكتبة الخانجي بمصر، مكتبة المتنبي، بغداد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.
- (١٣) التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد، (ت ٤١٤هـ — ١٠٢٣م).
- مثالب الوزيرين، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م.
- الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه ورتب فهارسه أحمد أمين، وأحمد الزين، ط٢، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٣٧٣هـ — ١٩٠٣م.

- البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
- الرسالة البغدادية، تحقيق عبود الشالجي، منشورات الجمل، كولونيا - ألمانيا، ١٩٩ م.
- الصداقة والصديق، تحقيق وتعليق إبراهيم الكيلاني، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م.
- (١٤) الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد، (ت ٤٢٩ هـ-١٠٣٧ م)
- الإعجاز والإيجاز، تخريج وحواشي محمد التونجي، دار النفائس، بيروت، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.
- أحسن ما سمعت (الآلئ والدرر)، شرحه وضبطه عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠ م.
- التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الطو، ط٢، دار العربية للكتاب، ١٩٨٣ م.
- خاص الخاص، قدم له حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- سر البلاغة وسر البراعة، صححه وضبطه عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٤ م.
- لطائف الأطف، تحقيق عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.
- لباب الآداب، قدم له وشرحه ووضع فهارسه، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، عام ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.
- المنتحل، نظر فيه وصحح رويته وترجم شعراءه وشرح ألفاظه اللغوية أحمد أبو علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- من غاب عنه المطرب، تحقيق عبد المعين الملوحي، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧ م.

- **يتيمة الدهر**، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(١٥) ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م).

- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

(١٦) الجاجرمي، أبو المعالي المؤيد بن محمد، **نكت الوزراء جمع أقوال مائة من الوزراء في الإسلام وروائعهم ونوادرهم**، تحقيق د. نبيلة عبد المنعم داود، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.

(١٧) **جامعة البصرة، المركز الثقافي، موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية)**، ١٩٨٩م.

(١٨) الجرجاني، الإمام عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، تحقيق هـ.ريتز، ط ٣، دن، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(١٩) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ - ١٦٥٧م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار أحياء التراث العربي، بيروت، دت.

(٢٠) ابن حزم الأندلسي، **جمهرة انساب العرب**، نشر وتحقيق وتعليق، إيفي بروفيسال، دار المعارف، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

(٢١) الحصري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي، (ت ٤٥٣هـ - ١٠٦١م).

- **جَمْعُ الجواهر في المِلح والنوادر**، حققه وضبطه وفصل أبوابه ووضع فهارسه، علي محمد البجاوي، ط ٢، دار الجبل، بيروت، دت.

- **زهر الآداب**، تحقيق زكي مبارك، ط ٤، دار الجبل، بيروت، دت.

(٢٢) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، (ت ٥٦٢هـ - ١١٦٧م)، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، ١٩٩٦م.

- (٢٣) الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، أبي محمد عبد الله بن سنان، سر الفصاحة، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده، القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- (٢٤) ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت ٦٨١هـ-١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- (٢٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- (٢٦) الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٨٤٨هـ-١٣٤٧م).
- تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- دول الإسلام، حققه وعلق عليه حسن إسماعيل مروة، قرأه وقدم له محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق الكتاب شعيب الأرناؤوط، حقق ج ١٦ أكرم البوشي، ط ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- العبر في خبر من عبر، حققها وضبطها أبو هاجر السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٩م.
- (٢٧) الراغب الأصقفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ-١١٠٨م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- (٢٨) ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، مطبعة السعادة، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- (٢٩) الزمخشري (ت ٥٣٨هـ-١١٤٣م)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- (٣٠) السري الرفاء، السري بن أحمد، (ت ٣٦٢هـ—)، **المحب والمحبوب** والمشوم والمشروب، تحقيق مصباح غلاونجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- (٣١) السكاكيني، أبي يعقوب، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت ٦٢٦هـ—)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- (٣٢) ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ—)، **حماسة ابن الشجري**، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م.
- (٣٣) الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤هـ-١٣٦٢م).
- **الوافي بالوفيات**، تحقيق: هلموت ريتر ورفاقه، فرانز شتايز، شتوتكارت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- **الغيث المسجّم في شرح لامية العجم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- (٣٤) العباسي، عبد الرحيم بن علي، (ت ٩٦٣هـ—-١٥٥٥م): **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه، محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م.
- (٣٥) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، عبد الحي الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ—)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أشرف على التحقيق عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- (٣٦) القرطاجي، أبي الحسن، حازم القرطاجي، (ت ٦٨٤هـ—-١٢٨٥م)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
- (٣٧) القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ—-١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه

نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ —
١٩٨٧م .

(٣٨) الكتبي، محمد بن شاكر، (ت ٧٦٤هـ — ١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق
إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(٣٩) ابن كثير، أبو الفداء، (ت ٧٧٤هـ —)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف،
بيروت، ١٩٦٦م.

(٤٠) الكلاعي، أبو القاسم، محمد بن عبد الغفور الأندلسي، إحكام صناعة
الكلام، تحقيق محمد رضوان الدية، دار الثقافة، بيروت.

(٤١) مسكويه، أبو علي، أحمد بن حمد، (ت ٤٢١هـ — ١٠٣٩م)، تجارب
الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٤٢) ابن معصوم، السيد علي صدر الدين المدني، (١٠٥٢-١١٢٠هـ —)،
أنوار الربيع وأنواع السديع، ط١، حققه وترجم لشعرائه، شاكر
هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م.

(٤٣) ابن منظور، صاحب لسان العرب، (ت ٧١٢هـ — ١٣١١م)، نثر الأزهار
في الليل والنهار، دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م).

— لسان العرب، تحقيق نخبة من العاملين في دار المعارف، دار
المعارف، بيروت، ١٩٨٦م.

(٤٤) ابن منقذ، أسامة بن منقذ، (ت ٥٨٤هـ — ١١١٨م)، لباب الآداب، تحقيق
أحمد محمد شاكر، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ — ١٩٩١م.

(٤٥) الميداني، أبو الفضل (ت ٥١٨هـ — ١١٢٤م)، مجمع الأمثال، قدم له
وعلق عليه نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٩٨٧م.

(٤٦) الميكالي، أبي الفضل، عبید الله بن أحمد بن علي،
(ت ٤٣٦هـ — ١٠٤٤م)، كتاب المُنْتَخَل، تحقيق يحيى وهيب
الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- (٤٧) ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن أبي يعقوب، (ت ٣٨٠هـ - ٩٩٠م)،
الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له د. يوسف علي
طويل، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية،
بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (٤٨) ابن الدماطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، حققه وعلق عليه وقدم
له قيصر أبو فرح دي - فل (برنستن)، دار الكتب العلمية،
بيروت، د.ت.
- (٤٩) المكي الحسيني الموسوي، العباس بن علي بن نور الدين،
(ت ١٠٨١هـ -) (تقريباً، ثزّهة الجليس ومنية الأديب الأنيس،
منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
- (٥٠) الهمداني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، قدم له وحققه
ووضع فهارسه ألبرت يوسف كنعان، ط ٢، المطبعة الكاثوليكية،
بيروت، ١٩٦٠م.
- (٥١) ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت ٧٤٩هـ -)، تاريخ ابن الوردي (تتمة
المختصر في أخبار البشر)، ط ٢، مطبعة الحيدرية، النجف،
١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- (٥٢) الوشاء، أبو الطيب (ت ٣٢٥هـ - ٩٣٧م)، الموشى (الظرف والظرفاء)،
دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م.
- (٥٣) ياقوت الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م).
-معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (٥٥) اندم متز، الحضارة الإسلامية عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى
العربية محمد الهادي أبو ريذة، أعد فهارسه رفعت البدوي.

ب- المراجع:

- (١) أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م.
- (٢) أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- (٣) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م.
- (٤) أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤م.
- (٥) إيليا حاوي، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.
- (٦) بدوي طبانة، صاحب بن عباد الوزير الأديب العالم، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.
- (٧) البشير المجدوب، الظرف بالعراق في العصر العباسي فيما بين القرنين الثاني والرابع للهجرة، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس.
- (٨) حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- (٩) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- (١٠) رشدي علي حسن، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- (١١) تحقيق رينه خوام، السياسة والحيلة عند العرب، رقائق الحيل من دقائق الحيل، دار الساقى، باريس، ١٩٨٨م.

- (١٢) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
- (١٣) زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، المكتبة العصرية، بيروت، دت.
- (١٤) الزمخشري، أساس البلاغة، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١٥) سامي مكّي العاني، معجم ألقاب الشعراء، مكتبة الفلاح، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- (١٦) سراج الدين محمد، الفخر في الشعر العربي، دار الرتب الجامعية، بيروت.
- الهجاء في الشعر العربي، دار الرتب الجامعية، بيروت، ١٩٩٨م.
- (١٧) سعد اسماعيل شلبي، الشعر العباسي: التيار الشعبي، مكتبة غريب، ١٩٧٠م.
- (١٨) الشريشي، شرح مقامات الحريري، أشرف على نشره وطبعه وتصحيحه محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الثقافية، بيروت.
- (١٩) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦.
- (٢٠) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران)، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٠م.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط١٢، دار المعارف، مصر.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط٨، دار المعارف، مصر.
- العصر العباسي الثاني، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.
- (٢١) صلاح مصلحي علي عبد الله، التقليد والتجديد في الشعر الجاهلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

- (٢٢) طه حسين، حديث الأربعاء (الأندية)، ط١٤، دار المعارف القاهرة، ١٩٩٣م.
- (٢٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني، جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لأعلامه ووضع فهارسه، عائض بُنيّة الرّادي، بأشراف عبد الرحمن رأفت الباشا، كلية اللغة العربية، الرياض، السعودية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- (٢٤) عبد القادر الرباعي، شعر آل أبي عُيَنة المُهَلَّبِيّ، أمانة عمّان الكبرى، عمّان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٢٥) عبد اللطيف عمران، الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهية، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- (٢٦) عبود الشالجي، موسوعة العذاب، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩م.
- (٢٧) عفيف نايف حاطوم، الغزل في العصر العباسي الأول، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٦-١٤١٦هـ.
- (٢٨) علي نجيب عطوي، شعر الزهد في القرن الثاني والثالث الهجري، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- (٢٩) فاطمة الموافي، الحياة الأدبية في بلاط البويهيين، مطبعة دبي، ١٩٩١م.
- (٣٠) قحطان رشيد التميمي، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٨م.
- (٣١) القمّي، الكنى والألقاب، ط٢ المنقحة، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- (٣٢) لجنة أدباء الأقطار العربية، الفخر والحماسة، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- الوصف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- (٣٣) محمد التونجي، معجم المعربات الفارسية في اللغة العربية منذ بواكير العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر، راجعه محمد السباعي، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٨م.
- (٣٤) محمد الدايدة، أعلام الأدب العربي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٠م.
- (٣٥) محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- (٣٦) محمد عبد المنعم خفاجي، البناء الفني للقصيدة العربية، مكتبة القاهرة، د.ت.
- (٣٧) محمد سلوم، الأدب في عصر العباسيين (من بداية القرن الرابع إلى نهايته)، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- (٣٨) محمد محمود الدروبي، صلاح محمد جرار، جمهرة توقيعات العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (٣٩) محمد مسفر الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية، العهد البويهى والسلجوقي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- (٤٠) محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- (٤١) محمود الربداوي، نصوص من الأدب العباسي، مطبعة الإنشاء، دمشق ١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م - ١٩٨٢م.
- (٤٢) محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العباسي، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ١٩٩٤م.

- (٤٣) محمود غناوي الزهيري، الأدب في ظل بني بويه، مطبعة الأمانة، مصر، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- (٤٤) محمود المقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب، دار الفكر، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- (٤٥) مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الآداب)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كتاب النشر، ط٣، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م.
- (٤٦) محمد مصطفى هذارة، مشكلة السرقات في النقد العربي (دراسة تحليلية مقارنة)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (٤٧) محمد الخضير بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.
- (٤٨) نبيل أبو حاتم، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع من خلال يتيمة الدهر، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٤٩) ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- (٥٠) وهيب طنوس، في النثر العباسي، ط٢، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٨٠ - ١٩٨٠م.
- (٥١) يحيى شامي، أعلام الفكر العربي (أبو حيان التوحيدي قراءة في إمتاعه ومؤانسته)، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- موسوعة شعراء العرب، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
- (٥٢) يحيى بن حمزة العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٥٣) يوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م.

ج- الدوريات:

- ١) حسن الأمين، "الوزير المَهْلَبِي"، مجلة العربي، العدد ١٤٢، الكويت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص ص ١٤٢-١٤٦.
- ٢) جابر الخاقاني، "شعر الوزير المَهْلَبِي"، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، وزارة الإعلام، العراق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ص ١٤٥-١٦٩.
- ٣) هلال ناجي، "ديوان القاضي التنوخي الكبير (علي بن محمد بن داود الأنطاكي)"، مجلة المورد، المجلد ١٣، العدد الأول، وزارة الإعلام، العراق، ١٩٨٤م، ص ص ٣١-٧٤.

د- الرسائل الجامعية:

- ١) سهيل محمد جميل خصاونة، الغزل بالسود في العصر العباسي، رسالة ماجستير، آداب، جامعة اليرموك، ١٩٨٠م.
- ٢) اعتدال أبو درويش، صورة المرأة في شعر البلاط البويهية، رسالة ماجستير، آداب، جامعة اليرموك، ١٩٨٨م.

هـ - دواوين:

- ١) ديوان ابن نباتة السعدي، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٢) ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة ناهد جعفر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

و -المخطوطات:

- ١) محمد بن أيدير، الدر الفريد وبيت القصيد، منشورات العلوم العربية والإسلامية، استنبول، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. (مخطوط)

Abstract

This research aims at studying Al-Wazir Al- Muhalaby's life and his literature in several sides. It comes in a preface and three chapters. in the preface, I discussed, in general the epoch the poet lived in from the social, political and literal. In spite of political instability of life in that era, which had many wars and conflicts, educational life was very vivid and creative. In addition to his relations with the artists whom we have heard in their names in the literal books up today. His meetings, which he held with closest friends, contemporary artists and poets, had a very great importance and usefulness to spread and exchange different kinds of knowledge among them.

In the first chapter from this study comes about Al-Wazir Al- Muhalaby's name, life, family and ministry till his death trying to reveal the mystery about him. Because the books didn't give us a complete and clear picture about his earlier life and miserable conditions that he lived in. Then, I discussed the opposite side of his life after being a minister in Baghdad. After that, I talked about his relations with many artists of that time in his literal meetings, which were creative in literary. I found that he had good relationships with most of the artists of his time. Because he is a poet and loves poetry, he donates money and presents to them. On the one hand, I can say he was one of the poets who his production was very little because the events of the epoch were not at his side. On the other hand, I talked about his educational and literal background and I indicated that he was one of the ministers and artists who did not devote their life for poetry despite of his wide knowledge. During my analysis, I found that Al-Khaqany didn't collect all of Al- Muhalaby's poetry in the "Magazine of Resources" which comes as an article within seventeen pages which wasn't complete and accurate .So, I have worked well to make it correct and

complete as possible as I can. Therefore, I added a number of his poems and prose in this study to draw a complete and clear image. Then, I analyzed the objectives of his poetry, which were mainly concerned with flirtation, description, wisdom, brotherhood, and renunciation in addition to “describing singing, bondwomen, and flirting youth. After that, I discussed his prose, which spread hither and thither. This led me to find that Al-Muhalaby was a wise writer who talked about people in everywhere and in any time.

Finally, I discussed the characteristics of his poetry and prose. Regarding the meanings of his poetry and prose, I found that he was greatly affected by previous heritage and traditions, and he took the meanings, also, from the poets of his time in addition to the old poets.